

محور العدد: الوحدة الإسلامية

رسالة القلم

إسلامية ثقافية شاملة

السنة الثالثة - العدد الحادي عشر - رجب ١٤٢٨ هـ - يوليو ٢٠٠٧ م

١١

أجزاء في مدن العالم

- ♦ الوحدة الإسلامية شعار عملي له جذوره الفقهية
- ♦ شعار الوحدة الإسلامية ضرورة لا عبئية
- ♦ أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم
- ♦ ملابسات البعثة النبوية المباركة
- ♦ السيدة خديجة عليها السلام وخمسة وعشرون عاماً من الوفاء
- ♦ العالم الرباني الشيخ ميثم البحرياني
- ♦ تعريف بمؤسسة الإمام الخميني قدس

Resalat Alqalam

رسالة القمر

إسلامية ثقافية شاملة

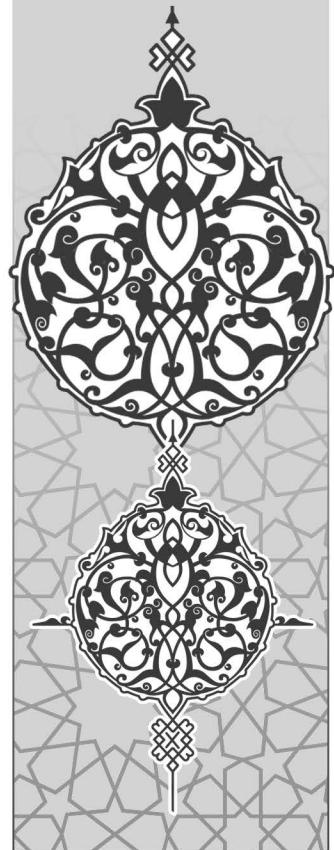
فصلية تصدر عن

طلاب البحرين في الحوزة العلمية
بمدينة قم المقدسة

برعاية

مكتب البيان للمراجعات الدينية

- المشرف العام والمدير المسؤول:
عبد الله علي الدقاق
- رئيس التحرير:
علي أحمد الكريباudi
- مدير التحرير:
علي أحمد الجفيري
- هيئة التحرير:
جعفر عبد المهدي شهاب
سعید حسن المادح
غازي عبد الحسن إبراهيم
فاضل عبد الجليل الزاكي



- ٤ الوحدة الإسلامية .. شعار عملی له جذوره الفقهية
حوار مع سماحة العلامة الشيخ عباس الكعبي
- ٢٧ إعلان سماحة آية الله العظمى السيد الخامنئي عام الوحدة
الوطنية والانسجام الإسلامية
- ٣٠ بيان سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني حول
الوحدة الإسلامية ونبذ الفتنة الطائفية
- ٣٣ خطاب الوحدة (من خطب الجمعة لسماحة العلامة الشيخ
عيسيٌّ أحمد قاسم)
- ٤١ شعار الوحدة الإسلامية ضرورة لا ع比ثية
عبد الرؤوف حسن آل ربيع
- ٤٨ الكلام في فهم القرآن (القسم الثاني)
سعید جعفر حماد
- ٨٦ أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم
جعفر عبد المهدی شهاب
- ٩٨ ملابسات البعثة النبوية المباركة
السيد یاسین السيد قاسم الموسوی
- ١٢١ السيدة خديجة عليها السلام وخمسة وعشرون عاماً من الوفاء
محمد علي عيسى قاسم
- ١٥٠ العالم الرباني الشیخ میثم البحرانی (القسم الثاني)
فاضل عبد الجلیل الزراکی
- ١٨٣ تأملات في شخصية الشیخ میثم البحرانی
السید مجید المشعل
- ١٩١ التأمل لسلوك الطريق إلى الله
عبد الله علي الدقاقي
- ١٩٤ تعريف بمؤسسة الإمام الخميني قدس سره

شيعة كنّا وما زلنا..

تتأرجح المسالك، والطرائق في مواجهة أي تشنيع على المسلمين، وما أكثره من تشنيع، وما أشدتها من سهام!! تلك الموجهة إلى مذهب آل الرسول ﷺ، فأبواق الطائفية البغيضة، الصغيرة منها والكبيرة لم تزل تتال من هذا المذهب ومن أبنائه الشرفاء متهمة إياهم بعدم الولاء للوطن، وبالولاء للخارج، ولعمري أ يكون الإيمان برمذ ديني طائفية وعدم ولاء للوطن، واتباعاً لإيران أو العراق أو غيرهما؟!! فكل المودعين إذن طائفيون وموالون للخارج.أليس محمد ﷺ حجازياً؟ فكل المسلمين إذن طائفيون ولا يحملون ولاء لأوطانهم وإنما ولاؤهم لقريش أو لحكام الحجاز !!!

وفي خضم هذه الجولات المحمومة، والمصتبغة بدماء الشيعة، تبقى أقدام الشيعة منفرسةً في التراب، ويقعى رأسهم شاماً، ويقيون مفتخرين بأنهم أبناء ثقافة الوحدة والإباء، وأبناء ثقافة ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتُقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِيَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ إِلَيْيَ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، وهذه دعوات علمائهم تجهر بأعلى صوتها سباقاً لتقديم مفهوم الوحدة الإسلامية، وهذه فتاوى فقهائهم تسير بأقدامها على الأرض، يبصرا كل ذي عينين، محرمة دم من قال: (لا إله إلا الله).

وهم مع ذلك لا يطلبون من مسلم أن يتنازل عن عقيدته مقابل وحدتهم معه، وكذلك لا يقتصرن على مستوى الشعور القلي عن أداء حق الأخوة وأن تحب لأخيك ما تحب لنفسك، فهم قلباً يحبون لغيرهم الخير والنعيم الذي ينعمون به في ظلال محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، وهم خارجاً لا يصادرون على الآخرين فكرهم، لا بالسيف ولا بالدلل، بل ويطالعون غيرهم أن يبادلوهم هذا الشعور القلي وإلا اتتهموا بالقصیر عن حق الأخوة، وأما عملياً فلسان حالهم يقول: لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه.

رئيس التحرير

الولادة الإسلامية.. لشمار علني له بحثه الفقهية

في حوار مع

سماحة العالمة الشيخ عباس الكعبي حفظها الله

حاوره: علي أحمد الكريبابادي

يعتبر سماحة العالمة الشيخ عباس الكعبي حفظها الله أحد أساتذة الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة، ومن الذين يتمتعون بنصيب وجانب مهم في العلوم السياسية والفكرية، ويتصدى فعلاً إلى عدة مناصب، منها أنه:

(١) عضو مجلس الخبراء في الجمهورية الإسلامية.

(٢) عضو مجلس صيانة الدستور.

(٣) عضو جماعة المدرسين.

(٤) عضو الهيئة العلمية في مؤسسة الإمام الخميني رَحْمَةُ اللّٰهِ.

وقد أجرت المجلة معه هذا الحوار القيم في مؤسسة الإمام الخميني حيث يمارس بعض أنشطته العلمية والتحقيقية، نقدمه بين يدي القراء كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على أشرف خلقه محمد صلوات الله عليه وآله وآلـهـ

الأكرمين عليهم السلام.

نلتقي في هذا العدد من مجلة «رسالة القلم» بسماحة العالمة الشيخ عباس الكعبي في

حوار حول مفهوم أضحى ملحاً ومورد طلب جميع الشرائح المجتمعية لما له من أثر في حفظ الوجود الإسلامي وأبناء الأمة على اختلاف مشاربهم الفكرية والثقافية. وبداءاً نتوجه إلى سماحة الشيخ الجليل بوافر الشكر على تخصيص هذا المقدار من الوقت للمجلة من بين كل مشاغله وسفراته، وعلى قبول مزاحمتنا له في هذه الأيام التي يمر فيها بوضع صحي غير مستقر.

✿ سماحة الشيخ ما هي أهمية شعار الوحدة؟ وما هو هدف علماء

الشيعة من طرحة؟

❖ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قال الله تعالى في محكم كتابه ومنيف خطابه: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَعْثِيْكُمْ عَذَاباً مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفَشَّلُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾. بداية لا بد أولاً أن نتعرف على المراد من الوحدة؛ أي ما معنى الوحدة، حينها نعرف الأهمية من خلال تعريف الوحدة. المقصود من الوحدة هو وحدة القلوب ووحدة الأرواح، وحدة الروح والقلب، وهي تعرف من خلال متعلق الوحدة، الوحدة تكون على أساس الإيمان، فلذلك حينما يطلق الله سبحانه وتعالى شعاراً فإنه يطلق شعار الأخوة، الأخوة الإيمانية أكبر تعبير للوحدة ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، ومتصلق الوحدة هو الإيمان، الإيمان المشترك يشدد التوحيد والوحدة والاتحاد، إذا فقدنا هذا العنصر المشترك - وهو الإيمان - تحل التفرقة بهذه البساطة، وكلمة الوحدة تختلف عن التعاون أو التنسيق

أو الارتباط، قد يتحقق التعاون أو التنسيق والرابطة المتبادلة من أجل منافع مشتركة وسرعان ما يذهب هذا التعاون أو التنسيق أو الارتباط حينما تذهب المصالح المشتركة، يعني تارة يكون اتفاق لكنه على أساس مصالح منافع، من منطلق نفعي، أن الشخص ينتفع بالآخر، والآخر ينتفع بالأول، كما لو اتفق اثنان من التجار على فتح شركة تجارية، فهما متهدان طالما كانت المنافع تقتضي ذلك، وإذا اختلت المنافع زالت هذه الوحدة، هذه الوحدة المصلحية والنفعية لا تسمى وحدةً أصلًا وإنما هي اتفاق لتحقيق منافع مادية، وقد تتحقق هكذا حالة في الأمور غير المادية أيضاً على أساس النفع أو دفع المضار، مثلاً هناك عدوٌ مشتركٌ فتتحد لدفع هذا العدو المشترك، أيضاً هذه لا تسمى وحدة، الوحدة سواء اشتراك المنافع أو اختلفت المنافع الدينوية أو القطرية أو الإقليمية أو المحلية أو الصنفية، سواء كانت متفقين أو مختلفين من جهات متنوعة في الحياة، هذه الوحدة إذا كانت دينية فإنها تبني على أساس وحدة القلوب ووحدة الروح، من منطلق الإيمان بالله سبحانه فإنه لا ينبغي أن تختل هذه الوحدة، القرآن يعبر بأحسن تعبير: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

إذن تعرف أهمية الوحدة من خلال أهمية الأخوة في الإسلام والاعتقاد بأهمية الأخوة الإيمانية، هذه نقطة مهمة جداً، والأخوة الإيمانية تفوق جميع الإطارات والأبعاد المختلفة من التنسيق والارتباط وأمثال ذلك، والأخوة الإيمانية ليست أخوة اعتباريةً أو اعتباطيةً أو تشريفيةً، بل واقعية تستند إلى عنصر الإيمان بالله؛ لذا في الروايات المختلفة عن طريق أهل البيت تعبّر أن المؤمن من أخو المؤمن لأمهه وأبيه، حتى أن الأخوة الإيمانية تتجاوز وتفوق الأخوة النسبية والرابطة النسبية؛ لأن

بالإيمان قد يكون الإنسان المؤمن يقاتل الأهل من النسب له على أساس الإيمان بالله كما يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ: (كنا نقاتل مع رسول الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ إخواننا، أعمامنا، عشائرنا، وما يزيدنا ذلك إلا إيماناً)، والقرآن الكريم في ذلك واضح: ﴿فَلَمَّا كَانَ آبَاؤُكُمْ وَآبَانَوْكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالُ افْرَاقٍ تُنْهَا وَتَجَارَةً تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضُونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَكُصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، وهناك آيات متعددة فيها هذا المعنى.

إذن المفهوم القرآني للوحدة يتجسد في الأخوة الإيمانية ومن خلال أهمية الأخوة نعرف أن الوحدة ليست شعاراً جزافياً يطلق على الهواء ثم نلتزم به أو لا نلتزم، بل الوحدة الإسلامية هي من صميم الاعتقاد بالله تبارك وتعالى ومن أهم القيم الإسلامية التي يوصينا الإسلام بها كمبداً، ومن هنا فإن آيات كثيرة تؤكد على هذا المبدأ؛ لذلك فالوحدة شعيرة، إظهار الوحدة وتفشي الوحدة شعيرة من شعائر الإيمان والتقوى ومن شعائر الله، والاعتقاد القلبي بها يعتبر من لوازם الإيمان بالله تبارك وتعالى؛ لذلك فإن على كل مسلم أن يعتبر المسلم الآخر - كل من نطق بالشهادتين - أنه مسلم، وأنه جزء الأمة الإسلامية، كل واحد مما جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية بأي لغة كان وبأي جنسية كان، وينتمي إلى أي قطر كان، وفي أي أرجاء المعمورة أراد أن يعيش، هو جزء من الأمة الإسلامية، وجزء من دار الإسلام الكبرى.

ومن هنا نأتي إلى الفقرة الأخيرة: (ما هو هدف علماء الشيعة من طرحه؟)، في الواقع علماء الشيعة كباقي علماء المسلمين المنصفين على حد سواء عندما

يتحدثون عن الوحدة الإسلامية، يتحدثون عن لوازם الإيمان بالله تبارك وتعالى ويتحدثون عن أكبر القيم الإسلامية التي يوصينا الإسلام بها، ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾، يؤكدون على هذا المبدأ القرآني، ولا يرمنون أو يهدفون إلى أمر آخر غير هذا المبدأ لأن القرآن الكريم والسنّة النبوية وأحاديث أهل البيت عليهما السلام تؤكد بشكل كبير جداً على هذا المبدأ وتعتبر التفرقة والتشتت وعدم الاعتقاد القلبي بالأخوة الإيمانية من الآثام والموبقات، وإذا كان يترتب عليها ثمرات وآثار من إراقة دماء أو هتك أعراض أو سبي عوائل أو تشرذم وضعف للأمة الإسلامية، هذا الذي يطلق شعار التفرقة أو يتعصب ولا يتلزم بهذا الأمر يكون مسؤولاً عن هذه الآثار الوضعية.

إذن للوحدة حكم تكليفي ولها آثار وضعية، خصوصاً في زماننا هذا الذي قد يكون فيه المزاج الحاد والمتزمت والذي ينطلق من عصبية ربما تحول إلى طلقات نار، وهذه الطلقات بدل أن تكون في قلب أعداء الأمة الإسلامية تمزق الأمة الإسلامية وتقتل أبناء الأمة الإسلامية، وهذا من أكبر الموبقات وأكبر الذنوب التي تكون على عاتق من يطلق هذه القضايا ولا يتلزم بالوحدة؛ ولذلك نحن - ومن هذه الناحية - حريصون على الوحدة، وعلماء الشيعة على طول القرون كانوا سباقين لطرح الوحدة الإسلامية، ومن باب المثال نذكر من القرون الأخيرة جمال الدين الأسد آبادي، أو الأفغاني، أو جمال الدين الحسیني الذي لم تعرف جنسيته إلى حين وفاته، وأنه ينتمي إلى أي بلد، وكان من جملة طموحاته الكبيرة تحقيق الوحدة الإسلامية بين الأمة، وعندما ذهب إلى مصر تلمذ على يديه محمد عبده وغيره وجماعة الإخوان المسلمين، وقد لعب دوراً أساسياً في بلورة الفكر

الوحدي ودعوته لهذا الأمر، ومن بعد ذلك في زمن السيد البروجردي «رضوان الله تعالى عليه»، آية الله العظمى البروجردي كان من السباقين للوحدة، وبالتعاون المشترك مع علماء الأزهر أسسوا مجمع التقريب بين المذاهب آنذاك في زمن الشيخ محمود شلتوت وغيره من العلماء، ومن إيران الشيخ محمد تقى القمي في زمن آية الله العظمى السيد البروجردي «رضوان الله تعالى عليه»، وكان هذا المجمع نشطاً حتى أن كتاب المختصر النافع للمحقق كان قد طبع بواسطة الأزهر وكانشيخ الأزهر آنذاك الشيخ محمود شلتوت يقول: (أنا أعمل طبق فتاوى هذا الكتاب «المختصر النافع»). أنا سمعت هذا المطلب من آية الله الشيخ لطف الله الصافي، وهو نقل هذا المطلب من الشيخ محمد تقى القمي سكرتير مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية في ذلك الوقت.

وأما في زمن الجمهورية الإسلامية فإنها بدلت الوحدة إلى مبدأ دستوري مصري به في دستور الجمهورية الإسلامية كمبدأ، إضافةً إلى كلمات الإمام الخميني عليه السلام حول الوحدة، نجد مثلاً المادة الحادية عشر من دستور الجمهورية الإسلامية تقول: (بحكم الآية الكريمة: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾) يعتبر المسلمون أمة واحدة وعلى حكومة جمهورية إيران الإسلامية إقامة كل سياساتها العامة على أساس تضامن الشعوب الإسلامية ووحدتها وأن تواصل سعيها من أجل تحقيق الوحدة السياسية والاقتصادية والثقافية في العالم الإسلامي)، هذا في المادة الحادية عشر من دستور الجمهورية الإسلامية، وكذلك في المادة الثالثة التي تتحدث عن أهداف حكومة جمهورية إيران الإسلامية تقول بأن: (حكومة جمهورية إيران الإسلامية توظف جميع إمكانياتها لتحقيق ما يلي):

من جملة الأهداف البند الخامس عشر من المادة الثالثة: (توسيع وتفعيل الأخوة الإسلامية والتعاون الجماعي بين الناس كافة)، والبند السادس عشر: (تنظيم السياسة الخارجية للبلاد على أساس المعايير الإسلامية والالتزامات الأخوية تجاه جميع المسلمين والحماية الكاملة لمستضعفين العالم)، فنشاهد أن الوحدة تحولت إلى مبدأ دستوري في الجمهورية الإسلامية وليس شعاراً تشريفياً، وعلى هذا الأساس طبعاً تأسس في جمهورية إيران الإسلامية مجمع التقرير بين المذاهب الإسلامية، ومحاولات التقرير هذه والتأكيد على شعار الوحدة الإسلامية ووحدة الأمة الإسلامية - لتحقيق الأهداف المرجوة على أساس الكتاب والسنة - يشكل هدفاً أساساً من الأهداف التي من أجلها قامت الجمهورية الإسلامية، ومن هنا نستطيع أن نقول بأن الجمهورية الإسلامية المباركة - وبخلاف ما يروج له الأعداء - لا تدعو إلى الطائفية والشعار الطائفي، ولا تقوم على أساس طائفي، صحيح أنها قامت على أساس مذهب أهل البيت علیهم السلام ولكن هذا المذهب يوظفنا للدعوة إلى الأخوة الإسلامية وليس إلى الانحسار المذهبي والاحتكار المذهبي أو الحصر المذهبي، بل الانطلاق إلى وحدة الأمة الإسلامية، هذا فيما يرتبط بالوحدة والأخوة.

❖ قد يسأل سائل: ما هو المستند الشرعي في طرح هذا الشعار؟

❖ من خلال تعريفنا للوحدة على أساس الأخوة الإسلامية، قلنا: الأخوة واجبة، أولأً بالكتاب، الآيات الكثيرة التي تدعو للأخوة الإسلامية وتجعل المؤمنين إخوة فيما بينهم، وتدعوا إلى الصلح فيما بينهم، مثل الآية الشريفة في بداية سورة الأنفال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللّهَ وَأَصْلِحُوْ ذَاتَ يَنِسْكُمْ وَأَطِيعُوْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ﴾، من جملة القضايا التي دعينا إليها على

أسس الإيمان، وطاعة الله والرسول تقتضي ذلك، والتقوى تقتضي ذلك وإصلاح ذات البين، إصلاح ذات بين المؤمنين وهو هذا الواجب، الآية الأخرى التي نعرف منها وجوب الوحدة والصلح هي ما ورد في سورة الحجرات: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾، فالإصلاح بين الطائفتين المتناقلة من المؤمنين واجبة، فأصلاحوا بينهما يعني فليذهب الاختلاف، ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾، هنا القتال من أجل تحقيق الوحدة، فالالتزام بالوحدة من ناحية المستند الشرعي يصل إلى هذا المستوى، أن نقاتل من أجل تحقيق الوحدة، فالطائفة التي تبغى وتعتدي على الطائفة الأخرى بحيث تمزق الأمة الإسلامية وتدعوا إلى التفرقة والنفاق وتمزيق الصف فيجب مقاتلتها حتى تفيء إلى أمر الله، أمر الله ما هو؟ هو وحدة الأمة الإسلامية، الصلح، طاعة الله والرسول، الإصلاح، وهذا مهم جداً، فإن فاءت ورجعت إلى أمر الله ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وهذا تأكيد آخر ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَانْتَهُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، فإذا كانت الأمة الإسلامية تريد الرحمة، وأبناء الأمة يريدون رحمة الله ويريدون أن ينطلقوا على أساس تقوى الله، لم يكن لهم طريق إلا العودة إلى الوحدة، واتخاذ الوحدة كعنوان - وهي في الواقع مبدأ قرآني - والابتعاد عن جميع ما يعكر صفو الأمة.

من الجملة الدعوة إلى الطائفية والقطريّة وروح الاستعلاء القومي، والكبرياء القومية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخِرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾، حب الاستعلاء والاستكبار على القوميات الأخرى يمزق صفو الأمة ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ

نَسَاءٌ عَسَى أَن يَكُنْ خَيْرًا مِّنْهُنَّ، فـهـذـهـ الآـيـةـ منـ جـمـلـةـ الآـيـاتـ التـيـ هيـ مـسـتـنـدـ شـرـعـيـ لـلـوـحـدـةـ التـيـ يـعـرـفـ مـنـهـاـ أـنـ الـوـحـدـةـ تـصـلـ إـلـىـ حـدـ الـوـجـوبـ آـيـةـ أـخـرـيـ فـيـ سـوـرـةـ الـأـنـعـامـ سـبـحـانـ اللـهـ تـجـعـلـ التـمـزـقـ وـالـتـشـتـتـ وـالـتـشـرـذـمـ وـابـتـعـادـ أـبـنـاءـ الـأـمـةـ بـعـضـهـمـ عـنـ بـعـضـ مـنـ مـصـادـيقـ الـعـذـابـ؛ـ يـعـنـيـ الـآـيـةـ تـقـسـمـ الـعـذـابـ إـلـىـ قـسـمـيـنـ:ـ عـذـابـ تـكـوـينـيـ،ـ وـعـذـابـ عـلـىـ أـثـرـ عـدـمـ الـالـتـزـامـ بـالـوـحـدـةـ الـإـسـلـامـيـةـ،ـ أـمـاـ الـعـذـابـ التـكـوـينـيـ:ـ ﴿فَلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىَ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ـ مـنـ فـوـقـكـمـ الـعـذـابـ السـماـويـ،ـ مـنـ تـحـتـ أـرـجـلـكـمـ مـثـلـ الـزـلـزالـ،ـ هـذـاـ عـذـابـ تـكـوـينـيـ،ـ اللـهـ يـعـذـبـ الـأـقـوـامـ الـذـيـنـ يـبـتـعـدـونـ عـنـ اللـهـ وـيـدـعـونـ إـلـىـ الشـرـكـ أوـ عـبـادـةـ الـأـصـنـامـ أوـ مـاـ إـلـىـ ذـلـكـ،ـ ثـمـ يـقـولـ:ـ ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ـ،ـ يـعـنـيـ يـجـعـلـكـمـ مـمـزـقـينـ،ـ يـلـبـسـكـمـ لـبـاسـ التـفـرـقـةـ وـالـنـفـاقـ،ـ هـذـاـ عـذـابـ؛ـ أـيـ عـذـابـ التـفـرـقـةـ وـالـتـمـزـيقـ عـلـىـ حـدـ الـعـذـابـ التـكـوـينـيـ كـمـاـ هوـ مـذـكـورـ هـنـاـ فـيـ الـآـيـةـ الـقـرـآنـيـةـ،ـ مـاـذـاـ يـتـرـتـبـ عـلـيـهـ إـذـاـ كـنـتـمـ مـمـزـقـيـنـ؟ـ ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ـ،ـ بـدـلـ أـنـ تـقـاتـلـوـاـ أـعـدـاءـ اللـهـ وـأـعـدـاءـ الـمـسـلـمـيـنـ بـعـضـكـمـ يـقـاتـلـ بـعـضـ الـآـخـرـ ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ـ،ـ فـالـأـمـةـ تـكـوـنـ ضـعـيفـةـ وـالـأـعـدـاءـ يـتـسـلـطـونـ.

هـذـاـ الشـعـارـ شـعـارـ فـرـقـ تـسـدـ شـعـارـ مـعـرـوفـ،ـ بـدـايـةـ مـنـ أـيـنـ أـتـىـ؟ـ أـتـىـ مـنـ الإـسـكـنـدـرـ الـمـقـدـونـيـ،ـ فـالـإـسـكـنـدـرـ الـمـقـدـونـيـ عـنـدـمـ أـرـادـ أـنـ يـفـتـحـ الـعـالـمـ أـخـذـ يـسـتـشـيرـ أـرـسـطـوـ الـعـالـمـ الـيـونـانـيـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ،ـ فـقـالـ لـهـ:ـ مـاـذـاـ أـصـنـعـ؟ـ قـالـ:ـ إـذـاـ أـرـدـتـ أـنـ تـفـتـحـ الـعـالـمـ فـأـنـاـ أـوـصـيـكـ،ـ فـرـقـ تـسـدـ؛ـ أـيـ إـذـاـ أـرـدـتـ أـنـ تـفـتـحـ بـلـدـاـ فـاجـعـلـهـ قـوـيـاـ مـتـاحـرـةـ،ـ إـذـاـ أـرـادـواـ حلـ الـخـلـافـ رـجـعـواـ إـلـيـكـ،ـ فـلـاـ يـتـحـدـوـاـ عـلـيـكـ،ـ ثـمـ إـنـ بـرـيـطـانـيـاـ فـيـ زـمـنـ الـمـسـتـعـمرـاتـ وـغـيرـهـاـ مـنـ الدـوـلـ وـإـلـىـ الـآنـ تـزـمـوـاـ بـهـذـاـ الشـعـارـ وـجـعـلـوـاـ الـأـمـةـ

الإسلامية ممزقةً، وهم الحكم لحل اختلافات أبناء الأمة مع الأسف الشديد، والأمة متناحرة بعضهم يقاتل البعض الآخر ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾، فإذاً هذا مبدأ قرآني آخر، ومن هذا المبدأ نعرف أن الله تبارك وتعالى يلزم التفرقة على مستوى أنه جعل التفرقة عذاباً، فمن هنا فالتفرق حرام. المستند الآخر هو النهي القرآني ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشِلُوا﴾، النزاع والتفرقة يسبب الفشل، ويترتب على الفشل - وربما يقال هذا أثر تکويني - ﴿وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ﴾ يعني قوتكم، بينما الآيات الأخرى تدعونا ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمَنْ رَبَّاطَ الْخَيْلَ﴾، فهذا عمل خلاف المبدأ القرآني وهو مبدأ إعداد القوة، فالتفرق تسبب ضعف الأمة الإسلامية، ومن هنا فالإنسان يعرف بوضوح أن التفرقة حرام.

ومن جملة الأمور التي نستطيع أن نذكرها بالنسبة إلى وجوب الوحدة أن الدعوة إلى الوحدة في الواقع من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهناك ارتباط بين الوحدة وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن أهم مصاديق الدعوة إلى المعروف الدعوة إلى الوحدة، ومن أهم مصاديق النهي عن المنكر النهي عن التفرقة، وهذا بحاجة إلى مؤسسات تدعو إلى الوحدة على هذا الأساس.

الآية الشريفة التي يدأنا بها أيضاً: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، هذه الآية تربط الاعتصام بحبل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا مستند آخر للوحدة: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، فالاعتصام بحبل الله واجب، ثم ﴿جَمِيعاً﴾ لا بد من الوحدة، هذا وجوب الوحدة ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ نهي عن التفرقة، وبهذه الصراحة ﴿وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ

قُلُوبِكُمْ ﴿التَّأْلِيفُ بَيْنَ الْقُلُوبِ مِنْ نَعْمَةِ اللَّهِ الْكَبِيرِ﴾ فَاصْبَحْتُمْ بِنْعَمَتِهِ إِخْرَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَانْقَذَكُمْ مِّنْهَا﴾ بِرَبِّ الْوَحْدَةِ، بِرَبِّكَ الاعتصام بِحَبْلِ اللَّهِ، وَالاَهْتِداء بِهِدِيِّ الْكِتَابِ وَسُنَّةِ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهَتَّدُونَ﴾ بِلا فَاصلَةٍ ﴿وَلَتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، طَبِيعًا الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهِيُّ عَنِ الْمُنْكَرِ مِبْدَأُ عَامٍ، الدُّعَوَةُ إِلَى الْخَيْرِ مِبْدَأُ عَامٍ، لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: اذْكُرْ لَنَا بَعْضَ مَصَادِيقِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهِيِّ عَنِ الْمُنْكَرِ، الْآيَةُ تَبَيَّنُ، وَبِدَلِيلٍ سِيَاقُهَا الَّذِي بَدَأَ بِشَعَارِ الْوَحْدَةِ وَذَمِ التَّفْرِقَةِ، نَعْرَفُ أَنَّ مِنْ أَكْبَرِ مَصَادِيقِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهِيِّ عَنِ الْمُنْكَرِ هُوَ الدُّعَوَةُ لِلْوَحْدَةِ وَنَبْذُ التَّفْرِقَةِ، ثُمَّ وَبِلا فَاصلَةٍ تَقُولُ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَأَخْتَلُفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، فَالْتَّفْرِقَةُ تُسَبِّبُ عَذَابًا عَظِيمًا مِّنَ اللَّهِ تَبارُكُ وَتَعَالَى.

بِالإِضَافَةِ إِلَى الْكِتَابِ تَعَالَى إِلَى السَّنَةِ، هَذِهِ الرَّوَايَاتُ الْكَثِيرَةُ الَّتِي تَدْعُونَا إِلَى الْأَخْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي أَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مثلاً أَذْكُرُ خَطْبَةَ حَجَةِ الْوَدَاعِ فِي ثَمَانِيَةِ مَوَاقِفِ الْقَيِّ فِي كَلَامِهِ إِلَى النَّاسِ، مِنْ جُمِلَةِ مَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (أَيِّ يَوْمٍ أَعْظَمُ يَوْمًا؟ قَالُوا: يَوْمًا هَذَا). قَالَ: أَيِّ شَهْرًا؟ قَالُوا: شَهْرًا هَذَا. قَالَ: أَيِّ بَلْدًا؟ قَالُوا: بَلْدًا هَذَا. ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ أَمْوَالَكُمْ وَدَمَاءَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحِرْمَةٍ يَوْمَكُمْ هَذَا فِي بَلْدَكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلَا هُلْ بَلَغْتَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، بَلَغْتَ. قَالَ: فَلِيَلْبِغُ الْحَاضِرُ مِنْكُمُ الْغَائِبِ). وَهُنَاكَ رَوَايَاتٌ مُتَعَدِّدةٌ، نَذَرُكُ مِنْ بَابِ الْمِثَالِ مِنْ هَذِهِ الرَّوَايَاتِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ حَوْلَ الْأَخْوَةِ مِنْ كِتَابِ الْحَدِيثِ حَتَّى نَعْرَفُ أَهْمَيَةَ الْأَخْوَةِ وَالْوَحْدَةِ، مثلاً: وَسَائِلُ الشِّيَعَةِ، الْمَجْلِدُ الثَّامِنُ، آخرُ كِتَابِ الْحَجَّ، يَتَحَدَّثُ عَنِ الزِّيَاراتِ وَآدَابِ الْعَشْرَةِ، فِي

آداب العشرة هناك بحث مفصل جداً في روايات أهل البيت عليهما السلام حول وجوب الألحوة والالتزام بحق المؤمن على المؤمن والمسلم على المسلم، الذي يفهم منه أن الألحوة على حد الوجوب، بعنوان المثال ذكر مجموعة عناوين هذا الباب، أبواب أحكام العشرة في السفر والحدر، استمع فقط إلى عناوين الأبواب من دون ذكر الأحاديث نفسها حتى نعرف أهمية الوحدة:

- (١) باب وجوب عشرة الناس حتى العامة - يعني جميع الناس حتى أبناء المذهب الآخر- بأداء الأمانة وإقامة الشهادة والصدق واستحباب عيادة المريض.
- (٢) باب استحباب حسن المعاشرة والمجاورة والمرافقة. وفيه عشرة أحاديث.
- (٣) باب كيفية المعاشرة مع أصناف الإخوان.
- (٤) باب استفادة الإخوان والأصدقاء والألفة بينهم وقبول العتاب.
- (٥) باب استحباب استماع الإخوان ومحادثتهم.
- (٦) باب استحباب مواساة الإخوان بعضهم ببعض.
- (٧) باب استحباب الت Hubb إلى الناس والتودد إليهم. والمقصود من الناس هنا هم أبناء المذهب الآخر، وفيه خمسة أحاديث.
- (٨) باب استحباب مجاملة الناس ولقائهم بالبشر واحترامهم وكف اليد عنهم وعدم جواز الاقتال. أيضاً الكلام عن أبناء المذهب الآخر.
- (٩) باب استحباب لمن أحب مؤمناً أن يخبره بحبه له.
وهكذا في المجلد الحادي عشر من الوسائل فيه مثل أنَّ يد الله مع الجماعة وأمثال هذه الروايات في نهاية بحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجihad

النفس، وحتى بالنسبة للدعوة إلى الوحدة هناك (باب كراهة اعتراف المسلمين في حديثه) حتى لا يسبب النزاع، فأحاديث أهل البيت عليهم السلام ملتزمة بهذا الأمر. (باب وجوب كف الأذى عن الجار)، قد تقول: ما ارتباط الجار بهذا البحث؟ طبعاً الجار لا يشترط فيه أن ينتمي إلى مذهب دون مذهب، إطلاق الجار، بل حتى مع أبناء الديانات الأخرى، فأحاديث أهل البيت عليهم السلام ملتزمة بهذا المستوى. (باب استحباب مداراة الناس)، فيه عشرة أحاديث. والباب الآخر (باب وجوب أداء حق المؤمن وجملة من حقوقه الواجبة والمندوبة)، (باب اجتناب الشحنة، المكر، الكذب..) عليك بمراجعة هذه الأبواب، أو (تحريم إذلال المؤمن واحتقاره)، (باب تحريم الطعن على المؤمن وإضمار السوء له)، (باب تحريم سب المؤمن وعرضه وماله ودمه)، (باب تحريم إخافة المؤمن ولو بالنظر إليه)، (باب تحريم المعونة على قتل المؤمن وأذاه ولو بشطر كلمة فيه).

هذه الأبواب عندما ننظر إليها - كل هذه الأبواب الروائية - تدعوا للوحدة، نذكر منها من باب التيمن والتبرك الرواية السابعة من هذا الباب: (وبالإسناد عن علي بن الحكم عن بكير الهجري عن المعلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: قلت له: ما حق المسلم على المسلم؟ قال: له سبع حقوق واجبات، ما منها حق إلا وهو عليه واجب، إن ضيع منها شيئاً خرج من ولاء الله وطاعته، ولم يكن لله فيه نصيب، قلت له: جعلت فداك وما هي؟ قال: يا معلى إني عليك شقيق أخاف أن تصيبه ولا تحفظ، وتعلم ولا تعمل، قلت: لا قوة إلا بالله. - من هذا السياق يعرف الفقهاء أن أداء هذا الحق واجب، بهذا التأكيد الغليظ - قال: وما هي؟ قال: أيسر حق منها أن تحبه له ما تحب لنفسك - يعني وحدة القلوب كما بينا سابقاً - وتكره له ما تكره لنفسك،

والحق الثاني أن تجتنب سخطه وتتبع مرضاته، والحق الثالث أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك، الحق الرابع أن تكون عينه ودليله ومرآته، والحق الخامس أن لا تشبع ويجوع ولا تروي ويظماً ولا تلبس ويعرى، والحق السادس أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم فواجب أن تبعث خادمك فتفسل ثيابه وتصنع طعامه وتمهد فراشه، والحق السابع أن تبرّ قسمه وتجيب دعوته وتعود مريضه وتشهد جنازته، وإذا علمت أن له حاجةً تبادره إلى قضائها ولا تلتجئ إلى أن يسألها ولكن تبادره مبادرةً، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته - يعني ولاية المؤمن على المؤمن - (ولايته بولايتك). والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، هذه الولاية للمؤمنين بعضهم على بعض تتحقق بالالتزام بالوحدة الإسلامية.

وأما العقل فيبناء العقلاء وسيرة العقلاء على أنه إذا كانوا في ضمن مجموعة فإنهم يتتفقون إن كان لهم عدو مشترك أو كانت لهم مصالح مشتركة كما بينا فيما سبق. والعقل على أساس حسن العدل وقبح الظلم نعرف من خلاله أن التفرقة قبيحة والوحدة والأخوة من مصاديق العدل.

وأما الإجماع فإجماع المسلمين قاطبة، أصحاب المذاهب الأربع وذهب أهل البيت عليهما السلام أنهم يعتبرون بعضهم البعض مسلمين، ويحرمون التكفير في حق من قال: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، فهو في دائرة الإسلام، فيحرمون التكفير، ويذمرون التكفيريـن والذين يحلون دم المسلم ويعتبرون ذلك من أكبر الموبقات، اللهم إلا أنا نجد بعض المجموعات التكفيرية التي تعتبر نفسها هي المسلمة لوحدها، والآخرون - أيـاً كان اتجاهـهم - فهم كفار، وبـدل أن يشنوا حربـاً على أعداء الأمة الإسلامية يشنون حربـاً على أبناء الأمة الإسلامية بحجـج واهـية، ومن هنا

يتحولون إلى أداة بيد الاستكبار العالمي، باستثناء هؤلاء فإن المسلمين يعتبرون أنفسهم إخوةً متحابين في الدين وإن كانوا قد يختلفون من ناحية المبادئ المذهبية.

✿ شيخنا الجليل.. شعار (الوحدة والتقريب بين المذاهب) بين التنازل عن المبادئ وبين الرفض المطلق، ما هي نظرة الإمام الراحل فيما يتعلق بهذا الأمر؟

❖ طبعاً الآن صار واضحأً أننا حينما ندعو إلى الوحدة فإننا ندعو إلى الأخوة الإيمانية، الأخوة الإيمانية حقيقة قرآنية، حقيقة نجدها في روايات النبي الأكرم عليه السلام وأهل البيت عليهما السلام، كما ندعو إلى التواضع بعنوان مبدأ أخلاقي، ونبذ الكبر، كما ندعو إلى الإيمان ونبذ النفاق، كما ندعو إلى حرمة الغيبة، وتهمة المؤمن، وهتك عرض المؤمن ونقول هذه آثام، كذلك نقول إن الوحدة في الواقع هي من القيم القرآنية، مطلوبة، من الطموحات، إذا أردنا أن نبني مجتمعاً مسلماً متاماً فلابد أن ندعو إلى الوحدة، ولكن طالما كانت هذه الوحدة لا يمكن أن تتحقق خصوصاً فيما يرتبط بالأبعاد المختلفة لاختلاف الأذواق والسلائق والمذاهب والطرائق والرؤى والاتجاهات في الشؤون المختلفة، فهنا نأتي إلى التقريب.

نقول إننا طالما لا نستطيع أن نتحد فلا أقل من أن نقرب الأفكار، معنى التقريب مع حفظ الخصوصيات المذهبية، لا التنازل عن الخصوصيات المذهبية، طالما أن المذاهب كلها ملتزمة بما يرتبط بالإيمان بالله واليوم الآخر، فطالما وجد هذا الالتزام وهو الاعتقاد بالله، وبملائكته، وبرسله وبكتبه، و﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُسُلِهِ﴾ وأن الكل يعتقد بختم النبوة بنبي الإسلام محمد عليهما السلام، ويعتقدون أن الكعبة هي القبلة،

والكل يصلّي ويصوم ويعتقد بالشريعة الإسلامية، إذن فلا جدوى من أن يكفر كلا واحد منا الآخر وإن كان هناك خلاف عقائدي فيما يرتبط ببعض المبادئ مثل الإمامة والخلافة أو باقي الخصوصيات المذهبية الأخرى، هذا الخلاف المذهبى لا يتم على أساس تمزيق وحدة صف الأمة الإسلامية، فالتقريب يعني أن نقرب الأفكار المشتركة وندعو إليها ونبذ التفرقة مع حفظ الخصوصيات المذهبية، وهذا الأمر ممكن وسائل وجارٍ بين البشر بسائر الأطياف، والإمام الراحل «رحمه الله عليه» عندما كان يدعو إلى الوحدة كان ملتفتاً إلى هذا الأمر، مع دعوته إلى الوحدة كان يبدأ في وصيته بحديث الثقلين: (إنِّي تارَكْتُ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَعَرْتَتِي مَا إِنْ تَمْسَكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضْلُلُوا بَعْدِي أَبَدًا)، طبعاً لا منافاة بين هذا وذاك، فنحن في الوقت الذي ندعو فيه إلى الوحدة الإسلامية نحفظ الخصوصيات المذهبية، مع حفظ الخصوصيات المذهبية وعدم التنازل عنها قيد أنملة، وهذا ممكن.

❖ عفواً شيخنا بالنسبة إلى كلمة الإمام الخميني .. بعضهم قد يتمسك بأن الإمام الخميني قد افتح وصيته السياسية الإلهية بحديث الثقلين، وعلى هذا الأساس لا يمكن أن تتحقق الوحدة مع أهل السنة؛ لأن محور الوحدة هو أهل البيت عليه السلام، فلا يمكن الاتحاد مع السنة إلا أن يتحولوا إلى شيعة ملتزمين بمحور الوحدة، وفي الطرف المقابل نرى أن الإمام الخميني أسس يوم القدس العالمي، فهل يمنع ابتداؤه بحديث الثقلين من الاتحاد في المواقف الخارجية؟!

❖ لا طبعاً، أنا قلت لك إن الخصوصيات المذهبية إذا كانت تخرج المسلم من

الإسلام إلى الكفر فإنها تمنع الوحدة؛ لأنه لا يمكن أن يتحد المسلم مع الكافر بعنوان الأمة الإسلامية الواحدة، ولكن الخصوصيات المذهبية الموجودة الآن بين المذاهب الأربع وذهب أهل البيت عليهم السلام، الخصوصيات المذهبية لا ترتبط بأجزاء الإيمان، ولا تلزم الإيمان؛ لأن الكل يعتقد بالكتاب ويعتقد بسنة النبي، ويعتقد بالشريعة الإسلامية وتحكيم الشريعة، إذن فالخصوصيات المذهبية لا تلزم الإيمان، فطالما أنها لا تلزم الإيمان والإسلام يمكن الوحدة على أساس الأخوة الإسلامية، فالإمام أيضاً من هذا المنطلق يعتبر المسلم أخي المسلم؛ ولذلك فالجمهورية الإسلامية الآن تحافظ بهذا الأمر وبعنوان شاهد: البعض كان يدعو إلى أن تقوم في المناطق السنوية مثل كردستان وبلوشستان بحملة تشيع السنة ودعوتهم إلى التشيع، لكن الإمام الراحل نهاهم نهياً باتاً وشدیداً، قال لهم: ما شأننا ومذهبهم؟ اتركوه على حالهم. فنحن حينما ندعو إلى الوحدة فليس معنى ذلك الدعوة إلى تشيع السنة أو تسنين الشيعة، فمع حفظ الخصوصيات المذهبية وعدم التنازل عنها يمكن الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، وهذا كان مبدأ الإمام الراحل رحمه الله.

❖ في الداخل الشيعي هناك إشكال على الحكومة الإيرانية بالتضييق الفكري على الشيعة ومصادرة بعض ما يعتقدون به وكل ذلك بسبب الوحدة الإسلامية، وفي الخارج هناك دعوى بأن هناك مساجد للسنة تصادر وأمثال ذلك، ما هو تعليقكم على ذلك؟

❖ هذا سؤال واحد يجمع الأمور المتناقضة، وهذا مما يدل على حقانية مبادئ الجمهورية الإسلامية في دعوتها إلى الوحدة، وكل واحد يعرف مبادئ الجمهورية الإسلامية بالشكل الذي يحلو له، طبعاً الجمهورية الإسلامية في إيران لا تضيق أي

تضيق على أتباع مذهب أهل البيت عليهما السلام في الالتزام بعقائدهم المذهبية، بل أكثر من ذلك، فإن الجمهورية الإسلامية أسست المجتمع العالمي لأهل البيت لنشر أفكار مذهب أهل البيت عليهما السلام، لأننا في الأساس نعتقد بمذهب أهل البيت عليهما السلام، وأهل البيت عليهما السلام تنسجم أفكارهم ورؤاهم مائة بالمائة مع مبدأ الوحدة الإسلامية ولا تختلف. إذن لا نستوحش من أننا ندعوا إلى الوحدة وندعو إلى مذهب أهل البيت عليهما السلام في الداخل والخارج وتعزيز الوحدة، لكن في الوقت نفسه لا نضيق على أتباع المذهب الشيعي، فأتباع المذهب الشيعي اليوم في إيران أحراز، عندهم قضاة، عندهم نواب في البرلمان، وبالنسبة للأحوال الشخصية والخصوصيات المذهبية في الأقاليم التي يكون الأكثريّة فيها من السنة فإن هذه المحافظات محاكمها تعمل على أساس المذهب الشيعي مثل بلوشستان وكردستان، يبقى الأمر في صلاة الجمعة والمساجد، في الأساس نحن لا نعتقد أن في الإسلام يوجد هذا المسجد الذي نسميه مسجد سني ومسجد شيعي، أو صلاة جمعة شيعية وصلاة جمعة سنية، لنفترض أن في البلد أكثريّة شيعية والسنة عددهم قليل، فلماذا لا يصلون في هذا المسجد الشيعي؟ أي مرجع من المراجع قال إن هذه المساجد خاصة للشيعة؟ أو عندما تقام صلاة الجمعة وإمامها شيعي فأي مانع من أن يصل إلى السنّي مع الإمام الشيعي كما أن هذه القضية في البلاد التي توجد فيها مساجد سنية وأئمة جمعة سنة فإن الإخوة الشيعة يصلون في مساجدهم ويأتون بالإمام السنّي كما في كردستان أو في بلوشستان.

إذن فمن الأساس الدعوة لتكوين مساجد سنية ومساجد شيعية وأئمة سنية وأئمة شيعية هي دعوة للتفرقة ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِللهِ﴾، وهي وقفٌ عامٌ وليس وقفاً

خاصاً لمجموعة دون مجموعة أخرى، فلماذا هذا الاختناق المذهب؟ فالجمهورية الإسلامية ترفض هذا الاختناق المذهب وما يقول إليه وتعتبر المساجد كلها لله، لا لطائفة دون أخرى، كما أن لصلاة الجمعة ضوابطها الخاصة، فإذا أقيمت صلاة الجمعة في بلد بفاصله فرسخين لا يجوز إقامة صلاة جمعة أخرى سواءً كانت سنية أم شيعية، فإذا كنا في بلد سني وفيه إمام جمعة سني فإننا نصلي خلفه، وإذا كنا في بلد الأكثري فيه من أتباع مدرسة أهل البيت عليهما السلام فليصلّ السنّي خلف أتباع المذهب، ألسنا نحن نعمل كذلك عندما نذهب إلى حج بيت الله الحرام؟! وفتوى الإمام الراحل والمراجع واضحة، فأساس هذه الدعوة نحن لا نقبلها ولا نلتزم بها؛ لأننا نعتبرها دعوة للتفرقة.

❖ ما مدى جدواية هذا الخطاب الوحدوي في هذا العصر الذي تحكم فيه العقل التكفيري وإشاعات المحتلين للبلاد الإسلامية ووصلت فيه الأمة إلى حالة من التناحر؟

❖ طبعاً جدواية الخطاب الوحدوي واضحة، فهذه الزمرة التكفيرية تريد أن تمزق الصف، وقد تحولت في الواقع إلى عصا يد الاستكبار، وخصوصاً في ظروف الاحتلال وتمزيق الأمة والخطط الماكنة لأمريكا والصهيونية، ففي الواقع تعتبر الوحدة في هذا العصر عنواناً لقوة الأمة الإسلامية، وإعادةً لقوة الأمة الإسلامية، وتوحيداً للصف مقابل الكفار، وتطبيقاً لهذه الآية الشريفة: ﴿أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، فأبناء الأمة الإسلامية عليهم أن يكونوا متحابين فيما بينهم.

❖ من هو أول من طرح مفهوم الوحدة الإسلامية؟ ومتى كان هذا الطرح؟

❖ هذا أشرنا له وقلنا إنه في المائة سنة السابقة كان السيد جمال الدين الأسدآبادي أو الأفغاني، أو ما شئت فعبر، ثم في زمن السيد البروجردي تأسس مجمع التقرير بين المذاهب الإسلامية في القاهرة وفي قم، ثم من بعد ذلك سافر بعض العلماء الثوريين إلى مصر وحظوا باستقبال رائع، منهم الشهيد نواب صفووي «رحمة الله عليه» الذي كان له دور بارز، وطبعاً في عصرنا هذا الإمام الراحل هو رائد الوحدة الإسلامية، وطبعاً هنا لا بأس بالتذكير بهذه النقطة، فإنه طالما كان الأزهر هو السباق لطرح شعار الوحدة الإسلامية وتوحيد صفوف الأمة حتى أسس حزبٌ هناك باسم الإخوان المسلمين، ومن المخاطر التي تهدد الأمة الآن أن البعض يود أن تنتقل المرجعية الفكرية لأتباع المدرسة السننية من الأزهر إلى بعض العصابات التكفيرية وهذا ما يهدد الوحدة، فإن بقى الأزهر الشريف يعود إليه الموقع المرموق بين أبناء الأمة سنة وشيعة، وخصوصاً الإخوة السنة، فطالما كان السباق إلى طرح شعار الوحدة، فلا تصادر المرجعية الفكرية للأزهر بيد العصابات التكفيرية، وهذا من أكبر المخاطر.

❖ هناك من يطرح هذه الإشكالية المدعاة – والمانعة من الاتحاد مع الشيعة – : ما فائدة الوحدة والشيعة يسبون الصحابة؟

❖ نحن لا نسبُ الصحابة ولا غيرهم، فالسبُ ليس من شيمة المؤمن، وعدول الصحابة هم الذين جاهدوا مع رسول الله ﷺ وأبلوا بلاءً حسناً من شهيد وجريح، والذين التزموا بخط الصحابة بصدق ووفاء فنحن نترحم عليهم ونترضى عليهم، وهذا كتاب الصحيفة السجادية ودعاء الإمام السجاد عَلَيْهِ السَّلَام للصحابة من هذه الناحية. يبقى أننا نقسم الصحابة إلى قسمين: عدول وغير عدول، آيات كثيرة في القرآن

وسور تتحدث عن المنافقين وغير المنافقين الذين كانوا إلى وقت رحيل الرسول الأكرم عليه وآله وهم يريدون أن يمزقوا صف الأمة، وطبعاً القرآن الكريم يلعنهم، واللعن هوطرد عن رحمة الله، وهو غير السب، فنحن لا نسب، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذِنُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾، لكننا لا نقول بالسب، وليس من شيمة المؤمن أن يسب إنساناً مسلماً آخر فضلاً عن الصحابي العادل، والصحابي التزم بحق الرسول، وإن فالصحابي الذي لم يتزم بذلك فإن نفس الرسول يشتكى منه في يوم القيمة، وبتصريح البخاري أن الرسول يشتكى منهم بأنهم كيف خلفوه من بعده، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه علمنا بسكوته وصمته ونصرته للدولة الإسلامية في الصدر الأول بالالتزام بالوحدة في هذا الخط بقوله: (الأسلمن ما سلمت أمور المسلمين)، وكان كمستشار للخلفاء في ذلك الوقت كما هو واضح، إذن نحن نقسم الصحابة إلى قسمين: عدول وغير عدول، العدول نترحم عليهم ونرتضيهم ونكن لهم الاحترام اللازم والواجب لصحبة رسول الله عليه وآله وهم، وأيضاً نقل عنهم ونشهد بكلامهم، مثل حذيفة اليمان وأمثالهم، وأما المنافقون منهم فلا؛ لأن نفس الرسول عليه وآله وهم يشتكى منهم، وهذا غير السب، وإذا كانت الوحدة أيضاً تقتضي فنحن حتى في هذا الجانب نسكت ولا نتحدث، وأيضاً الخطاب الحاد والمتوتر الذي يمزق الصف لا جدوى لطرحه ولا يترتب عليه ثمرة غير التذمر والتشتت.

✿ هناك تذمر من أن الشيعة مقصرون، ولا توجد فتاوى تحريم قتل السنة، هل توجد أمثال هذه الفتاوى عند الشيعة؟ ومتى بدأت؟
❖ لا بل هناك فتاوى عند الشيعة، ما شاء الله توجد فتاوى تحريم الاقتتال بين

ال المسلمين وأن المسلم حرامٌ أن يتعدى على عرض ومال ودم المسلم، وإذا صار تعدى فإنه ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَئِكُمُ الْأَلْبَاب﴾، وهذا المبدأ واضح وفتاوى علماء الشيعة صريحة في هذا الأمر خصوصاً في الآونة الأخيرة التي صار فيها اقتتال في العراق بين ما يسمى سنة أو شيعة، فآية الله العظمى السيد السيستاني حَفَظَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْعَانِهِ قال: إنه ولو قتلوا منكم مائة فإنه لا يجوز لكم أن تقتلوا منهم واحداً ﴿وَلَا تَزِرُ وَازْرَةٌ وَزْرًا أَخْرَى﴾، فقط القاتل يقتضي منه من باب ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَئِكُمُ الْأَلْبَاب﴾، ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلومًا فَقَدْ جَعَلَنَا لَوْلَاهُ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْفَتْلِ﴾.

﴿اتخذ المجلس العلمائي في البحرين بقيادة سماحة الشيخ عيسى قاسم حَفَظَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْعَانِهِ شعاراً لكل عام هجري قمري كالتالي: (نحو أسرة حسينية ملتزمة) ١٤٢٦هـ (مرجعية الفقيه.. مرجعية الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ) ١٤٢٧هـ (نحو وحدة وطنية وإسلامية جامعة) ١٤٢٨هـ ما رأيكم في هذه الشعارات ومناسبتها للتوقيت؟

❖ جيد جداً هذا الشعار، طبعاً الوحدة الوطنية هذا مبدأ داخلي للتماسك الداخلي، والمشاركة والاشتراك في الوطن، والعمل من أجل بناء الوطن، وحتى يأخذ أبناء الطائفة وأبناء المذهب مكانتهم في الوطن وتسير أمورهم كما هو لائق بشأنهم. وأما فيما يتعلق بشعار الوحدة الإسلامية الجامعة الشاملة فهو دعوة إلى الأئمة الإسلامية والنساجم الإسلامي، وخصوصاً لعدم التأثر من الأجراءات الموجودة الآن في العراق، في الشرق الأوسط، في الخطاب الذي تروج له بعض الفضائيات المغرضة، وأن يأخذ الكل حذره من الواقع في الفخ، العدو يريد أن يمزق صف الأمة، وخصوصاً في البحرين الذي ربما تكون فيه طوائف ومذاهب مختلفة، فربما

يستغل العدو هذا الظرف للتناحر المذهبى، فهذا شعار جيد وسائل الله لكم وللمجلس العلمائى التوفيق في تمثيلية هذا الأمر، وكما تعلم أن السيد القائد حَفَظَهُ اللَّهُ أيضاً في إيران الإسلام أعلن هذا العام باسم (عام الوحدة الوطنية والانسجام الإسلامي)، وجاء هذا الشعار طبعاً بعد تبني المجلس العلمائى لهذا الشعار وليس قبله، فنبارك لكم باتخاذكم هذا الشعار.

❖ في ختام هذا اللقاء هل من ثمار ملموسة على أرض الواقع كنتيجة لمفهوم الوحدة الإسلامية؟

❖ نعم ما شاء الله، أنت تحدث بهذا الشكل: لو لم يكن شعار الوحدة ودعوة المصلحين والمفكرين والعلماء والمراجع للوحدة الإسلامية لاستطاع العدو الصهيوني والعدو الأمريكي والاستكبار العالمي أن يصل إلى مبتغاه، فالمقاومة التي نشاهدها اليوم في مقابل العدو الصهيوني والأمريكي أحد أسبابها هو التماسك بين أبناء الأمة الإسلامية، الحمد لله هذا اليوم أبناء الأمة الإسلامية يعون خطورة التفرقة والتمزق ويدركون أهمية الوحدة الإسلامية، ونحتاج أن نؤكد على هذا الأمر أكثر فأكثر، على أي حالأشكركم شكرأ جزيلاً وأستريحكم عذرأ، وصلى الله على محمد وآلـه الطاهرين.

إِعْلَانُ سَمَاعَةِ آيَةِ اللَّهِ الْعَظِيمِ السَّيِّدِ الْأَمِنِيِّ دَامَ طَلَبُهُ

(عام الولادة الوطنية والانسجام الإسلامي)

إنَّ على العالم الإسلامي أن يفي بالتزاماته إذا ما أراد أن يأخذ بيد الأمة الإسلامية على الطريق الصحيح نحو النصر، وعلى رأس هذه الالتزامات الوحدة الإسلامية والانسجام الإسلامي.

إنَّ دقَّ إسفين الخصومة بين الأشقاء ليس سوى خطَّةٌ دأب عليها الاستكبار منذ القدم، فشعاره: «فرق تسد»، وهي سياسة قديمة، ومع معرفتنا جميعاً بهذه القضية فإن البعض بوسعيه استخدام نفس هذه السياسة للأسف الشديد، ونحن في غفلة عن ذلك جراء الأهواء النفسية والتحليلات الخاطئة وانعدام النزرة الثاقبة، وترجح المصالح الشخصية أو المصالح قصيرة الأمد على المصالح بعيدة المدى.

إنَّ سياسة الاستكبار اليوم تتركز في إيقاع الصدام والتناحر بين الفلسطيني والفلسطيني، والعراقي والعراقي، والمسلم الشيعي والمسلم السنّي، وبين العربي وغير العربي، وهي سياسة معروفة.

إنَّ من الواجب على الجميع أن يتخلصوا من هذا الداء أولاً وقبل كل شيء، ونحن من جانينا نعتقد أنَّ الوحدة بين الأمة الإسلامية ضرورة أساسية؛ ولذلك فقد أطلقنا على هذا العام (عام الوحدة الوطنية والانسجام الإسلامي).

إنَّ الانسجام الإسلامي ناظرٌ إلى كافة بقاع العالم الإسلامي في وجه من

الوجوه.

لابد من الانسجام بين الجميع، ولابد من مساعدة البعض للبعض الآخر، سواء أكان ذلك على مستوى الحكومات أو الشعوب الإسلامية، ويمكن أن يكون للحكومة الإسلامية نصيبٌ ودورٌ فاعلٌ في الاستفادة من استعداد وقابلية الشعوب الإسلامية لتحقيق هذه الوحدة الكبرى.

على أن ثمة عراقيل تعوق مشروع الوحدة، وفي مقدمتها الرؤية غير الواضحة، وعدم وقوف البعض على حقائق الأمور، وانعدام الصلة بين الأشقاء، وشك الوحد في الآخر، والجهل بآراء وأفكار الجانب الآخر، كما هو شأن الشيعي مع السنّي، والسني مع الشيعي، وهذا الشعب المسلم مع الشعب المسلم الآخر، والجار مع الجار، وسوء التفاهم الذي يستغله الأعداء بشدة ودهاء.

وللأسف فإن البعض يقع في حبائل الأعداء ويصبح لعبةً في أيديهم بسبب سوء الفهم وسوء التحليل والجهل بحقيقة الخطة العدائية.

فأحياناً يندفع المرء للكلام من أجل الرغبة في تحقيق هدف صغير ومحدود، فيكون لنفسه رأياً ويتخذ موقفاً يستغله الأعداء في تنفيذ خطّتهم العامة، وشقّ الصف وتعميق الهوة بين الأشقاء.

إن الوحدة هي الدواء الناجع لكل أدوات العالم الإسلامي اليوم، فعلى الجميع أن يتّحدوا.

إن على علماء ومفكّري المسلمين أن يتكاتفوا على وضع دستور للوحدة

الإسلامية، وأن يُصدروا بياناً بهذا الشأن؛ حتى لا يتجرأ أولئك الجهلاء المتعصّبون
المنتسبون إلى تلك الفرقة الإسلامية أو ذلك التيار على تكفير غالبية المسلمين
واتهامهم بالخروج عن الإسلام بكل يُسر وحرية.

إن التاريخ يطالب المتفقين والعلماء المسلمين اليوم بأمور عدّة، وفي مقدمتها
إصدار مثل ذلك البيان.

إن الأجيال القادمة لن تغفر لكم إذا لم تتحققوا هذا الإنجاز. لا تشعرون بعذاء
الأعداء وكيف يبذلون قصارى جهدهم لمحو الهوية الإسلامية وشقّ الصف
الإسلامي؟! اجلسوا وفكروا في العلاج، ولترجحوا الأصول على الفروع.

«من خطاب له في مولد
الرسول ﷺ لعام ١٤٢٨هــق».

بيان لسماعة آية الله العظمي السيد السيساستاني دارقطن

لدول الولادة الإسلامية ونبذ الفتنة الطائفية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرُّقُوا﴾

تمرّ الأمة الإسلامية بظروف عصيبة وتواجه أزمات كبرى وتحديات هائلة تمّسّ حاضرها وتهدد مستقبلها، ويدرك الجميع - والحال هذه - مدى الحاجة إلى رصّ الصفوف ونبذ الفرقة والابتعاد عن النعرات الطائفية والتجنّب عن إثارة الخلافات المذهبية، تلك الخلافات التي مضى عليها قرون مطافولة ولا يجدون سبيلاً إلى حلّها بما يكون مرضياً ومحبلاً لدى الجميع، فلا ينبغي إذن إثارة الجدل حولها خارج إطار البحث العلمي الرصين، ولا سيما أنها لا تمّسّ أصول الدين وأركان العقيدة، فإن الجميع يؤمنون بالله الواحد الأحد وبرسالة النبي المصطفى ﷺ وبالمعاد وبكون القرآن الكريم - الذي صانه الله تعالى من التحريف - مع السنة النبوية الشريفة مصدراً للأحكام الشرعية وبمودة أهل البيت ع ، ونحو ذلك مما يشترك فيها المسلمون عامّة ومنها دعائم الإسلام: الصلاة والصيام والحجّ وغيرها.

فهذه المشتركات هي الأساس القوي للوحدة الإسلامية، فلا بدّ من التركيز عليها لتوثيق أواصر المحبة والمودة بين أبناء هذه الأمة، ولا أقل من العمل على التعايش السلمي بينهم مبنياً على الاحترام المتبادل وبعيداً عن المشاحنات

والمهاترات المذهبية والطائفية أياً كانت عناوينها.

فينبغي لكل حريص على رفعة الإسلام ورقي المسلمين أن يبذل ما في وسعه في سبيل التقرير بينهم والتقليل من حجم التوترات الناجمة عن بعض التجاذبات السياسية لثلا تؤدي إلى مزيد من التفرق والتبعثر وتفسح المجال لتحقيق مآرب الأعداء الطامعين في الهيمنة على البلاد الإسلامية والاستيلاء على ثرواتها.

ولكن الملاحظ - وللأسف - أن بعض الأشخاص والجهات يعملون على العكس من ذلك تماماً ويسعون لنكرис الفرق والانقسام وتعيق هوة الخلافات الطائفية بين المسلمين، وقد زادوا من جهودهم في الآونة الأخيرة بعد تصاعد الصراعات السياسية في المنطقة وارتفاع النزاع على السلطة والنفوذ فيها، فقد جدوا في محاولاتهم لإظهار الفروقات المذهبية ونشرها بل والإضافة عليها من عند أنفسهم مستخدمين أساليب الدس والبهتان لتحقيق ما يصيرون إليه من الإساءة إلى مذهب معين والتنقيص من حقوق أتباعه وتحريف الآخرين منهم.

وفي إطار هذا المخطط تنشر بعض وسائل الإعلام - من الفضائيات ومواقع الإنترنت والمجلات وغيرها - بين الحين والآخر فتاوى غريبة تسيء إلى بعض الفرق والمذاهب الإسلامية وتنسبها إلى سماحة السيد دامت طولته في محاولة واضحة للإساءة إلى موقع المرجعية الدينية وبغرض زيادة الاحتقان الطائفي وصولاً إلى أهداف معينة.

إن فتاوى سماحة السيد دامت طولته إنما تؤخذ من مصادرها الموثوقة - ككتبه الفتوائية المعروفة الموثقة بتوقيعه وختمه - وليس فيها ما يسيء إلى المسلمين من سائر الفرق

والمذاهب أبداً، ويعلم من له أدنى إلمام بها كذب ما يقال وينشر خلاف ذلك.

ويضاف إلى هذا أن مواقف سماحته والبيانات الصادرة عنه خلال السنوات الماضية بشأن المحنـة التي يعيشها العراق الجريح، وما أوصى به أتباعه ومقلديه في التعامل مع إخوانهم من أهل السنة من المحبة والاحترام، وما أكـد عليه مراراً من حرمة دم كل مسلم سنياً كان أو شيعياً وحرمة عرضه وماله والتبرؤ من كل من يسفـك دماً حراماً أيـاً كان صاحبه - كل هذا - يفصـح بوضـوح عن منهج المرجـعـية الدينـية في التعـاطـي مع أـتـابـاعـ سـائـرـ المـذاـهـبـ وـنـظـرـتـهاـ إـلـيـهـمـ، ولو جـرـىـ الجـمـيعـ وـفـقـ هذاـ الـمـنهـجـ معـ مـنـ يـخـالـفـونـهـمـ فـيـ المـذـهـبـ لـمـ آـلـتـ الـأـمـورـ إـلـىـ ماـ نـشـهـدـهـ الـيـوـمـ مـنـ عـنـفـ أـعـمـىـ يـضـرـبـ كـلـ مـكـانـ وـقـتـلـ فـطـيـعـ لـاـ يـسـتـشـئـ حـتـىـ الطـفـلـ الصـغـيرـ وـالـشـيخـ الـكـبـيرـ وـالـمـرـأـةـ الـحـامـلـ وـإـلـىـ اللـهـ الـمـشـتـكـىـ.

نـسـأـلـ اللـهـ تـبارـكـ وـتـعـالـىـ أـنـ يـأـخـذـ بـأـيـدـيـ الـجـمـيعـ إـلـىـ مـاـ فـيـهـ خـيـرـ هـذـهـ الـأـمـةـ وـصـلـاحـهـ إـنـهـ عـلـىـ كـلـ شـيـءـ قـدـيرـ.

مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله
النجف الأشرف

١٤٢٨ / المحرم / ١٤

٢٠٠٧/٢/٣

كتاب الولادة

من كتاب الجمعة لسعادة العلامة الشیخ میاسد الامین قاسم حفظہ

[١]

المجلس العلمائي رفع شعار الوحدة لهذا العام وهو «نحو وحدة وطنية وإسلامية جامعة». لماذا هذا الشعار؟ هذا الشعار يستهدف ثلاثة أمور:

(١) لقد وصلنا إلى أسوأ حالة من حالات الفرقة والشتات وهي حالة التأصيل للفرقة والشتات، والتأصيل للاحتراب، حتى أصبح الاحتراب بين المسلمين ديناً، وصار قتل المؤمن للمؤمن، المسلم للمسلم سبباً لدخول الجنة، ولم تصل الأمة في يوم من الأيام إلى حالة أخطر من هذه الحالة. أمام هذا التأصيل لحال الفرقة والشتات والاحتراب لابدّ من تأصيل للوحدة بين أبناء أمة الإسلام وهو جاهز قرآنًا وجاهز سنةً وجاهز تاریخاً للمسلمين. واضح أن الوحدة الإسلامية دین، وأن الدين ناقص بلا اعتقاد وجوب الوحدة الإسلامية والعمل من أجلها.

فالهدف الأول لطرح هذا الشعار أن نشغل بحالة من التأصيل للوحدة الإسلامية الجامعة ليتحول الإيمان بها في ذهن الإنسان المسلم وفي نفسه إلى إيمان حيّ فاعل متحرك على الأرض. الحالة الإسلامية في هذا الاتجاه تتعرض لتشويه خطير جداً، يعادى القرآن والسنة وتاريخ المسلمين ويخالف ذلك كله تماماً وذلك من خلال واقع التأصيل للفرقة والشتات والاحتراب.

(٢) أن تأخذ حالة الإيمان الفكري بضرورة الوحدة من ناحية دينية حالة شعور يملأ على النفس أقطارها، ويعطي الإنسان القدرة على الفاعلية والحركة في اتجاه

التضحيه من أجل قيم الوحدة، ومن أجل واجب الوحدة، ومقتضياتها.

(٣) أن نعيش نوعاً م مشروع الوحدة في كل مجتمعنا بمعنى أن تعيش هذه الفئة مشروعياً وحدوياً معيناً، والفئة الأخرى تعيش مشروعياً آخر مثلاً، وتلك المؤسسة تطرح مشروعياً ثالثاً ونفعله. يتحرك الشعار من أجل أن تطرح مشاريع وحدوية تستقطب اهتمام الساحة، ولعلها تصل بالساحة إلى درجة من الاقتراب من هذا الواجب العظيم وهو واجب الوحدة.

نحن نعلم تماماً بأن المشكلة أكبر بكثير لمعالجتها من أن يطرح شعار، وينشط لهذا الشعار ويأخذ تمحوراً كبيراً من المسلمين لسنة أو سنتين أو ثلاث حتى على مستوى الأمة فضلاً عن مستوى بلد صغير أو مؤسسة محدودة، ولكن لابد من الإسهام. نحن لا نطبع بهذا الشعار في حل المشكلة، بقدر ما نطبع في الإسهام في هذا الحل، والقيام بالامتثال الواجب الإلهي في هذا الاتجاه.

وبمناسبة طرح هذا الشعار يكون على المجلس الإسلامي العلمائي الذي تبنته أن يطرح برنامجه العملي الذي يعيّن الحالة الفكرية والنفسية والعملية في اتجاه مصلحة هذا الشعار.

على المجلس الإسلامي العلمائي أن لا يطرح شعاراً من دون أن يطرح برنامجه العملي الذي يعطي الفاعلية لهذا الشعار ويترجمه على المستوى العملي. والمسؤولية ليست مسؤولة المجلس العلمائي وحده، سواء وفي بواجهه أو قصر فإن المسؤولية مسؤولة الجميع. الشعار دعوة لكل المجتمع، لكل أبناء الوطن، ولكل مؤسساته أن يتعاونوا على الخير وأن يدخلوا في مشاريع وحدوية وأن تكون لهم خطواتهم العملية التي تترجم شعورهم بالحاجة إلى الوحدة وإيمانهم بما دعا إليه القرآن

الكريم والستة المطهرة من هذا التعليم الضروري الكبير.

الشعار دعوة للمجتمع ولأعضائه وأفراده بأن يقولوا القول الحسن وأن يفعلوا الفعل الحسن وأن يطرحوا المشاريع والبرامج الرشيدة والتي تغذي الشعور بواجب الوحدة وتفعلها. وهنا تتحمل الحكومة بخصوصها ومن بعد ذلك المجلس النيابي واجباً خاصاً في هذا الاتجاه. سبق أن قلت بأن مشكلة الفرق والمتمزق والشّتات في هذا الوطن أكبر أسبابها الموقف الحكومي والخلاف على المسألة السياسية، الخلاف والتزاع في المسألة السياسية ينعكس بآثار سلبية مدمرة على المجتمع كله، ويخلق خلخلة كبيرة في الصف الإسلامي سنيّه وشيعيّه، وسنيّه سنيّه، وشيعيّه شيعيّه، ويخلق مواجهات حادة لا مبرر لها وإنما هي مواجهات موهومة. كل ذلك مسؤولية يتحملها الخلاف السياسي المنطلق من موقف الحكومة. الحكومة والمجلس النيابي مسؤولان أن يعملوا بروح تعاونية ووحدة، ونية صالحة، وجهد مضاعف لصالح هذا الشعب ووحدته وإخائه وتقدمه.

«مقطع من خطبة الجمعة: ١٣ محرم ١٤٢٨ هـ ق».

[٢]

أورد سماحته جملة من النصوص ثم علق عليها بقوله:
في ضوء النصوص السابقة يمكن لنا أن نقول بأن الوحدة الإسلامية واجبة شرعاً وبكل وضوح واطمئنان، ومن ناحية عقلية فإن حفظ مصلحة الإسلام، وحفظ كيان الأمة، والرقي بمستوى الأمة، والتقدم بها، وصون الإسلام من العدوان الخارجي كل ذلك واجب شرعاً، وهو متوقف على وحدتها فتكون الوحدة واجبة في العقل.

ثم توجد الضرورة العملية. هناك عدوانٌ شرسٌ على الأمة بكل مذاهبها، هناك عملية سحق خارجي، هناك عملية تصفيية، محوٌ لوجود هذه الأمة، استيلاءٌ عليها، استعبادٌ، سلبٌ لحريتها، هذا العدوان الشرس وهذه الهجمة الظالمة لا يردعها شيءٌ كما هي الوحدة، فالضرورة قاضيةٌ بالوحدة بين المسلمين.

هذا كلام في ما هو الواجب، أمّا في ما هو الواقع فتصوّراً يمكن للأمة أن تكون متحدةً، ويمكن لها أن تكون مفترقةً، ويمكن لها أن تكون محتربةً، والاتحاد قوّة، والافتراق ضعفٌ، أما الاحتراط فانتهار.

وإذا كان هذا هو التصور فإن واقع الأمة - خارجاً - بين أمرتين: بين الافتراق والاحتراط، الافتراق كاد يكون مستولياً على الساحة بكمالها؛ الافتراق على أساس المذهب، وعلى أساس القومية، وعلى أساس الطبقة، وعلى أساس حاكمين ومحكومين كاد أن يستولي على الساحة الإسلامية بكمالها، والاحتراط بدأ ينشط ويتحول إلى ظاهرة ممتدة؛ تمدد وتوسيع لتسوّع المساحة الكبرى من واقع المسلمين وحياة المسلمين، هذا هو الواقع.

ما الأسباب؟

- يظهر لي أن من أقوى الأسباب لهذا الواقع المرير المهترئ والمستعر والمدمر هو فتح باب الاجتهد بصورة مبتسرة، ووجود اجتهادات قاصرة ومجتهدين صغار كثُر، والإخوة السنة الذين كانوا يسدون باب الاجتهد أصبح باب الاجتهد عندهم مفتوحاً على مستوى طالب جامعيٍّ، على مستوى إنسان غيور عن الدين ليست له أية عقلية فقهية تؤهله للاجتهد، صار الاجتهد من ناحية عملية حقاً حتى للمثقفين العاديين، وهذا منتشر عند الإخوة السنة وقد يمتد إلى المحيط الشيعي.

- قصر النظر العملي الموضوعي، هناك من يحمل شيئاً من الفقه أو يعطي لنفسه حق الاجتهاد من غير أن تكون له بصيرةٌ عمليةٌ ولا يعرف تشابكات الواقع وما تنتجه فتاواه من مخاطر مدمرة.

ولا بد أن ندخل في حسابنا هنا التربية السيئة، أصحاب المصالح السياسية التي يذهب بهم الجشع والطمع والدنيوية إلى حد التضحية بالأمة وبكل مقدّس وبكل غال عليها حفاظاً على مصالحهم السياسية والمادية، وما أكثر حكومات العالم العربي والإسلامي من هذا النوع في هذا اليوم !!

- العلماء الأجراء للأجنبى على مستوى الأفراد والمؤسسات والحكومات.

- الدور التخريبي المباشر للأجنبى وهيمنته السياسية على البلد الإسلامية، وقدرته على فرض آرائه و سياسته على هذه الحكومة وتلك الحكومة.

«مقطوعٌ من خطبة الجمعة: ٢٩ ذي الحجة ١٤٢٧ هـ - ق».

[٣]

ما هو متعلق الوحدة كما تظن؟ أن تحول شيعةً كلنا؟! أن تحول سنةً كلنا؟!
مطلوبُ ليس دونه خرط القتاد كما يعبر الفقهاء، وإنما دونه حصد الرقاب.
لا يمكن بأي حال من الأحوال - وتحت أي ضغط - أن يتحول العالم الإسلامي
كله إلى شيعة، أو أن يتحول إلى سنة، وإذا أردنا الوحدة على مستوى تفصایل
العقيدة فإن الصحابة كما سبق لم يكونوا على رأيٍ واحدٍ في هذا الأمر، وإذا أردنا
وحدة إسلاميةً على مستوى الفروع الفقهية فالصحابة إذن لا يشكلون أمّةً واحدةً،

والمذاهب السننية الأربع لا تشكل أمةً واحدةً، والمذهب الشيعي نفسه في اجتهاداته المختلفة لا يشكل أمةً واحدةً.

إما أن نقبل بأننا كنا ونحن في أحضان الإسلام بعد حياة الرسول ﷺ أمةً، وبقينا أمةً، وسبقى أمةً، وذلك للاختلاف الفقهـي، وفي بعض تفاصيل العقيدة، وفي دقة الرؤية التوحيدـية وعدم دقتها، وأن علينا أن يحصد أحدنا الطرف الآخر إلى آخر واحد، وإماً بأن نقول بأن كل هذه الاختلافات لم تعدد الأمة في ماضيها، ولا تعددـها في حاضرها ومستقبلها، والأمر كذلك.

إنـنا أمةً واحدةً عـقـيدةً وفقـهاً، والاختلافـ في بعض دقـائق العـقـيدة، والـفـروعـ الفـقهـيـةـ لا يـقـسمـناـ إـلـىـ أـمـتـينـ أوـ أـمـ

الـموـحدـونـ الشـيـعـةـ لـيـسـواـ عـلـىـ فـهـمـ وـاحـدـ لـلـتوـحـيدـ، وـالـموـحدـونـ السـنـنـةـ لـيـسـواـ عـلـىـ فـهـمـ وـاحـدـ لـلـتوـحـيدـ، فـإـذـاـ كـانـ التـفـاوـتـ فـيـ دـقـةـ الـفـهـمـ لـقـضـيـةـ التـوـحـيدـ مـقـسـمـاـ إـلـىـ أـمـ فـنـحنـ لـسـناـ أـمـتـينـ فـقـطـ، وـإـنـماـ أـمـ مـتـكـثـرـةـ.

وقد سبق أن النبي ﷺ مسلمٌ وهو على توحيدِ أكملِ توحيد، وأن الأعرابي الذي آمن بالأمس أو اليوم مسلمٌ وهو على ما هو عليه من توحيد ضبابي غائم، وذلك من ناحية الحقوق العامة الدينـيةـ للمـسـلـمـ عـلـىـ أـخـيـهـ المـسـلـمـ.

وإـذـاـ كـانـ الـعـقـيـدةـ لـاـ يـمـكـنـ أـنـ نـتـوـحـدـ عـلـيـهـ بـمـاـلـهـاـ مـنـ دـقـةـ بـالـغـةـ، فـهـنـاكـ قـصـاـيـاـ كـثـيرـةـ جـداـ يـمـكـنـ أـنـ نـتـوـحـدـ عـلـيـهـ، وـيـجـبـ أـنـ نـتـوـحـدـ عـلـيـهـ.

الـحـفـاظـ عـلـىـ الـأـمـنـ الـوـطـنـيـ لـكـلـ بـلـدـ مـنـ بـلـدـانـ الـإـسـلـامـ، قـضـيـةـ تـهـمـ الـجـمـيـعـ، وـفـقـدـهـ يـضـرـ بـالـجـمـيـعـ، وـلـأـمـرـ يـقـضـيـ الـاـخـتـلـافـ فـيـ الـحـفـاظـ عـلـىـ هـذـهـ القـضـيـةـ. إـقـامـةـ الـعـدـلـ فـيـ أـرـضـ الـإـسـلـامـ، وـالـأـخـذـ بـالـمـساـواـةـ فـيـ الـحـقـوقـ وـالـوـاجـبـاتـ،

المساواة بمعناها الدقيق، وليس بمعناها السطحي الساذج، إقامة العدل في أرض الإسلام، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مواجهة الظلم والفوضى من أي مصدر كان من حاكم أو محكوم، من سني أو شيعي، هذا كله يمكن أن تتوحد عليه.

حماية الدين والأمة من الأجنبي، أمرٌ يهم الجميع، وغيابه يضر بالجميع، ولا عائق إذا أنصفنا يعيق عن الأخذ بالوحدة في هذا المجال.

التقدم بمستوى الأمة وأوطانها، وحل مشكلات الجهل والفقر والمرض إلى آخر المشكلات، وهي مشكلات تضائق الجميع، وتضرُّ بالجميع، من مسؤولية الجميع، والتوحد عليها لا يقف أمامه عائق.

تبليغ الإسلام في خطوطه العامة، وكذلك أن تبلغ الإسلام كما تفهم، وأبلغ الإسلام كما أفهم، تبليغي وتبلغك يخدمان الإسلام العام، ويقللان من موجات الكفر وامتداداتها في البلاد الإسلامية على الأقل.

نقطة أخرى ومحور آخر: الوحدة الوطنية ووحدة الأمة.

هل العلاقة بين الوحدة الوطنية ووحدة الأمة علاقة انسجام، أو علاقة تهافت وتعارض؟

هل حفاظي على أمن البحرين فيه تهافت مع حفاظي على أمن الأمة؟ اعتزازي بالبحرين فيه تهافت مع اعتزازي بالأمة؟ ولائي للبحرين بالمعنى الذي يرضاه الله يتھافت مع ولائي للأمة؟ أم أن العلاقة بين كل ذلك هي علاقة توافق وانسجام؟ حين نأخذ الولاء، والمصلحة، والنصرة إلى آخر هذه الأمور بالمعنى الإسلامي فلا تهافت، وحين نأخذها بالمعنى الجاهلي فالمسألة تؤول إلى التهافت، ونحن

مسلمون، وعلينا أن نأخذ الأمور بمالها من معنى في الإسلام.

قوة الأمة في وطنها الكبير من قوة الأمة في أوطانها الصغيرة كما أن مصر ملك الإسلام فالبحرين ملك الإسلام، وكما أن تركياً ملك الإسلام فعمان مثلاً ملك الإسلام، وعزّة الأمة متربطة، وانتصارها متربطة، والعكس متربط، فكلما عزّ وطن من هذه الأوطان، وكلما نهض وطن من هذه الأوطان، كلما حقق نصراً كلما كان ذلك يصب في صالح الوطن الكبير، والعكس بالعكس.

نقطة أخرى في هذا المجال وهي التعددية على مستوى المسلمين والآخر في الوطن الواحد من بلاد الإسلام، وعلى مستوى الأمة، وعلاقة ذلك بالوحدة والفرقة. في البحرين توجد قوى إسلامية، وتوجد قوى غير إسلامية، يوجد مسلمون ويوجد نصارى ويهود، فكيف تكون الوحدة الوطنية في ظل الإسلام؟

صدر الإسلام لا يضيق بخير على الإطلاق، إذا كانت الوحدة على شر فالMuslim لا يدخل فيها طرفاً سواء كان الطرف الآخر مسلماً أو غير مسلم، وإذا كانت الوحدة على هدى وخير وفيها صلاح الإنسان، وكل صلاح للإنسان فيه رضا الله عز وجل، فهذه الوحدة يبادر إليها المسلم سواء كان الطرف الآخر مسلماً أو غير مسلم. إقامة الحق والعدل في الأرض، العدل في الحقوق والواجبات، مناهضة الانحراف الخلقي، والانحطاط الإنساني يدخل فيه المسلم أياً كان الطرف الآخر، فنحن من منطلق الإسلام مستعدون دائماً للوحدة حتى مع غير المسلمين فيما هو خير، فيما هو صلاح؛ لأن في ذلك مرضاعة الله تبارك وتعالى.

«مقطع من خطبة الجمعة: ٦ محرم ١٤٢٨ هـ. ق.».

شعار الولادة الإسلامية ضرورة لا هبّية

عبد الرؤوف حسن آل ربيع

بسمه تعالى شأنه، هناك تساؤل كثيراً ما يرد على بعض الألسن وهو عن مدى الفائدة المرجوة والمبرر الكافي من طرح شعار الوحدة بقوّة في الأوساط الإسلامية، خاصةً من قبل طائفة هي الأكثر عرضة للظلم والاضطهاد، حيث تُمنى يومياً بألوان البلايا وصنوف العذاب، وتتطاير منها الأشلاء البريئة بدون ذنب، وتلاحقها الشتائم وفتاوي التكفير على الملا، وكل ذلك على مرأى ومسمع من الآخرين من غير أن يحرك غيرهم ويقض مضجعهم بالمستوى المطلوب، أو لا أقل يحفّزهم لكلمة الإنصاف إن لم تكن ردّة فعلهم عكسية في العديد من الأحابين؟

ويواصل الإشكال: ألا يعدّ بث مسائل الوحدة في هذه الأجواء عبشاً لا طائلة فيه؟ وهدر الجهد والوقت مع أطراف لا أبالية خسرانٌ مبين؟ ونتيجة ذلك أن الواقع إن لم يزدد سوءاً ورداةً لن يتغيّر عما هو عليه؟

ثم إنَّ تنازل طائفة بشكلٍ كبير عن خصوصياتها - في سبيل الوحدة - في قبال إصرار الأطراف الأخرى على طرح عقائدها ومبادئها بصورة صريحة بدون اكتتراثٍ ألا يقود إلى انصهارٍ وتذويبٍ تدريجيٍّ لهذه الطائفة في غيرها من الطوائف والفرق، فتحكم على نفسها بالإعدام؟

والذي يفهم من أصحاب هذا التساؤل والإشكال ليس رفض أصل وأساس الوحدة من رأس - إذ قد يؤمنون بأهميتها نظرياً - ولكن عندما ينزلون إلى الواقع

المعاش ويعاينون عمق الشرخ والصدع في جسد الأمة الإسلامية وما آلت إليه من شتات رديعاً مديداً من الزمن يشعرون بنوع من الخيبة اتجاه جدوى وفعالية طرح مشاريع باسم الوحدة، بل يرى بعضهم أن نسبة ضررها أكبر من نفعها. وفي مقام مناقشة هذا الإشكال وتوضيح بعض ملابساته سبقت مجموعة من النقاط، منها:

أولاً: إن قضية الوحدة الإسلامية ليست أمراً عابراً يستفيد منها المسلمون بشكل طارئ حيناً ويطرحونها بإرادتهم حيناً آخر، بل هي تكليف ربانيٌّ ضروريٌّ ثابتٌ أنزله الله ﷺ على كافة المسلمين حاله كغيره من الأحكام الإلزامية الثابتة، غاية الأمر أن الأحكام تارةً تشريع ل يؤديها الناس بصورة فردية وتارةً تشريع لتؤدي بصورة جماعية، والوحدة الإسلامية هي من قبيل التكاليف الجماعية، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿وَاعْصُمُوا بِحَبْلَ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفْرَقُوا وَإِذْ كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبِحُتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهَتَّدُونَ﴾^(١).

يقول العالمة الطباطبائي رحمه الله: «وهذه الآية تتعرض لحكم الجماعة المجتمعية والدليل عليه قوله: ﴿جَمِيعاً﴾، وقوله: ﴿وَلَا تَفْرَقُوا﴾، فالآيات تأمر المجتمع الإسلامي بالاعتصام بالكتاب والسنّة كما تأمر الفرد بذلك»^(٢).

وممّا يؤكّد ضرورة هذا التكليف تكرار لفظ النعمة في الآية والتي هي نعمة التأليف، وقد نسبها لنفسه رحمه الله، وكذلك الدعوة إلى المقارنة بين الوضع المقيت التي كان عليه الناس قبل توحّدهم تحت راية الإسلام والوضع بعده، حيث كانت الحروب كالنار تقضي على الأخضر واليابس فجاءت نعمة التأليف والوحدة

لتنقذهم من هشيمها.

ومجرّد تخلّي جماعة أو طائفة عن هذا التكليف لا يبرّ للآخرين تركه، وتغافل الغالبية عنه لا يسقطه من ربة المسائلة يوم القيمة.

ثانياً: ليس المقصود من الوحدة الإسلامية التخلّي عن خصوصيات المذهب وعقائده وتغيير مبادئه واجتهاده حتى تشار مسألة انصراف مذهب في آخر، وهذا التفسير للوحدة بعيد كلّ البعد عن المعنى الذي ينادي به ويناضل من أجله كبار علمائنا، فمعناه الصحيح كما يشير إليه سماحة ولی أمر المسلمين حفظه الله:

«إن الاتحاد بين الشعوب الإسلامية لا يلغى الاختلاف الموجود ولا الفروق الموجودة في الآداب والتقاليد المتبعة في المجتمعات الإسلامية، كما أنه لا يلغى الاختلافات الموجودة في الاجتهدات الفقهية. ومعنى أن تتحد الشعوب المسلمة هو أن تتخذ موقفاً موحداً فيما يخص مجريات وسائل العالم الإسلامي، وأن تتعاون فيما بينها، ولا تهدر ثرواتها في فتن وصراعات داخلية»^(٣).

فالبعض يرى أن طريق الوحدة يتلخص في رفض المذاهب، إلا أن رفض المذاهب لا يحل المشكلة، بل يحلّها إقرار المذاهب القائمة حالياً. على كل واحد أداء مهامه العادلة في نطاق عمله وموقعه، ولكن عليهم الاحتفاظ بعلاقات حسنة مع بعضهم»^(٤).

وعلى ذلك فلا ينبغي الخوف على مذهب بأنه عرضة للذوبان بمجرّد انحرافه بمسائل الوحدة، وإن وجد ذلك فيرجع إلى التطبيق الخاطئ لمفهوم الوحدة أو نتيجة لأسباب أخرى.

ثالثاً: في التخلّي عن الوحدة ضرر كبير على مصلحة الإسلام العليا الشاملة لكلّ

المسلمين، وفيها ذهابٌ لعزّتهم وهيبتهم، وكلّما اقتضت هذه المصلحة العامة أمرًا تكون هي المقدّمة على سائر العناوين والمصالح الأخرى، وتوضيح ذلك: إنّ البلدان والمجتمعات الإسلامية مهدّدة في سائر الأزمنة والأوقات من قبل الأعداء بالهجوم وال الحرب، وهدفهم الشاغل هو اكتشاف ثغرة أو فجوة يغفل عنها المسلمون ليتمكنوا منهم ويعيروا عليهم، وهجومهم هذا لا يفرق بين سنّي ولا شيعي ولا بين طائفة من فرق السنة على حساب أختها أو بين فرقة شيعية وأخرى من نفس المذهب، بل جميع المسلمين في نظرهم العدائي سواءً، نعم قد يتفاوت عداوهم بالنسبة لطائفة مقارنةً بأخرى أو بلد إسلامي بالنظر لآخر ولكن لا من باب خصوصيّة هذه الطائفة أو البلد بل من جهة مقدار ما تعطيه من التسليم والطاعة لأوامرهم ومخطّطاتهم الاستكبارية، فيصبح بذلك أن الدين والإسلام كلّه عرضة للخطر الواحد لا طائفة أو فرقة بحد ذاتها، ولا علاج ومفر من التخلص من هذا الخطر إلا التوحّد في قبال العدو المشترك، حيث تشكّل الجماعة المجتمعية طوداً منيّاً يصعب اختراقه، وقليل من التوحّد ولو في الخطوط العامة يهيب العدو أكثر مما تكسبه كلّ دولة أو فرقة لوحدتها مهما كانت قويّة، ولذلك أكثر ما يخشاه الغرب والأعداء منا هو التوحّد.

ونجد إشارةً إلى هذا في مضمون هذه الآية المباركة: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَنَفْشُلُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.^(٥)

تذهب ريحكم: أي تذهب صولتكم وقوّتكم ونصرتكم ودولتكم.^(٦)

رابعاً: تنامي موجة عارمة يخطّط لها العدو لغرس الطائفية كأساس يدخل في صلب الدين، حتى يشيع بين الناس أن الأكثـر فضيلة هو من لا يرى في أطراف

المجتمع إلا طائفته لاغيًّا بذلك الاعتراف بالآخرين، وأن قتل المسلم للمسلم المنتمي لطائفة أخرى وسيلة لرقي الجنة، أو أن تمكينه والسماح له لاعتلاء وظيفة أو منصب حرامٌ شرعاً وخيانةً للدين، وغيرها من الافتراضات التي تؤصل الفرقة بين المسلمين، وهذه الموجة لا يمكن بحال من الأحوال أن تجاهه بالتشجيع على ترك مسائل الوحدة؛ لأن ترك التوحّد هو تعميق وتنفيذ لهذا التأصيل الخطير الذي بات يتغلل في الكثير من مشاريع العمل الإسلامي لدى الشعوب المسلمة فضلاً عن حكوماتها، وفي هذا السياق يقول أحد العلماء والمفكرين الكبار:

«إن أمّا هذا التأصيل لحال الفرقـة والشتات والاحتـراب لابد من تأصيل للوحدة بين أبناء أمّة الإسلام». (٧)

خامساً: أصبح العالم الإسلامي - بل العالم ككلّ - يعيش بحالة من التداخل بحيث لا يمكن أن يحصل سلام وأمان وتطور علمي وحضاري ... (إلخ) بدون إيجاد حالة من التعاون والتتساجم بين الأطراف، يتم فيه التبادل المشترك في كافة المجالات، وخاصة في مجال التوحّد ضد العدو المشترك، وهذا لوحده كافٍ عملياً للتوكيد بين المسلمين.

سادساً: لا يظن أحد أن القيام بأعباء الدين وأداء التكاليف والمسؤوليات الكبرى الإسلامية - ومنها مسؤولية الوحدة بين المسلمين - أمرٌ مقرؤون دائمًا بالراحة والاسترخاء حتى نholm في سعادة بدون عناء ونصلب، الأمر على الخلاف تماماً فالحفظ على الدين ومصالحة وطلب رفعته يحتاج من البداية حتى النهاية إلى بذل الطاقات وشدّ الهمم واستفراغ الصبر وإن اضطر الأمر لتقديم الأرواح طوعاً وقريباً. وبالتالي يكون تجرّع الغصص والويلات في سبيل تقديم مصلحة علياً لا

يصرفنا عن ترك هذه المصلحة وإن كان على حساب زهق أرواحنا، وهذا يعني أن الشتم والتکفير والظلم والإبادة لا يشي طلاب الحقيقة عن أداء تکليف الوحدة الكبير، وصبرهم على هذه المحن يكون بعين الله ﷺ ويدخل في رصيد إيمانهم يوم القيمة، ولو نظرنا إلى ذيل الآية السابقة الذكر للمحنا الإشارة إلى هذه النكتة: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَنَفْشُلُوْا وَتَذَهَّبَ رِحْكُمْ وَاصْبِرُوْا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٨).

حيث جاء الأمر بالصبر مقارناً مع النهي عن التنازع والفرقة، وربما التأکيد مرّةً ثانيةً على الصبر ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ فيه تنبیهٌ على أن هذا الأمر يتطلّب نوعاً ثقلاً من التحمل والعناء، إلا أنه بالمقابل فيه تأیيد ومدد من الله ﷺ.

ومن الشواهد التاريخية في تحمل الأذى في سبيل حفظ وحدة المسلمين ما جاء عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في القضية المعروفة: «...وطفت أرثى بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير، ويکدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قدى، وفي الحلق شجاً ...»^(٩).

الخلاصة والنتيجة المتتوخّة من هذه النقاط هي الوصول إلى قناعة أن طرح شعار الوحدة والمشاريع المنضوية تحته هي من الأطروحات الضرورية التي لا غنى عنها وتتبع من معين الدين، وأن القول بعبيته لا يستند إلى حجّة وبرهان قويّم.

المواهش:

- (١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.
- (٢) الميزان ج ٣، ص ٤٢٢.
- (٣) الإمام الخامنئي، الإسلام المحمدي، ص ٥٥٢.
- (٤) نفس المصدر، ص ٥٥٣.
- (٥) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.
- (٦) الطريحي، مجمع البحرين، ج ٢، ص ٣٥٣.
- (٧) الشيخ عيسى قاسم، خطبة الجمعة رقم (٢٧٠)، ١٣ محرم ١٤٢٨ هـ.
- (٨) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.
- (٩) نهج البلاغة، الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقية، ص ٥١.

روي عن الرسول الأعظم ﷺ أنه قال:
مثُلُ المؤمنين فِي توادُّهم وتعاطفهم
وترواحمهم كمثل الجسد الواحد
إذا اشتكي منه عضُّوٌ تداعى له
سائرُ الجسد بالسهر والحمى.

الكلام في فهم القرآن

(القسم الثاني)

سعيد جعفر حماد

مباني الفريقين في مدى فهم القرآن الكريم:

وقع الاختلاف بين المسلمين في مدى وحدود فهم القرآن الكريم، وإن كاد يتحد المسلمون في هذا العصر على مستوى فهم القرآن الكريم لتجدد الأفكار واستئثارها بالدليل والبرهان، إلا في بعض الأمور المحدودة مما يتعلق بباطن القرآن وأسراره، ولكن عند القدماء كان الاختلاف في مدى ومستوى فهم القرآن الكريم ليس بالحد المستهان به، وفيما يلي نتعرض إلى الأقوال في حدود مستوى فهم القرآن على الإجمال على ما استنتجته من أبحاث وتفاسير القوم:

القول الأول بفهم القرآن من ظواهره فقط:

ويعرف هذا القول من الذين منعوا التفسير، حيث إن ظواهر القرآن الكريم محكمة ولا تحتاج إلى تفسير، وإنما كان منعهم عن التفسير، وقد أشار الطبرى إليهم بعد أن ذكر الأدلة الدالة على جواز التفسير حيث قال:

«إذا كان كذلك، وكان الله جل شأنه قد أمر عباده بتدبره وحثهم على الاعتبار بأمثاله، كان معلوماً أنه لم يأمر بذلك من كان بما يدل عليه آية جاهلاً، وإذا لم يجز أن يأمرهم بذلك إلا وهم بما يدلهم عليه عالمون، صح أنهم بتاويل ما لم يحجب عنهم علمه من آية الذي استأثر الله بعلمه منه دون خلقه، الذي قد قدمنا صفتة آنفاً»

عارضون، وإذا صح ذلك، فسد قول من أنكر تفسير المفسرين - من كتاب الله وتنزيله - ما لم يحجب عن خلقه تأويله».^(١)

فكلام الطبرى هذا يدل على وجود طائفة تمنع التفسير، وكذلك كلام ابن جزي حيث قال:

«اعلم أن السلف الصالح انقسموا إلى فرقتين: فمنهم من فسر القرآن وتكلم في معانيه، وهم الأكثرون، ومنهم من توقف عن الكلام فيه احتياطاً لما ورد من التشديد في ذلك»^(٢).

أدلة هذا القول حديث وسيرة الصحابة والتابعين:

١) الحديث هو ما روتته عائشة قالت: «إن النبي ﷺ كان لا يفسر شيئاً من القرآن برأيه إلا آيةً بعدد علمهن إياه جبريل»^(٣). دلت هذه الرواية على أن الرسول كان يمتنع عن التفسير، إلا بمقدار قليل من الآيات علمهن إياه جبريل، وعلى هذا فلا يجوز التفسير لغير رسول الله ﷺ عن طريق أولى.

٢) سيرة الصحابة، منها: ما رواه ابن أبي مليكة، أن ابن عباس سُئل عن آية لوى سُئل عنها بعضهم لقال فيها، فأبى أن يقول فيها^(٤). ومنها: ما روي عن الوليد بن مسلم، قال: جاء طلق بن حبيب إلى جندب بن عبد الله، فسألته عن آية من القرآن، فقال له: أخرج عليك إن كنت مسلماً لما قمت عني، أو قال: تجالستني^(٥).

٣) سيرة التابعين، منها: ما روي عن عبيد الله بن عمر، قال: لقد أدركت فقهاء

المدينة وإنهم ليعظمون القول في التفسير، منهم سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع^(٦).

ومنها: ما رواه يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن، قال: أنا لا أقول في القرآن شيئاً^(٧).

ومنها: ما روي عن ابن سيرين قال: سألت عبيدة السلماني عن آية، قال: عليك بالسداد، فقد ذهب الذين علموا فيم نزل القرآن^(٨).

ومنها: ما روي عن يزيد بن أبي يزيد، قال: كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام، وكان أعلم الناس، وإذا سأله عن تفسير آية من القرآن سكت لأن لم يسمع^(٩).

منها: ما روي عن عمرو بن مرة، قال: سأله رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن، فقال: لا تسألني عن آية من القرآن وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه شيء منه، يعني عكرمة^(١٠).

منها: ما روي عن الشعبي، أنه قال: ثلاث لا أقول فيهن حتى أموت: القرآن، والروح، والرأي^(١١).

مناقشة خبر عائشة:

مناقشة الطبرى:

يستفاد من نقاش الطبرى الخبر عن عائشة إشكاله عليه من حيث الدلالة ومن حيث السند، أما من حيث الدلالة فإنه يدل على أن بعضها من القرآن لا يُفسّر إلا من الحديث لأن كل ما في القرآن لا يُعرف معناه إلا من الحديث، بل جعل الطبرى

الحديث منسجماً مع ما قسمه من معاني القرآن وأنه على ثلاثة أقسام، قسم استأثر الله بعلمه، وقسم تعرفه العرب من لغتها، وقسم لا يعرف إلا من تعليم الرسول ﷺ.

ولو كان معنى الحديث المروي عن رسول الله ﷺ أنه لم يفسر إلا القليل من آيه واليسير من حروفه، للزم أن القرآن نزل على الرسول ﷺ ليترك للناس بيان ما أنزل إليهم، لا ليبين لهم ما نزل إليهم، وهو ينافي قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وينافي أمر الله جل ثناؤه نبيه ﷺ بلاغ ما أنزل إليه، وينافي ما صح من خبر ابن مسعود: أنه كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهن، وعلى هذا لا يحمل خبر عائشة إلا على ما قلناه.

وأما السنده فهو مشتمل على جعفر بن محمد الزبيري وهو مجاهد، فلا يصح التمسك بالخبر لا من حيث الدلالة ولا من حيث السنده^(١٢).

يرد على هذه المناقشة أن الظاهر من قول عائشة (ما كان النبي ﷺ يفسر شيئاً من القرآن إلا آياً بعد علمهن إياه جبريل) أن النبي ﷺ لم يكن يفسر القرآن إلا عدد آيات قليلة، فإن المستثنى أقل من المستثنى منه بمقدار كثير، على أن تقييد المستثنى بعدد مما يدل على أن المراد هو عدد معدود وقليل؛ ولذا التجأ البعض لتأويل آخر للحديث ينسجم مع العبارة كما سوف يأتي، والغريب من الطبرى أنه وصف من فهم من الخبر أن الذي فسره الرسول ﷺ بعد قليل بالغباء، ولعمري إن من يقول بخلافه أجدر بأن يتصرف بهذه الصفة، ثم إنه لا يلزم من كون الرسول ﷺ لم يفسر القرآن إلا عدداً قليلاً من الآيات منافاة مع قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾؛ وذلك لأنه أوصى بمن يرجعوا

إليه في تفسيره وبيانه وهم أهل بيته عليهم السلام.

وأما مناقشته في السند فإن جعفر بن الزبيري وإن كان مجھولاً غير أنه جاء في السند الأول الذي يرويه نفس الطبری، وأما السند الثاني فلم يرد فيه جعفر بن الزبیری، بل السند الثاني سند يختلف عن السند الأول.

مناقشة ابن جزی:

يستفاد من ابن جزی لرد من استدل بخبر عائشة أن المفسرون تأولوا خبر عائشة بأنه في مغایبات القرآن التي لا تعلم إلا بتوقیف من الله تعالى، وأما ما كان من غير المغایبات فإن الرسول صلوات الله عليه وآله وسلام فسره من غير جبریل صلوات الله عليه وآله وسلام (١٣).

ويرد هذه المناقشة أنه على خلاف ظاهر خبر عائشة، فإنها لم تقید ما فسره الرسول صلوات الله عليه وآله وسلام من قبل جبریل صلوات الله عليه وآله وسلام بالمغایبات، ولم تقید نفی التفسیر عن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلام بالمغایبات.

الصحيح في مناقشة خبر عائشة:

أولاً: خبر عائشة ليس عن الرسول صلوات الله عليه وآله وسلام، وليس لكلامها الحجة، كما لرسول الله صلوات الله عليه وآله وسلام، بل لحمله على اجتهدادها مجال.

ثانياً: الخبر عن عائشة تحکی فيه ما يفعله الرسول صلوات الله عليه وآله وسلام وليس متصلة بالنبي صلوات الله عليه وآله وسلام، إنما عائشة أم المؤمنین تحکی ما شهدته، لكن ليس كلما فسر الرسول صلوات الله عليه وآله وسلام القرآن شهدته عائشة، فإن عائشة لا يسمح لها رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلام أن تجلس مع الرجال حتى تسمع وترى الرسول صلوات الله عليه وآله وسلام يفسر القرآن الكريم؛ ولذا خبرها لا ينافي ما صح من خبر عبد الله بن مسعود حيث قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر

آيات لم يجاوزهن حتى يعلم معانيهن والعمل بهن. ولم يكن الرسول ﷺ يفسر القرآن إلا بعد زواجه من عائشة بل كان يفسره حتى قبل أن يتزوجها.

ثالثاً: خبر عائشة يعارض الآيات القرآنية والأحاديث المتقدمة الدالة على إمكان فهم القرآن، وخبر عائشة لا يقبل إذا تعارض مع خبر المعصوم علیه السلام فضلاً عما إذا عارض جملةً من آيات القرآن الكريم.

رابعاً: الخبر يرويه الطبرى بطريقين وفي كلا الطريقين يشتمل على هشام بن عروة الزبیري، وهو مجھولٌ، مضافاً لاشتمال الأول منهما على جعفر بن محمد بن الزبیري وهو مجھولٌ أيضاً.

مناقشة سيرة الصحابة والتتابعين:

أولاً: إن المعروف - ويکاد يصل إلى الإجماع - بأن ابن عباس رضي الله عنهما كان مفسراً ويشهد لك كتب التفسير والسير والحديث، وثم على فرض صحة الخبر عن ابن عباس، فإنه إنما يدل على أن ابن عباس امتنع عن الجواب في تفسير آية واحدة وهو لا يدل على أن ابن عباس رضي الله عنهما يمتنع عن مطلق التفسير، وقال القرطبي في تفسيره:

«قال ابن عطية: وكان جلة من السلف كثیر عددهم يفسرون القرآن وهم أبقوا على المسلمين في ذلك رحمة، فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويتلوه عبد الله بن عباس وهو تجرد للأمر وكمله، وتبعه العلماء عليه كمجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما، والمحفوظ عنه في ذلك أكثر من المحفوظ على علي». ﴿

وقال ابن عباس: ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب.
وكان علي عليه السلام يشي على تفسير ابن عباس ويحضر على الأخذ عنه، وكان
ابن عباس يقول: نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس.

وقال عنه علي عليه السلام: ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق. ويتلوه
عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو بن العاص.
وكل ما أخذ عن الصحابة فحسن مقدم لشهادتهم التنزيل ونزوله بلغتهم.
وعن عامر بن واثلة قال: شهدت علي بن أبي طالب عليه السلام يخطب فسمعته يقول
في خطبته: سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيمة إلا حدثكم
به، سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا أنا أعلم بأليل نزلت أم بنهاز، أم في
سهل نزلت أم في جبل، فقام إليه ابن الكواه فقال: يا أمير المؤمنين، ما الذاريات
ذرواً؟ وذكر الحديث.

وعن المنهاج بن عمرو قال: قال عبد الله بن مسعود: لو أعلم أحداً أعلم بكتاب
الله مني تبلغه المطي لأتيته، فقال له الرجل: أما لقيت علي بن أبي طالب؟ فقال: بلـ،
قد لقيته. وعن مسروق قال: وجدت أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم) مثل الأخذـ يروى الواحد والأخذـ يروى الاثنين، والأخذـ لو ورد عليه الناس
أجمعـون لأصدرـهم، وإن عبد الله بن مسعود من تلك الأخذـ. ذكر هذه المناقب أبو
بكر الأنباري في كتاب الرد، وقال: الأخذـ عند العرب: الموضع الذي يحبـس الماء
كالغدير» (١٤).

كل ذلك يثبت بأن سيرة أجيال الصحابة والتابعـين على تفسير القرآن الكريم.
ثانياً: من ترك من التابعـين الكلام في التفسـير لم يكن عن اعتقاد بالمنع بل

احتياطاً؛ ولذا قال الطبرى:

«إِنْ فَعَلَ مِنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، كَفَعَلَ مِنْ أَحْجَمَ مِنْهُمْ عَنِ الْفَتِيَا فِي النَّوَازِلِ وَالْحَوَادِثِ، مَعَ إِقْرَارِهِ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَ ثَنَاؤُهُ لَمْ يَقْبَضْ نَبِيَّهُ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ إِكْمَالِ الدِّينِ بِهِ لِعِبَادَهُ، وَعِلْمِهِ بِأَنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ نَازِلَةٍ وَحَادِثَةٍ حَكْمًا مُوجَدًا بِنَصٍّ أَوْ دَلَالَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ إِحْجَامَهُ عَنِ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ إِحْجَامًا جَاحِدًا، وَلَكِنْ إِحْجَامًا خَائِفًا أَلَا يَلْبُغُ فِي اجْتِهَادِهِ مَا كَلَفَ اللَّهُ الْعُلَمَاءَ مِنْ عِبَادَهُ فِيهِ»^(١٥).

وقال القرطبي: «قال ابن عطية: وكان جملة من السلف الصالحة كسعيد بن المسيب، وعامر والشعبي وغيرهما يعظمون تفسير القرآن ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطاً لأنفسهم مع إدراكهم وتقديمهم»^(١٦).

ثالثاً: على فرض أن بعض التابعين قد امتنع عن التفسير فإن هذا نتيجة لاجتهاده ولا يدل على المنع الشرعي عن التفسير.

رابعاً: يحتمل قوياً بأن امتناع بعض التابعين الخوض في التفسير بالرأي لا مطلق التفسير، وهذا الذي فهمه شيخ الطائفة والشيخ الطبرسي قال: «وَكَرِهَ جَمَاعَةُ مَنِ التَّابِعُونَ وَفَقَهَاءُ الْمَدِينَةِ الْقَوْلُ فِي الْقُرْآنِ بِالرَّأْيِ: كَسِيدُ بْنُ الْمَسِيبِ، وَعَبِيدُ اللَّهِ السَّلِيمَانِيُّ، وَنَافِعُ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ، وَسَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَغَيْرُهُمْ»^(١٧).

ويشهد لذلك أن أبرز من قيل فيه من التابعين بامتناعه عن التفسير هو سعيد بن المسيب، والحال أن سعيد بن المسيب يذكر مروياته وأقواله في التفسير كثيراً^(١٨). وبعد كل ذلك يتضح بأن هذا القول الأول ليس صائباً.

القول الثاني بعدم فهم القرآن الكريم إلا من خلال السنة:

وهو القول المنسوب إلى بعض الأخبارية من فرقة الإمامية^(١٩) وإلى بعض علماء المسلمين، وأن التفسير موقوف على السماع^(٢٠)، ونقل أهل التفسير هذا القول: «قال قوم لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن، وإن كان عالماً أدبياً متسعًا في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار، وليس له إلا أن يتبع إلى ما روي عن النبي ﷺ في ذلك»^(٢١).

أدلة هذا القول من القرآن ومن السنة ومن العقل:

الدليل القرآني:

١- قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعُواْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾^(٢٢); لأن تفسير القرآن كثيراً ما يقع فيه الاختلاف، وعليه لابد في مطلق تفسير الرجوع إلى الرسول ﷺ، ولا يمكن التفسير إلا من حديث الرسول ﷺ.

المناقشة:

إن معنى الآية الكريمة هو: إن اختلفتم في شيءٍ من أمور دينكم فردوا النزاع فيه إلى كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، ولا تدل على أن كل ما في القرآن الكريم لا يفهم إلا من تفسير الرسول ﷺ، بل في القرآن ما يفهم لإحكامه، بل الآية تدل على فهم القرآن في الجملة، إذن مع النزاع يرجع إلى القرآن وإلى السنة، وكيف يرجع إلى القرآن وهو لا يفهم منه أي شيء إلا من أحاديث الرسول ﷺ؟! نعم كثير من الآيات لابد في تفسيرها من الرجوع إلى أحاديث الرسول ﷺ وأهل

بيته عليهما السلام الذين أوصى بالتمسك بهم، وهذا لا يعني أن كل معنى من معانٍ القرآن لا يمكن فهمها إلا من خلال السنة، فإن ما تقدم من الأدلة في فهم القرآن وافية للرد على ذلك.

الدليل من السنة:

استدلّ لهذا القول بالأحاديث عن المتصوّمين عليهما السلام، ويكمّن تقسيم هذه الأحاديث إلى عدة طوائف:

الطائفة الأولى: ما دل على تحريم التفسير بالرأي:

منها: ما رواه الترمذى عن الرسول عليهما السلام قال: «من قال في القرآن برأيه فليتبوا مقعده من النار»^(٢٣).

منها: ما رواه الصدوق بسند إلى الرسول عليهما السلام أنه في حديث جاء فيه: «ومن فسر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب، ومن أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السموات والأرض»^(٢٤).

ومنها: ما جاء في تفسير الإمام العسكري عليهما السلام، عن النبي عليهما السلام، في حديث جاء فيه: «فاما من قال في القرآن برأيه فإن اتفق له مصادفة صواب فقد جهل في أخذه عن غير أهله، وإن أخطأ القائل في القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار»^(٢٥).

ومنها: ما رواه أبو داود بسنده إلى جندي، قال: قال رسول الله عليهما السلام: «من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فأصاب فقد أخطأ»^(٢٦).

ومنها: ما رواه العياشي: عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليهما السلام، قال: «من فسر القرآن برأيه إن أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ خر أبعد من السماء»^(٢٧).

ومنها: ما عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عَلِيٰ الْأَطْهَارِ، قال: «من فسر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر، وإن أخطأ أثمه عليه» (٢٨).

ومنها: ما عن عمار بن موسى، عن أبي عبد الله عَلِيٰ الْأَطْهَارِ قال: سُئل عن الحكومة، قال: «من حكم برأيه بين اثنين فقد كفر، ومن فسر برأيه آيةً من كتاب الله فقد كفر» (٢٩).

ومنها: رواية الريان، عن الإمام الرضا عَلِيٰ الْأَطْهَارِ، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عَلِيٰ الْأَطْهَارِ، قال: قال رسول الله عَلِيٰ الْأَطْهَارِ: قال الله جل جلاله: «ما آمن بي من فسر برأيه كلامي، وما عرفني من شبهني بخلقني، ما على ديني من استعمل القياس في ديني» (٣٠).

ومنها: في خبر الزنديق المدعى للتناقض في القرآن: قال أمير المؤمنين عَلِيٰ الْأَطْهَارِ: «إياك أن تفسر القرآن برأيك حتى تفقهه عن العلماء، فإنه رب تنزيل يشبه بكلام البشر، وهو كلام الله، وتأويله لا يشبه كلام البشر، كما ليس شيء من خلقه يشبهه، كذلك لا يشبه فعله تعالى شيئاً من أفعال البشر، ولا يشبه شيء من كلامه بكلام البشر، فكلام الله تبارك وتعالى صفتة وكلام البشر أفعالهم، فلا تشبه كلام الله بكلام البشر، فتهلك وتضل» (٣١).

ومنها: ما عن الhero عن الإمام الرضا عَلِيٰ الْأَطْهَارِ قال لعلي بن محمد بن الجهم: «اتق الله ولا تأول كتاب الله عز وجل برأيك، فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾» (٣٢).

ومنها: ما عن ابن عباس أنه قال: «من قال في القرآن برأيه فليتبواً مقعده من النار» (٣٣).

فهذه الروايات دالة على أن التفسير لا يجوز أن يكون من رأي المفسر، إذن لا

بد من نص الرسول ﷺ أو أهل بيته عليهما السلام فيكون التفسير من قبلهم، ونتيجة ذلك توقف فهم القرآن إلا من خلال السنة.

الطائفة الثانية: من الروايات ما دل على حرمة التفسير بغير علم:

منها: ما عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال في القرآن بغير علم فليتبواً مقعده من النار» (٣٤).

ومنها: ما عن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عاشور: ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا سنته فننظر فيها؟ فقال: «لا، أما أنت إن أصبت لم تؤجر، إن أخطأت كذبت على الله سبحانه وتعالى» (٣٥).

ومنها: ما عن عبيدة السليماني عن علي عاشور، قال: «اتقوا الله ولا تفتوا الناس بما لا علمون... إلى أن قال): قالوا: فما نصنع بما قد خبرنا به في المصحف؟ فقال: يُسأل عن ذلك علماء آل محمد» (٣٦).

ومنها: ما عن الإمام الصادق عن أبيه الباقر عن أبيه عاشور، قال: «إن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي عاشور يسألونه عن الصمد، فكتب إليهم: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فلا تخوضوا في القرآن، ولا تجادلوا فيه، ولا تتكلموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدي رسول الله عاشور يقول: من قال في القرآن بغير علم فليتبواً مقعده من النار، وإن الله سبحانه قد فسر الصمد...» (٣٧).

الطائفة الثالثة: ما دل على اختصاص فهم القرآن عند أهل البيت عاشور:

منها: ما عن منصور بن حازم، قال: قلت لأبي عبد الله عاشور: «إن الله أجل وأكرم

من أَن يَعْرِف بِخَلْقِه... (إِلَى أَن قَالَ): وَقَلْتُ لِلنَّاسِ: أَلَيْس تَعْلَمُونَ أَن رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ الْحَجَةُ مِنَ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ؟ قَالُوا: بَلِي. قَلْتُ: فَهَيْنِ مَضِيَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ كَانَ الْحَجَةُ لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ؟ قَالُوا: الْقُرْآنُ فَنَظَرْتُ فِي الْقُرْآنِ إِذَا هُوَ يَخْاصِمُ بِهِ الْمَرْجِئُ الْقَدْرِيُّ، وَالْزَّنْدِيقُ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِهِ حَتَّى يُغْلِبَ الرَّجُلُ بِخَصْوَمَتِهِ، فَعَرَفْتُ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَكُونُ حَجَةً إِلَّا بِقِيمٍ، فَمَا قَالَ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ كَانَ حَقًّا... (إِلَى أَن قَالَ): فَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ قِيمَ الْقُرْآنِ، وَكَانَ طَاعَتْهُ مُفْتَرَضَةً، وَكَانَ الْحَجَةُ عَلَى النَّاسِ بَعْدِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامِ، وَأَنَّ مَا قَالَ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ حَقٌّ، فَقَالَ: رَحْمَكَ اللَّهُ (٣٨).

وَمِنْهَا: مَا عَنْ زَيْدِ الشَّحَامِ قَالَ: دَخَلَ قَتَادَةَ بْنَ دَعَامَةَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: «يَا قَتَادَةَ أَنْتَ فَقِيهُ أَهْلِ الْبَصَرَةِ؟» قَالَ: هَكَذَا يَرْعُمُونَنِي. فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِلْغَنِي أَنْكَ تَفَسِّرُ الْقُرْآنَ. فَقَالَ لَهُ قَتَادَةُ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّكَ كُنْتَ تَفَسِّرُهُ بِعِلْمٍ فَأَنْتَ أَنْتَ وَأَنَا أَسْأَلُكَ... (إِلَى أَنْ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ): وَيَحْكُمُ يَا قَتَادَةً! إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا فَسَرَتِ الْقُرْآنَ مِنْ تَلَقَّاءِ نَفْسِكَ فَقَدْ هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ فَسَرَتِهِ مِنْ الرَّجُلِ، فَقَدْ هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ، وَيَحْكُمُ يَا قَتَادَةً! إِنَّمَا يَعْرِفُ الْقُرْآنَ مِنْ خَوْطَبِهِ» (٣٩).

وَمِنْهَا: عَنْ أَبِي جَعْفَرِ الثَّانِي عَلَيْهِ السَّلَامِ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَذَكْرُ الْحَدِيثِ، وَفِيهِ أَنْ رَجُلًا سَأَلَ أَبَاهُ عَنِ الْمَسَائِلِ فَكَانَ مَا أَجَابَهُ بِهِ أَنْ قَالَ: قُلْ لَهُمْ: هَلْ كَانَ فِيمَا أَظْهَرَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ اخْتِلَافٌ؟ إِنْ قَالُوا: لَا. فَقُلْ لَهُمْ: فَمَنْ حَكَمَ بِحُكْمِ فِيهِ اخْتِلَافٌ، فَهُلْ خَالِفُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. إِنْ قَالُوا: لَا. فَقَدْ نَقْضُوا أَوْلَى كَلَامِهِمْ فَقُلْ لَهُمْ: مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، إِنْ قَالُوا: مَنْ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ؟ فَقُلْ: مَنْ لَا يَخْتَلِفُ فِي عِلْمِهِ. إِنْ قَالُوا: مَنْ ذَاكَ؟ فَقُلْ:

كان رسول الله ﷺ صاحب ذاك... (إلى أن قال): وإن كان رسول الله ﷺ لم يستخلف أحداً فقد ضيع منْ في أصلاب الرجال ممن يكون بعده، قال: وما يكفيهم القرآن؟ قال: بلـى، لو وجدوا له مفسراً. قال: وما فسره رسول الله ﷺ؟ قال: بلـى، قد فسره لرجل واحد، وفسر للأمة شأن ذلك الرجل، وهو علي بن أبي طالب علـى اللهِ تَعَالَى عَنْهُ سَلَامٌ، (إلى أن قال): والمـحكم ليس بشيئين إنما هو شيءٌ واحدٌ، فمن حـكم بـحـكم ليس فيه اختلاف فـحـكمـه من حـكم الله عـز وجلـ، ومن حـكم بـحـكمـه فيه اختلاف فـرأـيـ أنه مـصـيبـ فقد حـكم بـحـكمـ الطـاغـوتـ» (٤٠).

ومنها: ما عن أبي بصير عن أبي عبد الله علـى اللهِ تَعَالَى عَنْهُ سَلَامٌ قال: «نحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويـله» (٤١).

ومنها: ما عن أبي عبد الله علـى اللهِ تَعَالَى عَنْهُ سَلَامٌ قال: «الراسخون في العلم أمير المؤمنين علـى اللهِ تَعَالَى عَنْهُ سَلَامٌ والأئمة من ولده علـى اللهِ تَعَالَى عَنْهُ سَلَامٌ» (٤٢).

ومنها: ما عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر علـى اللهِ تَعَالَى عَنْهُ سَلَامٌ يقول في هذه الآية ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾، فأوـمـأـ بيـدـهـ إلى صدرـهـ (٤٣).

ومنها: عن عبد العزيز العبدـيـ عنـ أبيـ عبدـ اللهـ عـلـى اللهـِ تـعـالـى عـنـهـ سـلامـ فيـ قولـ اللهـ عـزـ وـجلـ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ قالـ: هـمـ الأئـمةـ عـلـى اللهـِ تـعـالـى عـنـهـ سـلامـ (٤٤).

ومنها: ما عن عبد الرحمن بن كثير، عنـ أبيـ عبدـ اللهـ عـلـى اللهـِ تـعـالـى عـنـهـ سـلامـ قالـ: «قالـ الذيـ عنـهـ علمـ منـ الكتابـ... (إلىـ أنـ قالـ): وعـنـدـناـ واللهـ علمـ الكتابـ كـلـهـ» (٤٥).

ومنها: عن سـدـيرـ عنـ أبيـ عبدـ اللهـ عـلـى اللهـِ تـعـالـى عـنـهـ سـلامـ -ـ فيـ حـدـيـثـ -ـ قالـ: «علمـ الكتابـ كـلـهـ واللهـ عنـدـناـ، علمـ الكتابـ كـلـهـ واللهـ عنـدـناـ» (٤٦).

ومنها: ما عن أبي الصباح قال: والله لقد قال لي جعفر بن محمد عليهما السلام: «إن الله علّم نبيه عليهما السلام التنزيل والتأويل، فعلّمه رسول الله عليهما وآله عليهما السلام، ثم قال: وعلمنا والله... الحديث»^(٤٧).

ومنها: ما عن الأصمعي بن نباتة عن أمير المؤمنين عليهما السلام - في حديث - أنه قال: «ما من شئ تطلبوه إلا وهو في القرآن، فمن أراد ذلك فليسألني عنه»^(٤٨).

ومنها: ما عن أمير المؤمنين عليهما السلام في خطبة له قال: «إن علم القرآن ليس يعلم ما هو إلا من ذاق طعمه، فعلم بالعلم جهله، وبصر به عماه، وسمع به صمميه، وأدرك به ما قد فات، وحيى به بعد إذ مات، فاطلبوا ذلك من عند أهله وخاصته، فإنهم خاصة نور يستضاء به، وأئمة يقتدى بهم، هو عيش العلم، وموت الجهل، وهم الذين يخبركم حلمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم، لا يخالفون الحق، ولا يختلفون فيه»^(٤٩).

ومنها: ما عن عبيدة السلماني عن علي عليهما السلام قال: «اتقوا الله ولا تفتوا الناس بما لا تعلمون... (إلى أن قال): قالوا: فما نصنع بما قد خبرنا به في المصحف؟ فقال: يسأل عن ذلك علماء آل محمد عليهما السلام»^(٥٠).

ومنها: ما عن الحسين عليهما السلام عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله عليهما وآله: «يا علي، أنت أخي وأنا أخوك، وأنا المصطفى للنبوة وأنت المجتبى للإمامية، وأنا صاحب التنزيل وأنت صاحب التأويل»^(٥١).

ومنها: ما عن الريان بن الصلت عن الرضا عليهما السلام - في حديث - أن المأمون سأله علماء العراق وخراسان عن قوله تعالى: ﴿تُمْ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، فقالت العلامة: أراد الله بذلك الأمة كلها، فقال المأمون: ما تقول يا أبي

الحسن؟ فقال الرضا عليه السلام: إنه لو أراد الأمة ل كانت بأجمعها في الجنة... (إلى أن قال): فصارت وراثة الكتاب للعترة الطاهرة لا لغيرهم. قال المأمون: ومن العترة الطاهرة؟ فقال الرضا عليه السلام: الذين وصفهم الله في كتابه فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُظَهِّرَ كُمْ تَطْهِيرًا﴾، وهم الذين قال رسول الله عليه السلام: إني مخلف فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، انظروا كيف تختلفون فيهما، أيها الناس لا تعلموهم فإنهما أعلم منكم... (إلى أن قال): فصارت وراثة الكتاب للمهتدين دون الفاسقين»^(٥٢).

ومنها: ما عن موسى بن عقبة أن معاوية أمر الحسين عليه السلام أن يصعد المنبر فيخطب، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: نحن حزب الله الغالبون، وعترة نبيه الأقربون، أحد الثقلين الذين جعلنا رسول الله عليه السلام ثاني كتاب الله، فيه تفصيل لكل شيء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمعول علينا في تفسيره، لا نتنطئ تأويله، بل نتبع حقائقه، فأطليعونا فإن طاعتمنا مفروضة؛ إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة، قال الله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكَ الْأَمْرُ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، وقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَئِكَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعِلمَهُ الَّذِينَ يَسْتَبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(٥٣).

ومنها: ما عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَئِكَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعِلمَهُ الَّذِينَ يَسْتَبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ قال: «هم الأئمة المعصومون عليهم السلام»^(٥٤).

الطايفة الرابعة: ما دل على أن العقول بعيدة عن القرآن الكريم:

ومنها: ما عن جابر في حديث معه مع الإمام الباقر عليه السلام، وفيه أن الإمام عليه السلام قال

له: «وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، وإن الآية يكون أولها في شيء وآخرها في شيء، وهو كلام متصل متصرف على وجوهه»^(٥٥).
ومنها: ما عن عبد الرحمن بن الحجاج، قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ الْكَلْمَنْ يَقُولُ:
«ليس شيء أبعد من عقول الرجال عن القرآن»^(٥٦).

المناقشة:

الطائفة الأولى من الروايات الدالة على تحريم التفسير بالرأي، فإن علماء التفسير وجهوها إلى معنى كون تفسير المفسر لا على وفق ضوابط التفسير، وجعلوا وصفا للرأي الذي تشير إليه الروايات وقالوا: هو الرأي المذموم، وأما الرأي غير المذموم هو التفسير عن اجتهاد وعلى وفق ضوابط التفسير.

قال ابن جزي: «وتأول المفسرون... - الحديث - بأنه فيمن تكلم في القرآن بغير علم ولا أدوات، لا فيمن تكتبه أدوات العلوم ونظر في أقوال العلماء المتقدمين، فإن هذا لم يقل في القرآن برأيه».

و قريب من هذا التوجيه توجيه الطباطبائي من أن النهي في الروايات متوجه إلى الطريق وهو أن يسلك في تفسير كلامه تعالى الطريق المسلوك في تفسير كلام غيره من المخلوقين^(٥٧).

وقال جماعة من المفسرين بقول القرطبي في توجيه النهي إلى أحد وجهين، قال: « وإنما النهي يحمل على أحد وجهين:

أحدهما أن يكون له في شيء رأي، وإليه ميل من طبعه وهواء، فيتأنى القرآن على وفق رأيه وهواء؛ ليحتاج على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي

والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى. وهذا النوع يكون تارةً مع العلم كالذى يحتاج بعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أن ليس المراد بالآية ذلك، ولكن مقصوده أن يلبس على خصميه، وتارةً يكون مع الجهل، وذلك إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه، ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواء، فيكون قد فسر برأيه، أي رأيه حمله على ذلك التفسير، ولو لا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه. وتارةً يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به، كمن يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله تعالى: ﴿إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾، ويشير إلى قلبه، ويؤمئ إلى أنه المراد بفرعون، هذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام وترغيباً للمستمع، وهو من نوع؛ لأنه قياس في اللغة، وذلك غير جائز. وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغريب الناس ودعوتهم إلى مذاهبهم الباطلة، فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعاً أنها غير مراده. فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي.

الوجه الثاني أن يتسرع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلية، وما فيه من الاختصار والحدف والإضمار والتقديم والتأخير، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي، والنقل والسماع لابد له منه في ظاهر التفسير أولاً ليتقوى به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط. والغرائب التي لا تفهم إلا بالسماع كثيرة، ولا مطعم في الوصل إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ألا ترى أن

قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبَصِّرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ معناه آية مبصرة ظلموا أنفسهم بقتلها، فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة، ولا يدري بماذا ظلموا، وأنهم ظلموا غيرهم وأنفسهم، فهذا من الحذف والإضمار، وأمثال هذا في القرآن كثير، وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهي إليه. والله أعلم.

قلت: هذا صحيح، وهو الذي اختاره غير واحد من العلماء، فإن من قال فيه بما سمح في وهمه وخطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ، وإن من استنبط معناه بحمله على الأصول المحكمة المتفق على معناها فهو ممدوح^(٥٨).
ومال إلى هذا التوجيه الفيض الكاشاني^(٥٩)، والسيد نعمة الله الجزائري^(٦٠) والألوسي^(٦١).

والذي يبدو لي قريراً في المراد بالتفسير بالرأي هو أن يجتهد المفسر في التفسير من غير أن يتوصل إلى علم يظهر المراد من الآيات الكريمة، وهذا عادةً يلازم عدم سلوك قواعد التفسير، وهذا الذي يراه ابن كثير^(٦٢)، ويشهد لذلك أن رواية ابن عباس عن النبي ﷺ في تحريم التفسير بالرأي يرويها تارةً أخرى بالتفسير من غير علم، ويشهد لذلك ما رواه زياد بن أبي رجاء عن أبي جعفر عاش عليهما السلام: «ما علمتم فقولوا، وما لم تعلموا فقولوا: الله أعلم، إن الله ليتنزع الآية من القرآن يخر فيها أبعد ما بين السماء والأرض»^(٦٣).

ويشهد ذلك أيضاً أن عدة روايات من الطائفة الأولى بنفس لسان الطائفة الثانية، غير أن الفرق أن في الطائفة الأولى التحرير للتفسير بالرأي، وفي الطائفة الثانية التحرير للتفسير من غير علم.

فإذا اتضح بأن المراد بالتفسير بالرأي هو التفسير الذي ليس للعلم إليه طريق، فإن هذه الطائفة من الروايات وكذلك الطائفة الثانية لا تدل على أن كل ما في القرآن لا يعلم إلا من خلال السنة، فإنه كثير من المعاني تعلم من ظواهر القرآن الكريم، أي أن تتحقق هذه المعاني من القرآن عن طريق العلم كما هو في كثير من ظواهر ومحكمات القرآن الكريم، فيتتحقق أن الروايات في الطائفة الأولى والطائفة الثانية خارجة عن موضوع النزاع؛ إذ لا نزاع في أن كثير من الآيات الكريمة لا يمكن معرفة المراد منها إلا من السنة، وهو لا يدل على أن كل ما في القرآن لا يمكن معرفته إلا من خلال السنة.

وأما الطائفة الثالثة فإن غاية ما تدل عليه أن فهم القرآن الكريم بأكمله إنما هو عند أهل البيت عليهم السلام، ولا تدل على أن أي معنى من المعاني لا يمكن استظهاره من غير أهل البيت عليهم السلام، ولا شك بأن علوم القرآن وأغواره وكنوزه وتفسير ما فيه من المتشابهات والمشكلات بل حتى بواطن وظواهر القرآن عند أهل بيت النبوة صلوات الله وسلامه عليهم، وهذا لا ينافي بأن للقرآن معانٍ يمكن فهمها وحصول العلم بها من خلال ظواهر القرآن الكريم.

وأما الطائفة الرابعة من الروايات الدالة على أن العقل لا يمكن أن يدرك معاني القرآن الكريم فإنها إنما تدل على أن ما كان في القرآن غير واضحًا مثل المتشابهات والإجماليات، لا يمكن درك معانها من خلال العقل بنفسه من غير الرجوع إلى مصادر التفسير وقواعد التفسير لاسيما الأحاديث وروايات أهل البيت عليهم السلام، وهذا لا ينافي أن للقرآن ظواهر يفهمها العارف باللغة وأساليبها، ويتبع الظواهر بعد الفحص عن القرآن، وقال السيد الطباطبائي في هذه الطائفة من

الأحاديث: «وقد تبين أن المتعين في التفسير الاستمداد بالقرآن على فهمه وتفسير الآية بالأية وذلك بالتدريب بالآثار المنقولة عن النبي وأهل بيته (صلى الله عليه وعليهم) وتهيئة ذوق مكتسب منها ثم الورود، والله الهادي»^(٦٤).

وقال السيد عبد الأعلى السبزوراري: «المراد من قوله عَلَيْهِ الْكَلَمُ: «وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن» قبل التفحّص ورد المتشابه إلى المحكم، وأما بعد ذلك وتقرير العقول بالشريعة المقدّسة فلا بعد حينئذ، بل أمرنا بالتعلق والتدبر والتفكير في القرآن الكريم في كثير من الآيات الشريفة، ولا معنى لكون ذلك فيما هو بعيد عن العقول، فهو بعيد في عين كونه قريباً إلى العقول بالاعتبارين، كما مر آنفاً، وهو كلام متصل يتصرّف في وجوهه»^(٦٥).

وبهذا يتضح بأن الروايات لا تدل على أن كل ما في القرآن لا يمكن فهمه إلا من خلال السنة.

وقال السيد نعمة الله الجزائري في الرد على أصحاب هذا الرأي: «إن ما ذهب إليه المؤخرون من الأخباريين من أنه ليس في القرآن آية أو كلمة يجوز تفسيرها والكشف عن معناها إلا بالنص الصحيح يلزم عليه تعطيل القرآن عن الدلالة؛ لأن الأخبار ما وفت إلا بتفسير بعض آياته، ولو سددنا هذا الباب وجعلنا القرآن كله من باب المتشابه الذي لا يفهم معناه إلا بالنقل عن المعصومين عَلَيْهِمُ الْكَلَمُ لما استبان للقرآن إعجاز؛ لأن الفصاحة والبلاغة في الألفاظ تابعان لفهم المعاني كما لا يخفى»^(٦٦).

الدليل العقلي:

ذكر لأصحاب هذا الرأي دليل عقلي على عدم إمكان فهم القرآن حتى من

ظواهره، وتقريب الدليل بأن يقال:

إن كثيراً من ظواهر القرآن غير مراده قطعاً، وذلك للعلم الإجمالي بورود مخصصات ومقيدات لعمومات وإطلاقات القرآن، وهذه العمومات المخصصة والإطلاقات المقيدة غير متخصصة لنا بعينها، فتكون هذه العمومات المخصصة والإطلاقات المقيدة مرددة بين جميع إطلاقات القرآن وعمومات القرآن، وينتج عن ذلك أن جميع ظواهر الكتاب وعموماته مجملة، وعليه فلا يمكن فهمها ودر كها^(٧٧).

المناقشة:

إن هذا العلم الإجمالي منحلٌ، فإنه بعد الفحص والتحقق مما هو مقيد ومحخص مما هو ليس كذلك لا يبقى للعلم الإجمالي محلٌ، وبذلك يظهر أن فهم الظواهر ممكّنٌ بعد الفحص عن القراءن.

وهذا القول أكثر إشكالاً على فريق العامة حيث لا يرون حجية سنة أهل البيت عليهما السلام كحجية سنة الرسول عليهما السلام، على الرغم من أن حديث الثقلين متواتر، فكيف يتوقف فهم أي معنى من القرآن عندهم على قول الرسول عليهما السلام؟! لذا تعجب الألوسي من أصحاب هذا القول حيث قال:

«والعجب كل العجب مما يُزعم أن علم التفسير مضطراً إلى النقل في فهم معاني التراكيب ولم ينظر إلى اختلاف التفاسير وتنوعها ولم يعلم أن ماورد عنه في ذلك كالكبريت الأحمر»^(٦٨).

وبعد بيان عدم صحة أدلة هذا القول يتضح فساده، لاسيما بعد ملاحظة الأدلة

الدالة على فهم القرآن الكريم.

القول الثالث بفهم الظواهر وعدم فهم غير الظواهر إلا من سنة:

ويظهر هذا القول من الطبرى حيث قسم معانى القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام،
قسم لا يعرفه إلا الله سبحانه وتعالى، وما يعرفه أهل اللسان ونعبر عنه هنا بالظواهر،
وقسم لا يعرف إلا من خلال أحاديث الرسول ﷺ (٦٩).

المناقشة:

كفى في مناقشة هذا القول بأن ما ورد عن النبي ﷺ قليل جدًا، فكيف يعول
على فهم غير الظواهر إذا لم يرد فيه حديث رسول الله ﷺ؟! وقال الألوسي بأن
الوارد عن النبي ﷺ كالكبير الأحمر من القلة (٧٠).

القول الرابع: يفهم القرآن في ظواهره وفي غيرها بالدليل:

وهذا هو قول مشهور المفسرين في فهم القرآن، المعروف بالتفسير
الاجتهادي، وهو وإن اشتراك مع المتقدمين من أصحاب الرأي حيث إنهم يدعون
فهم غير الظواهر غير أن أصحاب الرأي لا دليل لهم على الفهم المزعوم، وأما هذا
مشهور المفسرين يتوقفون في التفسير إلا مع الدليل الحجة.

وهذا القول ينسجم مع بعض ظواهر المرويات مثل ما روى عن أمير
المؤمنين علیه السلام، وفيه أنه قال: «ثم إن الله (جل ذكره) لسعة رحمته ورأفته بخلقه
وعلمه بما يحدثه المبدلون من تغيير كتابه، قسمَ كلامه ثلاثة أقسام، فجعل قسمًا منه
يعرفه العالم والجاهل، وقسمًا لا يعرفه إلا من صفي ذهنه ولطف حسه وصح تميزه

ممن شرح الله صدره للإسلام، وقسماً لا يعرفه إلا الله وأمناؤه والراسخون في العلم؛ وإنما فعل الله ذلك لئلا يدعى أهل الباطل من المستولين على ميراث رسول الله ﷺ من علم الكتاب ما لم يجعل الله لهم؛ ولزيودهم الاضطرار إلى الاتيمار لمن واه أمرهم فاستكبروا عن طاعته تعزراً وافتراءً على الله عز وجل، واغتراراً بكثرة من ظاهرهم وعاونهم وعاند الله عز وجل ورسوله، فأما ما علمه الجاهل والعالم فمن فضل رسول الله في كتاب الله، فهو قول الله عز وجل: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوْا تَسْلِيْمًا﴾، ولهذه الآية ظاهر وباطن، فالظاهر قوله: ﴿صَلُّوْا عَلَيْهِ﴾ والباطن قوله: ﴿وَسَلِّمُوْا تَسْلِيْمًا﴾، أي سلموا لمن وصاه واستخلفه وفضله عليكم، وما عهد به إليه تسليماً، وهذا مما أخبرتك أنه لا يعلم تأويله إلا من لطف حسه، وصفى ذهنه، وصح تمييزه» (٧١).

وينسجم أيضاً مع ما روي عن الإمام الصادق ع علّيَّهُ أَعْلَمُ بِحَدِيثٍ أَنَّهُ قَالَ: «كتاب الله عز وجل على أربعة أشياء على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء» (٧٢).

وما روي عن ابن عباس أنه قال: «التفسير على أربعة وجوه، وجة تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهاته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى» (٧٣).

وبعد اتضاح مباني الفريقين في فهم القرآن الكريم، نتكلّم عن فهم القرآن بشكل عام، عن مراتب الناس في فهم القرآن والعوامل المساعدة على فهمه.

مراتب لفهم القرآن الكريم:

لا شك بأن المرتبة الخاصة التي خصها الله سبحانه لأولياه هي الرتبة العالية التي لا ينال ولا يقرب منها أحدٌ؛ وذلك لمعرفة الله سبحانه بخاسته ولذا اصطفاهم وفضلهم على العالمين، وجعل حبهم قربةً إليه، وجعلهم المختصين بالمعرفة الواقعية لكتابه، وهو الطريق لمعرفة الحقائق القرآنية، كما دلت عليه الطائفـة الثالثـة من الأحاديث المتقدمة، وهم القرآن الناطق، وهم حبل الله المتين، وهم باب علم الله سبحانه، فمن قوى تمسكه بهم من خلال تطبيق أقوالهم والتوصـل بهـم وحبـه لهم كثـر فهمـه لحقائق القرآن.

وقال السيد الإمام الخميني رض: «إن للقرآن منازل ومراحل وظواهر وبواطن، أدناها ما يكون في قشور الألفاظ وقبور التعينات... وهذا المنزل الأدنى رزق المسجونين في ظلمات عالم الطبيعة، ولا يمس سائر مراتبه إلا المطهرون من أرجاس عالم الطبيعة وحـدـثـهـ، والمـتوـضـؤـونـ بمـاءـ الـحـيـاةـ منـ العـيـونـ الصـافـيـةـ،ـ والمـتـوـسـلـونـ بـأـذـيـالـ أـهـلـ الـبـيـتـ الـعـصـمـةـ وـالـطـهـارـةـ،ـ والمـتـصـلـونـ بـالـشـجـرـةـ الـمـبارـكـةـ الـمـيمـونـةـ،ـ والمـتـمـسـكـونـ بـالـعـرـوـةـ الـوـثـقـىـ الـتـيـ لـاـ انـفـصـامـ لـهـاـ،ـ وـالـحـبـلـ الـمـتـينـ الـذـيـ لـاـ نـقـضـ لـهـ،ـ حـتـىـ لـاـ يـكـونـ تـأـوـيـلـهـ أـوـ تـفـسـيرـهـ بـالـرـأـيـ وـمـنـ قـبـلـ نـفـسـهـ،ـ إـنـهـ لـاـ يـعـلـمـ تـأـوـيـلـهـ إـلـاـ اللـهـ وـالـرـاسـخـونـ فـيـ الـعـلـمـ»^(٧٤).

نعم كل ما تسمك المسلم بطريق الحق وأئمة الحق أنار له القرآن الطريق إلى الله سبحانه وتعالى، وعمل الله بكامل الرضا، نعم هذا لا يعني بأن من لم يكن على طريق الحق لا يستفيد من القرآن الكريم، بل القرآن سفرة لكل مستطعمـيـهـ،ـ وكل يستفيد من هذا السفرة بقدر إنائه وما لديه من فـكـرـ وـعـقـيـدةـ وـعـمـلـ،ـ وـقـدـ أـشـارـ إـلـىـ

ذلك الإمام الخميني^(٧٥).

ولو أنفق الإنسان عمره في تحليل المعارف القرآنية لنفد ولم يفِ عمره ولا عمر غيره لذلك، وأي وقت يصل إلى إدراك العلم الديني المستودع عند العترة الطاهر سلام الله عليهم، ويقول الملا صدرًا في هذا الصدد: «ولعلّ العمر لو اتفق في استكشاف أسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقطع العمر قبل الوصول إلى الإحاطة بجميع لواحقه، والقرآن مشحون بأمثاله، بل ما من كلمة من القرآن إلا وتحقيقها محوج إلى مثل ذلك.

وإنما ينكشف للعلماء الراسخين في العلم من أسراره وأنواره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفّر دواعيهم على التدبّر وتجردّهم للطلب، ويكون لكلّ واحد حدّ في الترقّي إلى درجة منه، فأمام الاستيفاء التامّ فلا مطعم لأحد فيه، ولو كان البحر مداداً والأشجار أقلاماً والخلائق كتاباً لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات الله، فأسرار كلماته وأنوار آياته مما لا نهاية لها ولا بداية، فمن هذا الوجه يتفضّلخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير.

فقس على هذا المثال جميع ما ورد في الكتاب والسنة^(٧٦).

الشرائط التي تساعد على فهم القرآن الكريم:

تقدّم أن التمسّك بأهل البيت عليهما السلام من أهم العوامل التي تساعد على فهم القرآن بشكل أوسع، ولكن لا بد من بعض الأمور التي تساعد على فهم القرآن بشكل عام، وفيما يلي نذكر بعضها:

منها: التدبر في الآيات الكريمة:

وقد تكرر الأمر الشرعي سواء من القرآن الكريم أو من الأحاديث بالتدبر في القرآن الكريم والتفكير فيه، وتقدمت الآيات في صدر البحث، ولا بد من تهيئة الأرضية لحصول التدبر، فإن التدبر له مقدمات ومن أهمها هو التمهل في قراءة القرآن الكريم، لاسيما بناءً على أن معنى قوله تعالى **﴿وَرَتَّلَ الْقُرْآنَ﴾** اقرأه بتمهل، فإنه هذا يكون عوناً على فهم تدبر القرآن الكريم^(٧٧).

منها: جهاد النفس وصفاتها:

لا يكفي إتقان اللغة العربية في فهم القرآن الكريم، وإن كان ذلك شرطاً أساسياً لفهم القرآن الكريم، لكن لأجل فهم القرآن أكثر لا بد من صفاء النفس وجهادها؛ ولذا يمكن اختلاف فهم القرآن بقدر جهاد النفس، ولا ينبغي الاغترار لمجرد معرفة اللغة العربية وإن كان ذلك شرطاً محورياً، بل وردت أفضلية اللغة العربية على سائر اللغات في عدد من الروايات وأنها لغة أهل الجنة، لكن لا ينبغي الاغترار بذلك لاسيما إذا انعدم شرط جهاد النفس، قال الملا صدرا: «كل من اكتفى بظاهر العربية وبادر إلى تفسير القرآن بمجرد نقل الكتب وحمل الأسفار، من دون الارتقاء إلى عالم الأنوار وفقه الأسرار، ونقاء السريرة عن أغراض هذه الدار، وخلاص القلب عن غشاوة هذه الآثار، فهو حريٌ بهذا التمثيل، فإن الاطلاع على ظاهر العربية وحفظ النقل عن أئمّة التفسير في ترجمة الألفاظ لا يكفي في فهم حقائق المعاني، ومن أراد أن ينكشف له أنّ هذه المرتبة ليست من مرتبة إدراك المعاني القرآنية والاطلاع على حقائقها فليتأمل في مسألة واحدة منها وعجز المفسّرين عن دركها،

ليقيس عليها غيرها، وهو أن الله تعالى قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(٧٨)، وظاهر تفسيره واضح جليّ، وحقيقة معناه في غاية الغموض، فإنه إثبات للرمي ونفي له، وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم أنه رمى من وجهه، ولم يرم من وجهه، ومن الوجه الذي لم يرم رماه الله تعالى.

ثم يفهم أنه ما جهة الوحدة والهووية، وما جهة الغيرية والكثرة.

وكذلك قال تعالى: ﴿فَاتُلُّوهُمْ يُعذَّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾^(٧٩)، فإذا كانوا هم القاتلين كيف يكون الله هو المعذب؟ وإن كان الله هو المعذب بتحريكهم بما معنى أمرهم بالقتال؟

فالتحقيق في مثل هذا المقام يحتاج إلى العلوم المتعالية عن علوم المعاملات، ولا يعني عنه علوم العربية وتفسير الألفاظ»^(٨٠).

ومما يدل على أن جهاد النفس يساعد على فهم القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَهُدْنَيْنَهُمْ سُبُّلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٨١)، فإن بإطلاقها تشمل سبيل معرفة المعارف القرآنية.

وقال السيد المدرسي: «من أراد فهم القرآن زكي نفسه وطهرها من الشكوك والريب وحب الشهوات، ومن الكبر والحدق والحسد والجبن وما أشبه، فأنئذ ينساب نور الهدى فيه بلا حجب ولا موانع».

جاء في الحديث المأثور عن الإمام الصادق ع عليه السلام: «إن لك قلباً ومسامع وإن الله إذا أراد أن يهدي عبداً فتح مسامع قلبه، وإذا أراد به غير ذلك ختم مسامع قلبه، فلا يصلح أبداً، وهو قول الله عز وجل: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْغَالُهَا﴾»^(٨٢).

لكن ليس العامل الوحيد فهم القرآن الكريم هو صفاء النفس كما يزعم

الصوفية، وإن كان هو عاملاً مهماً، قال في الكشاف عنهم: «قال الصوفية كلهم أو جلهم: لا سبيل إلى المعرفة والعلم بالله ووحيه، والشريعة وأسرارها إلا الإيمان والتقوى، فمن اتقى الله عرفه وعرف شريعته وأحكامها، وعرف الآخرة وأهوالها، وفهم القرآن والحديث من غير درس وتعلم، ويسمون علمهم هذا بالعلم اللدني، واستدلوا بأدلة منها قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمُ اللَّهُ﴾^(٨٣).

ويرد على الصوفية بأن دعواهم تخالف ما تواتر من الأحاديث الدالة - ولو بالمضمون - على الحث على التعلم، وأن طلب العلم فريضة على كل مؤمن، وأما ما استدلوا به من الآية فإنها لا تدل على دعواهم، فلو كان العلم جزاءً على التقوى في الآية لكان يعلمكم مجزوماً، ولما اقتربن الجواب بالواو، بل الأنساب اقتربانه بالفاء، ثم على فرض كون ﴿يَعْلَمُكُمُ﴾ جزاءً لـ ﴿أَتَّقُوا﴾ فإنه غاية ما يدل على أن للتقوى دخلاً في حصول التعلم، ولا يدل على أدراك مقاصد الشريعة من غير تعلم، وإنستاد التعلم إلى الله سبحانه لا ينافي حصول التعلم بالواسطة من قبل المعلم الصحيح.

منها معرفة موارد النزول:

فإن معرفة موارد النزول وتطبيق الآية الكريمة على مورد النزول مما يساعد على فهم خصائص وجزئيات غائبة عن الفهم الابتدائي ولا تحصل من غير الرجوع إلى موارد النزول.

دعوى فهم كل أسرار القرآن:

لكن لا ينبغي الغفلة عن أنه لا يمكن لأحد فهم كل أغوار القرآن سوى الذين خصهم الله تعالى بذلك، وقد يدعى البعض أنه يمكن فهم كل مضامين القرآن

ال الكريم بشكل شامل لغير المعصوم، غاية الأمر لابد من أصول وشروط يجب رعايتها، وأهمها معرفة أسباب النزول، قال د.الزحيلي وهبة بن مصطفى في تفسيره: «إن معرفة أسباب نزول الآيات بحسب الواقع والمناسبات لها فوائد كثيرة وأهمية بالغة في تفسير القرآن وفهمه على الوجه الصحيح؛ لأن أسباب النزول قرائن معبرة توضح غاية الحكم، وتبيّن سبب التشريع، وتعرف أسراره ومراميه، وتساعد على فهم القرآن فهماً دقيقاً شاملاً، حتى وإن كانت العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب... وكل ما سبق يشير إلى أن شريعة القرآن ليست فوق مستوى الأحداث، وأنها سامية مثالية لا تقبل التطبيق، وإنما هي متعاقرة مع كل زمن، متفاعلة مع الواقع، تصف العلاج الحاسم لكل داء عضال من أمراض المجتمع وشذوذاته الأفراد وانحرافاتهم»^(٨٤).

وقال الحجري في تفسيره: «اهتم المفسرون بذكر أسباب النزول، فجعلوا معرفتها من الضروريات لمن يريد فهم القرآن والوقف على أسراره»^(٨٥).

مناقشة د. الزحيلي والحربي:

أسباب النزول وإن كان لها الأثر في فهم القرآن غير أن هذا الفهم لا يتتجاوز فهم الظاهر، وفهم الظاهر وإن كان له دخلٌ في فهم بعض أسرار القرآن الكريم غير أنه ليس العامل الوحيد لمعرفة جميع أسرار القرآن ومراميه، والعجب من هذا المفسر لا يجعل لصفاء النفس وتقوى الله الأثر في معرفة أسرار القرآن وبواطنه كما يجعله لمعرفة أسباب النزول.

وكلام د. الزحيلي وإن اشتمل على بعض الأمور الصحيحة لكن فهم القرآن

فهمًا شاملاً ودقيقاً لغير المعصوم محالٌ بعد وضوح ذلك من خلال الأدلة النقلية، بل حتى من الحوادث التاريخية الواقعية التي تدل على غزارة علم أهل البيت عليهم السلام بالقرآن الكريم، وقال السيد روح الله الخميني: «فهذا الكتاب التكويني الإلهي وأولياؤه الذين كتب سماوية، نازلون من لدن حكيم عليم وحاملون للقرآن التدويني، ولم يكن أحد حاملاً له بظاهره وباطنه إلا هؤلاء الأولياء المرضىين، كما ورد من طريقهم عليهم السلام».

ومما يدل على ذلك من الروايات ما عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «ما يستطيع أحد أن يدعى أن عنده جميع القرآن كله، ظاهره وباطنه، غير الأوصياء»^(٨٦). كما تقدت الطائفة الثالثة من الروايات الدالة على ذلك.

والسيد الإمام يرى بأن فهم حقيقة القرآن مختصة بالأولياء، أي بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأوصيائه، وحقيقة القرآن عند السيد الإمام هي الكلام النفسي^(٨٧)، ولكن الملا صدرا يرى بأن حقيقة القرآن خلق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «هو والقرآن بحسب حقيقته الأصلية خلق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكل ما يفهمه المفسرون ويصل إليه إدراكهم ظلل من ظلاله القريبة والبعيدة وشبح من أشباحه العالية والدانية»^(٨٨).

وذكر الطباطبائي ما مفاده بأن بطن القرآن لا يدركه إلا المطهرون، قال: «فالمحصل من الآيات الشريفة أن وراء ما نقرؤه ونعقله من القرآن أمراً هو من القرآن بمنزلة الروح من الجسد، والمتمثل من المثال، وهو الذي يسميه تعالى بالكتاب الحكيم، وهو الذي تعتمد وتتكى عليه معارف القرآن المنزلي ومضمانيه، وليس من سنسخ الألفاظ المفروقة المقطعة ولا المعانوي المدلول عليها بها... وبذلك يظهر حقيقة معنى التأويل، ويظهر سبب امتناع التأويل عن أن تمسه الأفهام العادية

والنفوس غير المطهرة»^(٨٩).

ويرى ملا صدرا بأن أسرار القرآن استكمال معارف ظاهر القرآن، ونيل فهمها على حسب مراتب الناس الروحية والمرتبة الأسمى عند الأولياء قال: «أسرار ذلك كثيرة ولا يدلّ ظاهر تفسير اللفظ عليها، ومع ذلك فليس منافق لظاهر التفسير، بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه عن قشره، فإن للقرآن حقيقة كالإنسان، وله قشران ولبان كالجوز، ولكل منها مراتب كثيرة حسب تعدد النشأت، وكما أنَّ الإنسان الحسي صنم لسائر مراتبه واقع في أول درجات الإنسانية ومراتبه ومارجعه، وأعلى منه الإنسان المثالي، ثم الإنسان النفسي، ثم العقلي كالحكماء، ثم الإلهي كالتألهين من العرفاء والأولياء، فهكذا يجب أن يعلم مراتب فهم القرآن، فكل أحد لا يفهم إلا بما يتحقق فيه»^(٩٠).

وبذلك يتضح بأن ليس لكل أحد خيار أن يصل إلى درك جميع معاني وحقائق القرآن الكريم، بل ما دون ذلك أيضاً منوط بسلوك المفسر الروحي والقدرة العلمية باللغة وقواعد التفسير.

موانع فهم القرآن:

كما أن للقرآن عوامل تساعد على فهمه كذلك هناك عوامل تحجب الإنسان عن درك وفهم القرآن الكريم، والموانع لفهم القرآن الكريم متعددة ولكن نذكر بعضها:

منها اتباع الهوى:

فإن من يتبع هواهأخذ بنفسه نحو الإلتصاق بالدنيا وتنعم أعضائه المادية بها،

هذا يصد عن سلك ما يوجب سمو الروح، وبالتالي يؤدي إلى عدم إدراك ووعي المعرف التي تسمى بالروح إلى ساحات السعادة، وقد دلت على ذلك جملة من الأحاديث منها ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «إنما أخشى عليكم من بعدي اتباع الهوى، وطول الأمل، فإن طول الأمل ينسى الآخرة، واتباع الهوى يصد عن الحق»^(٩١).

إطلاق الحديث يشمل فهم وإدراك القرآن الكريم، قال الملا صدرا: «أما الذين غرّتهم الحياة الدنيا فهم أهل الحرص والشهوة، فلغایة ميلهم إلى اللذات العاجلة وحرصهم إلى اقتناء المال واكتساب الشهوات صاروا محجوبين عن فهم القرآن ومعانيه، دون الفاظه ومبانيه، وعن إدراك أمور الآخرة وأحوال المبدأ والمعاد، والعلم بالمفارقات والربويات، فانكباوا عن الطريق وحرموا عن الجدوى، جعلوا أصابعهم في آذانهم، واستغشوا ثيابهم، نسوا الله فأنساهم أنفسهم»^(٩٢).

منها: التكبر:

كما قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بَغْيَرِ الْحَقِّ﴾، وعن ابن عيسى يقول: «أنزع عنهم فهم القرآن وأصرفهم عن آياتي»^(٩٣). وليس هذا الخلق السيء يحجب عن فهم القرآن فحسب بل كثير من الأخلاق السيئة تحجب مثل العجب والرياء، وحتى الذنوب تأثر في تكوين حجاب على القلب فيمنع إدراك القرآن^(٩٤).

ومنها: التقليد الأعمى:

كما أن دعوة النبي ﷺ لم تؤثر في قلوب من كانوا يقلدون آباءهم، فإن طبع التقليد في شأن التفسير أيضاً يحجب عن إدراك البراهين الصحيحة والحقائق، قال

الدكتور وهبة بن مصطفى: «إن إقامة الحواجز دون فهم القرآن وقبوله وتدبر معانيه، كان بسبب التقليد الأعمى وإعراضهم الناشئ عن تصميم وحزم لا ينظروا فيما يسمعون نظرة تأمل وإمعان ليميزوا بين الحق والباطل»^(٩٥).

ثمار فهم القرآن الكريم:

بما أن القرآن الكريم كتاب هداية ولا شك في كون الغرض من إنزال الله تعالى له هو هداية الناس الهدایة العملية، وهي متوقفة على الهدایة النظرية، فهو كتاب هداية لطريق الحق، وكل ما يصب في تسهيل الوصول إلى طريق الحق، بل هو هداية لطريق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، والهدایة الأخروية والروحية على اختلاف درجاتها فإن نيل كل درجة منها متوقف على السعي إلى أخذها بالطريقة التي أمر الله عز وجل بها، وواضح كون سعادة الدارين تحتاج إلى العلوم في شتى المجالات، وعلى هذا فإن في فهم القرآن انفتاحاً للعلوم في جميع المجالات، ولربما أشار إلى ذلك ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من فهم القرآن فسر جمل العلم»^(٩٦).

ولذا قيل بأن العلوم الإسلامية حصيلة الجهود التي بذلها عباقرة الفكر الإسلامي في مجال فهم القرآن الكريم والسنة الشريفة^(٩٧).

وقال الدكتور وهبة بن مصطفى في تفسيره: «ومن يوفقه الله للعلم النافع، وعلى التخصيص فهم القرآن والدين، ويرشد إلى هداية العقل، فقد هدي إلى خيري الدنيا والآخرة، وأدرك الأمور على حقيقتها... ومن أعطي الحكمـة (العلم النافع الصحيح) وفهم القرآن، فقد أعطي أفضل ما أعطي من جمع كتب علم الأولين من الصحف وغيرها»^(٩٨).

وهنا نصل إلى ختام المقال، نسأل الله أن يأخذ بآيدينا إلى طريق فهم معاني كتابه وأسراره، والحمد لله رب العالمين وصل اللهم على أشرف خلقه أجمعين محمد وآلـه الطيبين الطاهرين.

المواهش:

- (١) تفسير الطبرى، ج ١، ص ٥٩.
- (٢) التسهيل، ج ٢، ص ٩.
- (٣) مسنـد أبي يعلى، ج ٨، ص ٢٢، ح ٤٥٢٨. تفسير الطبرى، ج ١، ص ٥٨، ح ٧٤ وح ٧٥. تفسير الشعالي، ج ١، ص ١٣٨.
- (٤) تفسير الطبرى، ج ١، ص ٥٩. تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٦، وقال فيه: إسناده صحيح.
- (٥) تفسير الطبرى، ج ١، ص ٥٩.
- (٦) تفسير الطبرى، ج ١، ص ٥٩.
- (٧) تفسير الطبرى، ج ١، ص ٥٩. تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٧.
- (٨) تفسير الطبرى، ج ١، ص ٥٧. تاريخ بغداد، ج ١١، ص ١١٨. شعب الإيمان، ج ٢، ص ٤٢٤.
- (٩) تفسير الطبرى، ج ١، ص ٥٩ - ٦٠. تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٧.
- (١٠) نفس المصدر.
- (١١) تفسير الطبرى، ج ١، ص ٦٠.
- (١٢) تفسير الطبرى، ج ١، ص ٦٠، و٦١، نقلت العبارة مع تصرف لأجل التوضيح.
- (١٣) التسهيل، ج ٢، ص ٩، العبارة نقلتها بتصرف لأجل التوضيح.
- (١٤) الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٣٥.
- (١٥) تفسير الطبرى، ج ١، ص ٦١.
- (١٦) الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٣٤. البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج ١، ص ٨.
- (١٧) التبيان، ج ١، ص ٤. مجمع البيان، ج ١، ص ٣٩.
- (١٨) تفسير الطبرى، ج ١، ص ٣٢٢، ٣٣٩، ٦٦٧، ٣٣٩، وح ٢، ص ٧، ٢٦، ١٨٦، ٤١٥، ٣٣٧، ٥٥٢٢، ٥٥٣٧، ٥٥٧، ٥٥٦، ٥٦٦، ٥٧٤، ٥٧١.
- (١٩) فرائد الأصول، ج ١، ص ٥٦. البيان في تفسير القرآن، ص ٢٦٥.

- (٢٠) الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٣٣.
- (٢١) تفسير الشعابي، ج ١، ص ٩٩. الإنقان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٤٧٧. أبجد العلوم، ج ٢، ص ١٧٥.
- مقدمة المحرر الوجيز، ج ١، ص ١٣.
- (٢٢) سورة النساء، الآية ٥٩، وذكر هذا الدليل لهذا القول القرطبي في تفسيره، ج ١، ص ٣٣.
- (٢٣) سنن الترمذى، ج ٤، ص ٢٦٩، ح ٤٠٢٣. تفسير الطبرى، ج ١، ص ٥٤-٥٥. كنز العمال، ج ١٠، ص ٢٢٢.
- (٢٤) كمال الدين وتمام النعمة، ص ٢٥٧.
- (٢٥) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٤. وسائل الشيعة، ج ٢٨، باب الحكم بغير الكتاب والسنّة، ص ٣٣.
- (٢٦) سنن أبي داود، ج ٢، ص ١٧٨، ح ٣٦٥٢. سنن الترمذى، ج ٤، ص ٢٦٨-٢٦٩، ح ٤٠٢٤. السنن الكبرى، ج ٥، ص ٣١، ح ٨٠٨٦. مسند أبي يعلى، ج ٣، ص ٩٠، ح ١٥٢٠.
- (٢٧) تفسير العياشى، ج ١، ص ١٧.
- (٢٨) تفسير العياشى، ج ١، ص ١٧.
- (٢٩) تفسير العياشى، ج ١، ص ١٨.
- (٣٠) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٠٧.
- (٣١) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٠٧، ح ٢.
- (٣٢) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٠٨، ح ٣.
- (٣٣) تفسير الطبرى، ج ١، ص ٥٥.
- (٣٤) تفسير الطبرى، ج ١، ص ٥٤-٥٥.
- (٣٥) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ٤٠، ح ٦، والسنّد صحيح بناءً على توثيق مشايخ المشايخ الثلاثة؛ لأنّ في السنّد مثنى الحناط وهو لم يوثق غير أنّ المشايخ الثلاثة قد رروا عنه.
- (٣٦) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٨٦، ح ٢٧.
- (٣٧) توحيد الشيخ الصدوقي، ص ٩١.
- (٣٨) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٧٦.
- (٣٩) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٨٥.
- (٤٠) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٧٧.
- (٤١) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٧٩.
- (٤٢) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٧٩.
- (٤٣) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٨٠.
- (٤٤) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٨٠.

- (٤٥) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٨١.
- (٤٦) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٨١.
- (٤٧) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٨٢.
- (٤٨) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٨٣.
- (٤٩) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٨٥.
- (٥٠) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٨٦.
- (٥١) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٨٨.
- (٥٢) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٨٨-١٨٩.
- (٥٣) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٩٥.
- (٥٤) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ٢٠٠.
- (٥٥) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١٩٢-١٩٣.
- (٥٦) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ٢٠٣.
- (٥٧) تفسير الميزان، ج ٣، ص ٧٨.
- (٥٨) الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٣٣-٣٤.
- (٥٩) تفسير الصافي، ج ١، ص ٣٦-٣٨.
- (٦٠) نور البراهين، ج ١، ص ١٨٨.
- (٦١) روح المعاني، ج ١، ص ٦.
- (٦٢) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٧.
- (٦٣) أصول الكافي، ج ١، ص ٤٢.
- (٦٤) تفسير الميزان، ج ١، ص ٨٧.
- (٦٥) تفسير مawahib الرحمن، ج ٥، ص ٦١.
- (٦٦) نور البراهين ج ١، ص ١٨٩.
- (٦٧) لاحظ ما ذكره السيد الخوئي في كتابه البيان، ص ٢٦٨-٢٦٩.
- (٦٨) تفسير روح المعاني، ج ١، ص ٦.
- (٦٩) لاحظ تفسير الطبرى، ج ١، ص ٥٣.
- (٧٠) لاحظ روح المعاني، ج ١، ص ٦.
- (٧١) الاحتجاج، ج ١، ص ٣٧٦-٣٧٧.
- (٧٢) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٠٣.

- (٧٣) تفسير الطبرى، ج ١، ص ٥٤.
- (٧٤) قرآن كتاب هدایت، ص ١١٨.
- (٧٥) قرآن كتاب هدایت، ص ١١٥.
- (٧٦) تفسير ملا صدراء، ج ٧، ص ١٩٢-١٩٣.
- (٧٧) لاحظ تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٤٣٥. تفسير المنير، ج ٢٩، ص ١٩٢.
- (٧٨) سورة الأنفال، الآية: ١٧.
- (٧٩) سورة التوبة، الآية: ١٤.
- (٨٠) تفسير ملا صدراء، ج ٧، ص ١٩٣.
- (٨١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.
- (٨٢) من هدى القرآن الكريم، ج ١٣، ص ٢٦٠. ومصدر الحديث: نور الثقلين، ج ٥، ص ٤١.
- (٨٣) تفسير الكشاف، ج ١، ص ٤٥٠.
- (٨٤) تفسير المنير، ج ١، ص ١٩.
- (٨٥) تفسير الحبرى، ص ٩١.
- (٨٦) أصول الكافي، ج ١، ص ٢٨٨، كتاب الحجة.
- (٨٧) قرآن كتاب هدایت، ص ١٣٢.
- (٨٨) تفسير ملا صدراء، ج ٧، ص ١٩٥.
- (٨٩) تفسير الميزان، ج ٣، ص ٥٤.
- (٩٠) تفسير ملا صدراء، ج ٧، ص ١٩٤.
- (٩١) خصائص الأئمة، ص ٩٦. إرشاد الشيخ المفيد، ج ١، ص ٢٣٦.
- (٩٢) تفسير ملا صدراء، ج ٥، ص ٢٩٨.
- (٩٣) تفسير الطبرى، ج ٩، ص ٦٠. تفسير البغوى، ج ٢، ص ٢٠٠. تفسير النسفي، ج ٢، ص ١١٦. تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٢٤٨.
- (٩٤) لاحظ كتاب قرآن كتاب هدایت، ص ١٢٣-١٢٦.
- (٩٥) تفسير المنير، ج ٧، ص ١٦٩.
- (٩٦) تفسير الصافى ج ١ ص ٣٦
- (٩٧) كتاب الطهارة للشيخ الأنصارى، ج ١، ص ٨
- (٩٨) تفسير المنير، ج ٣، ص ٦٤-٦٦.

أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ الْكَرَمُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

جعفر عبد المهدى شهاب

مما لا شك فيه ولا ريب أن أهل البيت عليةم يمثلون عدل القرآن الكريم، وأحد الثقلين الذين أشار إليهما الرسول الأعظم عليةم، فمما روی عن الصادق علية عن آبائه علية: قال رسول الله علية: «إني مختلفٌ فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهم لـ يفترقا حتى يردا على الحوض كهاتين - وضم بين سبابتيه - ، فقام إليه جابر بن عبد الله الأنصاري وقال: يا رسول الله، ومن عترتك؟ قال: علي والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين إلى يوم القيمة»^(١).

وهناك روايات أخرى كثيرة تحمل هذا المعنى، بل إن بعضها يشير إلى جميع أسماء الأئمة تصريحًا، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل جرى ذكرهم في القرآن الكريم أيضًا، وإن لم تسم أسماؤهم، وهذه الإشكالية وهي أنه كيف تدعون أن الأئمة هم الإمام علي علية والإمام الحسن والإمام الحسين وتسعه من ذرية الحسين علية والحال أن القرآن لم يصرح بأسمائهم؟ والجواب أن الإمام الباقي علية قد انبرى وأجاب عن هذا الإشكال، ونص جواب الإمام الباقي علية سيكون من ضمن نقاط هذا البحث إن شاء الله.

وما هذه الإشكالية وغيرها إلا محاولة لإقصاء أهل البيت علية عن مواطنهم التي وطنهم الله فيها، ويأبى الله إلا أن يكونوا مساراً وعلمًا يلهج بذكرهم القرآن الكريم ليل نهار.

وسوف يكون البحث في عدة نقاط:

الأولى: دفع إشكالية عدم ذكر أسماء الأئمة في القرآن الكريم:

وهذه الإشكالية - وهي عدم التصريح بأسماء الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم - قد انبرى الإمام الباقر «صلوات الله عليه» لردّها وللإجابة عنها، فقد روى أبو بصير: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْفَقُوا﴾^(١). فقال: «نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام، فقلت له: إن الناس يقولون: فما له لم يسمّ علياً وأهل بيته عليهم السلام في كتاب الله عز وجل؟ فقال: قولوا لهم: إن رسول الله عليه السلام نزلت عليه الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثة ولا أربعاً حتى كان رسول الله عليه السلام هو الذي فسر ذلك لهم، ونزلت عليه الزكاة ولم يسم لهم من كل أربعين درهماً، حتى كان رسول الله عليه السلام هو الذي فسر لهم، ونزل الحجّ فلم يقل لهم طوفوا أسبوعاً حتى كان رسول الله عليه السلام فسر لهم ذلك لهم، ونزلت ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْفَقُوا﴾^(٢) ونزلت في علي والحسن والحسين»^(٣).

النقطة الثانية: آيات مشتركة بين أصحاب الكساء وبين بقية الأئمة عليهم السلام:

هناك آيات قرآنية ورد تفسيرها في أصحاب الكساء تارةً، وورد تفسيرها في الأئمة عموماً تارةً أخرى، وليس في هذا أي مشكلة إذا كان بقية الأئمة يمثلون المصدق المراد، كما يمثلها أصحاب الكساء.

الآية الأولى: الآية الآنفة الذكر والتي تتحدث عن طاعة الله والرسول، وأولي الأمر، ففي النقطة الأولى أشارت الرواية عن الباقي عليهما السلام أنها نزلت في علي والحسن والحسين عليهما السلام، وهناك رواية أخرى تشير إلى أن المقصود من الآية في قوله أولي الأمر هم الأئمة، فعن الصادق عليهما السلام هكذا موجود في الرواية.

في هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِّبِعُوا اللَّهَ وَأَطِبِعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ مِنْكُمْ﴾، وأولوا الأمر هم الأئمة من أهل البيت عليهما السلام^(٥). ورواية أخرى عن ابن أبي يعفور: دخلت على أبي عبد الله عليهما السلام وعنده نفر من أصحابه في حديث طويل يرويه إلى أن قال: فقال لي: «يا ابن أبي يعفور، إن الله عزوجل هو الأمر بطاعته وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر الذين هم أوصياء رسوله. يا ابن أبي يعفور، فنحن حجاج الله في عباده، وشهادوته على خلقه، وأمناؤه في أرضه، وخزانه على علمه، والداعون إلى سبيله، والعاملون بذلك، فمن أطاعنا أطاع الله، ومن عصانا فقد عصى الله»^(٦).

وجاء في تفسير الكاشف -للشيخ محمد جواد مغنية - ما نصه: «وقال الشيعة الإمامية: إن الله سبحانه عطف باللواو طاعة أولي الأمر على طاعة الرسول بدون قيد، والعطف باللواو يقتضي الجمع والمشاركة في الحكم، ومعنى هذا أن إطاعة أولي الأمر هي إطاعة الرسول، وأن أمرهم هو أمره... وليس من شك أن هذه المرتبة السامية لا تكون إلا لمن اتصف بما يؤهلها لهذا^(٧) الطاعة، ولا شيء يؤهلها لها إلا العصمة عن الخطأ والمعصية، فهي وحدها التي تجعل طاعته وطاعة الرسول سواء، وقد اعترف الرازبي بفكرة العصمة صراحةً، وقال: إن أولي الأمر الذين تجب إطاعتهم لابد أن يكونوا معصومين، والرازي كما هو معروف من كبار علماء السنة فلا سفتهم ومفسريهم، والخلاف بينهم - أي بين الشيعة وبين السنة - في التطبيق

وتعيين المعصوم، فالسنة يقولون: العصمة للأمة، وفسّروا الأمة بأهل الحل والعقد، وقال كثير منهم: يكفي بعض أهل الحل والعقد... وقال الشيعة: إن المراد بأولي الأمر أهل البيت، وهم المعصومون والمطهرون من الرجس والدنس، ...، وقد ثبت النص كتاباً وسنةً على عصمة أهل البيت عليه السلام، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٨).

الآية الثانية: آية التطهير ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٩)، وهذه الآية أيضاً جاءت الروايات تشير إلى أصحاب الكساء تارةً، وتشير إلى الأئمة عموماً تارةً أخرى.

فعن أبو سعيد الخدري عن أم سلمة: «لما نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ دعا رسول الله عليه السلام علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فجلّ عليهم كساءً خبيرياً، فقال لهم: اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. قالت أم سلمة: السيدة منهن؟ قال: أنت إلى خير»^(١٠).

وعن شهر بن حوشب عن أم سلمة: «إن النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه جلل على علي وحسن وحسين وفاطمة كساءً ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فقالت أم سلمة: وأنا منهن؟ قال: إنك إلى خير»^(١١). وغيرها من الروايات التي كثرت في هذا المعنى والتي فسرت أهل البيت في علي عليه السلام والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام وفاطمة عليها السلام.

ولكن هذا لا يعني أن أهل بيت النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه عند هذا الحد، بل إن الروايات كثرت أيضاً في أن أهل البيت عليهم السلام يشملهم بقية الأئمة الطاهرين، وهم الأئمة

التسعة من ذرية الحسين عليهما السلام ودلت على هذا المعنى روايات كثيرة من طرق الشيعة والسنّة بل إن بعضها صرحت بذلك، فقد جاء في تفسير الصافي - للملّا محسن الفيض الكاشاني - ما نصه: «وفي الإكمال عن أمير المؤمنين عليهما السلام أنه قال في جمع من المهاجرين والأنصار في المسجد أيام خلافة عثمان: «أيها الناس أتعلمون أن الله عز وجل أنزل في كتابه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهَبَ عَنْكُمُ الرَّجْسَ أَهْلَ الْيَتَامَىٰ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فجمعني - أي رسول الله - وفاطمة وابني حسناً وحسيناً عليهما السلام وألقى علينا كساه، وقال: اللهم إن هؤلاء أهل بيتي يؤلموني ما يؤلمهم ويخرجني ما يخرجهم فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فقالت أم سلمة: وأنا يا رسول الله؟ فقال: أنت - أو إني - (١٢). على خير، إنما أنزلت فيّ وفي أخي وفي ابنتي وفي ابني وفي تسعة من ولد ابني الحسين عليهما السلام خاصة، ليس معنا أحد غيرنا، فقالوا كلهم: نشهد أن أم سلمة حدثتنا بذلك أم سلمة (١٣) (١٤).

وهنا نجد أن هذه الرواية تصرح بأن أهل البيت عليهما السلام شاملة لجميع الأئمة الاثني عشر الأطهار، وهناك روايات كثيرة من الطريقين الخاصة والعامة تشير إلى هذا المعنى بألسن مختلفة جميعها يصب في إثبات إمامتهم ووجوب طاعتهم، حتى أنه في بعض الروايات ذكرت أسماؤهم جميعاً، فعن جابر بن يزيد الجعفي: «سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: لما أنزل الله عز وجل على نبيه محمد عليهما السلام آيتها الذين آمنوا أطاعوا الله وأطاعوا الرسول وأولى الأمر منكم» قلت: يا رسول الله، عرفنا الله ورسوله فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتكم؟ فقال عليهما السلام هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين من بعدي، أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بـ«الباقي»

وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فأقره مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سميي وكتبي، حجة الله في أرضه، وبقيته في عباده، ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان»^(١٥).

وفي تفسير الصافي الرواية عن جابر أيضاً بما يقرب من النص جداً، ويزيد عليه ما نصه: قال جابر: «فقلت له يارسول الله، فهل لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال: إِي والله والذِّي بعثني بالنبوة إِنَّهُمْ يَسْتَضِئُونَ بِنُورِهِ وَيَنْتَفِعُونَ بِوَلَايَتِهِ فِي غَيْبَتِهِ كَانَتِ الْفَاعْلَى عَلَى اللَّهِ فَأَكْتَمَهُ إِلَّا عَنْ أَهْلِهِ»^(١٦).

وفي تفسير ولاة الأمر وآية ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ...﴾ فقد ذكر الملا محسن الفيض الكاشاني في تفسيره الصافي ما نصه: «وفي العلل عنه عن أمير المؤمنين ع: لا طاعة لمن عصى الله وإنما الطاعة لله ولرسوله لولاة الأمر، إنما أمر الله بطاعة الرسول لأنَّه معصوم مطهر لا يأمر بمعصيته، وإنما أمر بطاعة أولي الأمر لأنَّهم معصومون مطهرون لا يأمرون بمعصيته، ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ أيها المأمورون ﴿فِي شَيْءٍ﴾ من أمور الدين ﴿فَرُدُّوهُ﴾ فارجعوا فيه ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ وإلى محكم كتابه، ﴿وَالرَّسُولِ﴾ بالسؤال عنه في زمانه وبالأخذ بسنته والمراجعة إلى من أمر بالمراجعة إليه بعده فإنها رد إليه»^(١٧).

وفي الاحتجاج عن الحسين بن علي ع في خطبته: «وأطیعونا فإن طاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله وطاعة رسوله مقرونة»^(١٨).

و جاء في تفسير الصافي في آية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصْدُرُونَ - يعرضون - عَنْكَ صُدُودًا﴾ القمي - أي تفسير القمي - هم أعداء آل محمد صلوات الله عليهم جرت فيهم الآية.^(١٩)

و جاء في الكافي عن الباقر عَلَيْهِ الْكَفَافُ أيضاً في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجُبْتِ وَالظَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هُؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ نقلًا عما جاء في الكافي عن الباقر عَلَيْهِ الْكَفَافُ يقولون لأئمة الضلال والدعابة إلى النار هؤلاء أهدا من آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.^(٢٠)

و جاء في الكافي عن الباقر عَلَيْهِ الْكَفَافُ في تفسير: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَمْ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾^(٢١)، أم لهم نصيب من الملك يعني: الإمامة والخلافة، قال: «ونحن الناس الذين عنى الله، والنمير النقطة التي في وسط النواة»^(٢٢).

وفي آية ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ في الكافي واليعاش وغيرهما عنهم عَلَيْهِ الْكَفَافُ في عدة روايات: «نحن المحسودون الذين قال الله على ما آتنا الله من الإمامة وفي المجمع عن الباقر عَلَيْهِ الْكَفَافُ: المراد بالناس النبي عَلَيْهِ الْكَفَافُ وآلُهُ وآلُ آلهٖ»^(٢٣).

و جاء في تفسير آية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْتُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾^(٢٤). في الكافي وغيره في عدة روايات أن الخطاب إلى الأئمة عَلَيْهِ الْكَفَافُ، أمر كل منهم أن يؤدي إلى الإمام الذي بعده ويوصي إليه ثم هي جارية في سائر الأمانات.^(٢٥) وفيه - في الكافي - واليعاش عن الباقر عَلَيْهِ الْكَفَافُ: إيانا عنى أن يؤدي الإمام الذي بعده العلم والكتب والسلاح.^(٢٦)

ثالثاً: آيات نزلت في حق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام:
 لقد كثرت الآيات التي نزلت في حق أمير المؤمنين عليهما السلام، وهنا أتعرض لذكر بعضها تأكيداً على عظمة هذه الشخصية التي يتباهى بها القرآن الكريم.
 روى الخوارزمي عن جابر قال: كنا عند النبي عليهما السلام فأقبل علي بن أبي طالب، فقال رسول الله: قد أتاكم أخي. ثم التفت إلى الكعبة فضربها بيده، ثم قال: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيمة، ثم قال: إنه أولكم إيماناً معني، وأوافقكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعيَّة، وأقسمكم بالسوية، وأعظمكم عند الله مزيَّة، قال: وفي ذلك الوقت نزلت فيه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ﴾^(٢٧). وكان أصحاب النبي عليهما السلام إذا أقبل علي قالوا: قد جاء خير البرية.^(٢٨)

وأخرج الطبراني في تفسير قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ﴾ بإسناده عن أبي الجارود عن محمد بن علي قال: قال النبي عليهما السلام: أنت يا علي وشيعتك.^(٢٩)

ومن الآيات التي نزلت في حق أمير المؤمنين عليهما السلام هي آية إكمال الدين، فقد تضافرت السنة وروى الفريقان أن قوله سبحانه: ﴿الْيَوْمَ يَسِّرُ اللَّهُ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشُوْهُمْ وَأَخْسِنُوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣٠). نزلت في غدير خم عندما نصب النبي عليهما السلام علياً إماماً للأمة وولياً للمؤمنين.^(٣١)

وهناك آية أخرى وردت في حق أمير المؤمنين عليهما السلام وأشار إليها في روايات كثيرة، وفي البرهان وغاية المرام عن الصدوق بإسناده عن أبي الجارود عن أبي

جعفر عَلِيٌّ فِي قُولَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٣٢) قال: إن رهطاً من اليهود أسلموا منهم عبد الله بن سلام وأسد وثعلبة وابن يامين وابن صورياء، فأتوا النبي ﷺ فقالوا: يا نبى الله، إن موسى أوصى إلى يوشع بن نون، فمن وصييك يا رسول الله؟ ومن ولينا بعده؟ فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيْكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيَؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٣٣)، قال رسول الله ﷺ: قوموا وأتوا المسجد، فإذا سائل خارج فقال ﷺ: يا سائل هل أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم، هذا الخاتم. قال: من أعطاكه؟ قال: أعطانيه ذلك الرجل الذي يصلى. قال: على أي حال أعطاك؟ قال: كان راكعاً، فكبّر النبي ﷺ وكبر أهل المسجد. فقال النبي ﷺ: عليكم بعدي. قالوا: رضينا بالله ربنا، وبمحمد نبياً، وبعلي بن أبي طالب ولينا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، الحديث.^(٣٤)

وآية أختتم بها ما نزل في حق أمير المؤمنين عَلِيٌّ وهي آية ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُون﴾^(٣٥). فقد روى ابن شيرويه الديلمي في كتاب (الفردوس) في قافية الواو ياسناده عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُون﴾ عن ولاية علي بن أبي طالب.^(٣٦)

ونقله ابن حجر عن الديلمي، وقال: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُون﴾ أي عن ولاية علي وأهل البيت؛ لأن الله أمر نبىه ﷺ أن يعرف الخلق أنه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجرًا إلا المودة في القربى، والمعنى أنهم يسألون هل والوهم حق المواصلة كما أوصاهم النبي ﷺ أم أضاعوها؟ أو حملوها فتكون عليهم المطالبة والتبعه؟^(٣٧) رابعاً: آيات وردت في حق الإمام الحجة المنتظر عَلِيٌّ عن الإمام علي عَلِيٌّ في

قوله تعالى: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمْنَعَ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٣٨) هم آل محمد يبعث الله مهديهم بعد جهدهم فيعزّهم ويذل عدوّهم.^(٣٩)

وجاء عنه (الإمام الصادق ع) في معنى قوله عزّوجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيُسْتَخْلَفُوكُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾^(٤٠)، نزلت في القائم وأصحابه.^(٤١)
وجاء عنه (الإمام الباقر ع) في قوله عزّوجل: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾^(٤٢)، إذا قام القائم ع ذهبت دولة الباطل.^(٤٣)

المواهش:

- (١) كمال الدين: ٢٤٤، عن محمد بن عمارة عن أبيه: معاني الأخبار: ٥٩١ عن محمد بن عمارة. نقلًا عن كتاب أهل البيت للريشهري ص ٥٢.
- (٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.
- (٣) سورة النساء، الآية: ٥٩.
- (٤) الكافي: ٢٨٦/١، شواهد التنزيل ١٩١/١٠، تفسير العياشي: ٢٠٣/٢٤٩، أكدهما عن أبي بصير عن الباقر ع نقلًا عن كتاب أهل البيت ع ص ١٤٣.
- (٥) ينابيع المودة ١/١، ٢/٣٤١، المناقب لابن شهرآشوب: ١٥/٣.
- (٦) الزهد للحسين بن سعيد: ٢٨٦/١٠٤. وراجع الكافي: ١٨٥/١ باب فرض طاعة الأئمة ع، بحار الأنوار: ٢٨٣/٢٣. باب وجوب طاعتهم وأنهم أولوا الأمر، إحقاق الحق: ٤٢٤/٣ و: ٣٤٨/١٤. نقلًا عن كتاب أهل البيت للريشهري ص ١٤٣-١٤٤.
- (٧) هكذا في المصدر، ولعل الأصح «لهذه».
- (٨) التفسير الكاشف للشيخ محمد جواد مغنية ج ٢ ص ٣٥٩-٣٦٠.

(٩) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(١٠) تفسير الطبرى /١٢ الجزء ٧/٢٢ نقلًا عن كتاب أهل البيت عليهم السلام في الكتاب والسنّة للريشهري ص ٢٨.

(١١) مسند ابن حنبل: ١٩٧/١٠، سنن الترمذى: ٢٦٦٥٩/٥، سنن ٣٨٧١/٦٩٩ و فيه «أنا معهم يا رسول الله؟»، مسند.

أبي يعلى: ٦٩٨٥/٢٩٠، تاريخ دمشق (ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ٨٨/١٢)، تاريخ دمشق (ترجمة

الإمام الحسن عليه السلام: ١٨٨/٦٥)؛ وفي الثلاثة الأخيرة. عامتي بدل نقلًا عن كتاب أهل البيت عليهم السلام

للريشهري ص ٣٠.

(١٢) هكذا، وبدت والظاهر أن الترديد من الراوى.

(١٣) هكذا أيضًا وجدت.

(١٤) تفسير الصافى للملا محسن الفيض الكاشانى كتاب مخطوط ص ٤٣٣.

(١٥) كمال الدين: ٣/٢٥٣، المناقب لابن شهر آشوب: ١/٢٨٢، تأويل الآيات الظاهرة: ١٤١، كفاية الأثر:

٥٣ نقلًا عن كتاب أهل البيت عليهم السلام في الكتاب والسنّة للريشهري ص ٨٧.

(١٦) تفسير الصافى ص ١٢٤.

(١٧) تفسير الصافى ص ١٢٤.

(١٨) نفس المصدر ص ١٢٤.

(١٩) نفس المصدر ص ١٢٤.

(٢٠) نفس المصدر ص ١٢٣.

(٢١) سورة النساء، الآية: ٥٣.

(٢٢) تفسير الصافى ص ١٢٣.

(٢٣) تفسير الصافى ص ١٢٣.

(٢٤) سورة النساء، الآية: ٥٣.

(٢٥) تفسير الصافى ص ١٢٣.

(٢٦) نفس المصدر.

(٢٧) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٢٨) المناقب للخوارزمي: ١١١ برقم ١٢٠ نقلًا عن مفاهيم القرآن الكريم للشيخ السبحانى ج ١٠ ص ٢٣٨.

(٢٩) تفسير الطبرى ١٤٦/٣٠ نقلًا عن مفاهيم القرآن للشيخ السبحانى ج ١٠ ص ٢٣٨.

(٣٠) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣١) مفاهيم القرآن للشيخ السبحانى ج ١٠ ص ١٦٩، المطبعة اعتماد قم الناشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.

(٣٢) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

- (٣٣) سورة المائدة، الآية: ٥٥.
- (٣٤) تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي ج ٦ ص ١٧.
- (٣٥) سورة الصافات، الآية: ٢٤.
- (٣٦) شواهد التنزيل: ١٠٦/٢ عن مفاهيم القرآن للشيخ السبحاني ج ١٠ ص ٢٥٣.
- (٣٧) الصواعق المحرقة: ١٤٩ . نقلًا عن مفاهيم القرآن للشيخ السبحاني ج ١٠ ص ٢٥٣.
- (٣٨) سورة القصص، الآية: ٥.
- (٣٩) الغيبة للطوسي: ١٤٣/١٨٤ عن محمد بن الحسن عن أبيه عن جده نقلًا عن كتاب أهل البيت عليهما السلام في الكتاب والسنّة للريشهري ص ٥٣.
- (٤٠) سورة النور، الآية: ٥٥.
- (٤١) الغيبة للنعماني: ٣٥/٣٤٠ عن أبي بصير، تأويل الآيات الظاهرة: ٣٦٥ وفيه «عني به ظهور القائم»، ينابيع المودة: ٣٢/٢٤٥/٣ عن الباقي والصادق عليهما السلام، وذكره أيضًا في: ج ٣١ عن إسحاق بن عبد الله عن السجاد عليهما السلام نقلًا عن كتاب أهل البيت عليهما السلام في الكتاب والسنّة للريشهري ص ٥٠٧.
- (٤٢) سورة الإسراء، الآية: ٨١.
- (٤٣) الكافي: ٤٣٢/٢٨٧/٨ عن أبي حمزة: نقلًا عن كتاب أهل البيت عليهما السلام في الكتاب والسنّة للريشهري ص ٥٠٦.

ملابسات البعثة النبوية المباركة

السيد ياسين السيد قاسم الموسوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتَلَوُ عَلَيْهِمْ آيَاتٍ وَيُزَكِّيْهِمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

البداية الطبيعية لمن أراد سرد شيء من تاريخ الإسلام أن يبدأ الحديث حول سيرة نبي الإسلام ﷺ والتي سسلط الضوء على جزء منها؛ لأننا لا يمكن أن نستوعبها في هذا البحث الصغير المتواضع، وهذه البداية الطبيعية تفرض علينا أن نمر أولاً على شيء من تاريخ ما قبل البعثة النبوية الشريفة كي نتعرف على المناخ والجو الذي ظهر فيه الإسلام إلى العالم.

قبل البعثة:

الجاهلية قبل الإسلام:

سبق وأن أشرنا إلى أن طبيعة البحث حول موضوع البعثة يحتم علينا ملاحظة ما قبلها من الجو والمناخ الذي ولدت فيه لنعرف ملابساتها وتداعياتها وما جرى عند ولادتها من أحداث، ولا يتأنّى لنا ذلك إلا من خلال معرفة ذلك معرفة قريبة واضحة من خلال دراسة ماهية ذلك العصر من خلال عادات أهله ومعتقداتهم، وسنعرضها كخصائص له بشيء من التوسيع والبساط، وقبلها سنذكر لمحات عن نسب رسول الله ﷺ.

نسب نبی‌الاسلام ﷺ:

اسمه محمد ﷺ، أبوه عبد الله بن عبد المطلب، كان أبوه أصغر ولد أبيه، وكان إخوته الزبير وعبد مناف - وهو أبو طالب - لأم واحدة وهي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم^(١).

وببيان أوضح وأبين وأشمل عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ قال:

«إِنَّهُ عَلَيْهِ الْكَفَرُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُطَلِّبِ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قَصِيِّ بْنِ كَلَابِ بْنِ مَرَّةِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لَؤْيِ بْنِ غَالِبِ بْنِ فَهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّظَرِ بْنِ كَنَانَةِ بْنِ مَدْرَكَةِ بْنِ إِلْيَاسِ بْنِ مَضْرِبِ بْنِ نَزَارِ بْنِ مَعْدِ بْنِ عَدْنَانِ بْنِ أَدِّ بْنِ أَدَدِ بْنِ الْهَمِيسِعِ بْنِ يَشْجِبِ بْنِ نَبِتِ بْنِ حُمَيْلِ بْنِ قِيَادِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ إِبْرَاهِيمِ بْنِ تَارِخِ بْنِ نَاحُورِ بْنِ أَشْوَعِ بْنِ أَرْوَعِ بْنِ فَالْعَلِيِّ «وَهُوَ هُودٌ عَلَيْهِ اللَّهُ أَعُوذُ بِهِ» بْنِ شَالِحِ بْنِ أَفْخَشِدِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحِ بْنِ لَمَكِ بْنِ مَتْوَشْلَخِ بْنِ أَخْنَوْخِ «وَهُوَ إِدْرِيسٌ عَلَيْهِ اللَّهُ أَعُوذُ بِهِ» بْنِ أَرْدِ بْنِ قَيْنَانِ بْنِ أَنْوَشِ بْنِ شَيْثِ بْنِ آدَمِ»^(٢).

خصائص العصر الجاهلي وما يعني اصطلاح الجahلية:

إنما سمي هذا العصر - العصر المتصل بظهور الإسلام - بالجاهلي لأنّ الحاكم فيه هو الجهل لا العلم، والسيطر عليه يومئذ هو الباطل لا الحق؛ فلذلك سمي بذلك وعرف الجahلية بعضهم^(٣) أصطلاحاً أنها: «مجموعة الأفكار والعواطف والأعمال والموافق أو السلوكيات المضادة لشريعة الإسلام والحضارة الإنسانية بشكل عام»، وعرفها بعض آخر^(٤) أنها: «عدم العلم وفقدان المعرفة»، وخصائص الجahلية العربية قبل البعثة على مستويات منها:

المستوى العقائدي: كانت عقائده منحرفة كعبادة الأوثان والأصنام والاستسقاء بإشعال النيران في أذناب البقر بعد حزمها مع أشجار سريعة الاشتعال^(٥) وو...، ومن هذا وصفهم أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة بقوله: «وَأَنْتُمْ مُعْشِرُ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ ... أَصْنَامٌ فِي كُمْ مَنْصُوبَةٌ وَالآتَامُ فِي كُمْ مَعْصُوبَةٍ»^(٦).

مستوى العادات والتقاليد: فقد كانت متمحضةً في الجهل المدقع الذي أورث لهم عادات يمقتها الطبع الإنساني كمثل وأد البنات، وهذا ما تشير له الآية الكريمة ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(٧)، وكذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: «في بلاء أزل وإطباقي جهل، من بنات موؤدة وأصنام معبدة، وأرحام مقطوعة وغارات مشنونة»^(٨)، وبغضهم أن يبشر أحدهم بالأشنى وهذا ما تشير له الآية الكريمة ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأَشْنَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾^(٩)، وإذا خاف بعضهم عند نزول القحط والجذب الإملاق فإنهم يقتلون أولادهم، وهذا ما تبيّنه الآية المباركة ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾^(١٠)، وانتشار أنواع الزيجات الخاطئة الفاحشة واستحقار المرأة إلى درجة الحيوان، حتى جاء الإسلام ليغير مكاييل وموازين الإنسانية ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لَتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِخَيْرِهِمْ﴾^(١١)، و﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مَنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾^(١٢)، وأوصاهم بالزواج بالإماء بالشكل الصحيح كما في قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَإِنَّكُمْ حُوْنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾^(١٣)، ومن عاداتهم الخرافية الكثير أيضاً نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، مثلاً: نهيق الرجل إذا أراد دخول القرية وهو خائفٌ من وبائها، تصفيق الضال في الصحراء ليهتدى، وأن شقّ الرجل برقع

المرأة وشقها ردائه يوجب الحب المقابل الدائم وإلا فلا^(١٤)، وما إلى ذلك مما ينشأ
عما كانوا عليه من جهل وتخلف.

المستوى الاقتصادي: فقد كانت عمليتا الربا والاحتكار رائجتين، وقد نتج
عنهم ومثيلاتهما الطبقية الاجتماعية الفاحشة والرق، كذلك القمار والظلم في
المواريث كعدم الإرث للمرأة، بل إنها مما يورث، وعدم تحديد أصل الإرث
بحدود وضوابط وو...

المستوى الاجتماعي: فمن سماته البارزة والواضحة - وهي من مقتضيات
البداوة والتخلف والطبيعة العربية آنذاك - انتشار التعصب القبلي الذي أدى إلى
حروب طاحنة، وهذا ما يوضحه لنا أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ فِي وصفيه لهم: «والآحوال
مضطربة، والأيدي مختلفة، والكثرة متفرقة ... وغارات مشنونة»، والنتيجة الطبيعية
لهذا هو التفكك الاجتماعي الناشئ من حروبها وعصبيتها ومن التفككات الأسرية
الناجمة من العبث الجنسي والانحلال الخلقي والأخلاقي.

دفع تعارض يتوجه:

ألفتني كلمتان مباركتان لسيد البلغاء والمتكلمين أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ قد يتوجه
منهما البعض التعارض، والكلمتان هما قوله عَلَيْهِ الْكَلَمُ في إحدى خطبه عند وصفه
للعرب قبلبعثة: « وأنتم عشر العرب على شر دين وشر دار »، وفي خطبة أخرى:
« في خير دار وشر جيران »، فكيف نوفق بين « شر دار » و « خير دار »؟
أقول: أولاً: لا بد أن ننظر إلى سياق الحديث في كلتيهما على حد ه حتى
نتعرف على ما يدور حولهما وما يفهم من سياق الحديثين الذين وقعا فيه لرفع

التعارض المتوهم.

ثانياً: من خلال النظر والتدقيق يظهر من سياقهما عدم التعارض، حيث إنّ اللحاظين الذين على أساسهما قسم عليه السلام الدار تارةً إلى شر و تارةً إلى خير مختلفان، فإنّ اللحاظ في المقطع الأول هو النظر لأحوال الناس وسلوكياتهم حينذاك وما تحمله من مخالفات إنسانية وأخلاقية، وهذا ما يظهر من سياق كلامه عليه السلام في نفس الفقرة من الخطبة وهو قوله: .. وتسفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة» وقد تكون من باب «تسمية الشيء باسم لازمه» كما إذا قلت: «الزّمن غدار»، فالزمن بما هو أوقات وأحيان - وبما هو أمر اعتباري - ليس من قابلاته الغدر وإنما وصف باسم لازمه، ألا وهم الناس الموجودون فيه.

وأما الثاني فلحظه المكان الجغرافي، وأنّها منطقة خير، وما يدلل على هذا التوجيه ما عطف عليه من قوله «و شر جiran» مكانياً، وما يدلل على هذا أيضاً - أنها جغرافياً دار خير - اعتبارات عده:

منها: احتضانها للكعبة المشرفة وهي من خير بقاع الأرض، وهي بيت الله الحرام.

ومنها: احتواها السلالة الطاهرة للأئمّة والأوصياء التي جاء من صلبها نبينا صلوات الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام الطيبين الطاهرين.

ومنها: تمتّع بعض أهلها ببعض مكارم الأخلاق كما يذكر لنا التاريخ.
منها: أنّها تمثّل مركزاً تجاريًّا ثقافياً ودينياً، فكان يجتمع فيها حجاج بيت الله وأصحاب الفنون والطقوس والوجاهة و... .

وما يُثبت من جهة أخرى أن لحاظها جغرافياً هو أنّ جيرانها حقاً «شر جيران» كما يقول العالمة الطباطبائي تَبَّعَ في تفسيره «الميزان» عن هذه الحقيقة: «كانت العرب يومئذ تجاور في جنوبها الحبشة وهي نصرانية، وفي مغربها امبراطورية الروم وهي نصرانية أيضاً، وفي شمالها الفرس وهم مجوس، وفي غير ذلك مصر والهند وثيتان، وفي أرضهم طوائف من اليهود، وهم وثنيون يعيش أكثرهم عيشة القبائل، وهذا كلّه هو الذي أوجد لهم اجتماعاً همجياً بدويّاً فيه أخلاق من رسوم اليهودية والنصرانية والمجوسية، وهم سكارى في جهالتهم».

مولد النبي ﷺ وما رافقه من كرامات:

بما أنّ لمولد النبي الأكرم ﷺ مدخلية في مسألة البعثة النبوية من جهة أنه كان من الممهدات المهيأة للأرضية لتبسيط أمر البعثة والإسلام، وقد يطرح سؤال في المقام، ما الهدف من وقوع بعض الحوادث عند ولادة نبينا ﷺ؟ ويجب أن يختصر الهدف من ذلك في أمرين:

الأول: أنّها تدفع الجبارية والوثنيين وعبدة الأصنام إلى التفكير فيما هم فيه (كهزة تذكيرية).

الثاني: أنّ هذه الحوادث جاءت لتبرهن وتدلل على جلالته شأن المولود وعظمته.

ولا يفوتنا أن نذكر - هنا وقبل الدخول للمبعث الشريف - بعض ما صاحب وواكب ميلاد خير البشر من حوادث وعلامات وكرامات:

١) انطفاء نيران فارس التي بقيت ولم تطفأ لعشرات السنين وهي تُعبد.

٢) ارتجاج إيوان كسرى وسقوط (١٤) شرفه منه.

٣) تساقط الأصنام المنصوبة في الكعبة على وجوهها، وتنكست كل أصنام الدنيا.

٤) جفاف بحيرة ساوة.

٥) رؤية أنو شيروان (ملك الفرس) ومؤيدوه رؤيا مخيفة.

٦) أن إبليس رن (صوت بحزن وكآبة) أربع رنات: رنة حين لعن، ورنة حين أهبط، ورنة حين ولد رسول الله ﷺ، والرنة الرابعة يوم مبعث النبي ﷺ (١٥).

نفحات من تاريخ شباب النبي ﷺ :

طليلاً شيء من تاريخ حياته ﷺ نتجاوز تاريخ طفولته حتى صباح مختصرين للوصول لمبتغانا وهي فترة البعثة وما رافقها، والكلام - فعلاً - في أهم الأحداث التي مررت به في فترة شبابه قبل بعثته ﷺ مباشرةً.

نحن نعلم من حيث المبدأ أن قادة المجتمع يجب أن يكونوا أقوياء شجعان، ومتميزين في كل أبعاد شخصيتهم، بحيث يمتلكون قوةً روحيةً كبرى، ويتمتعون بصدر رحب، وإرادة قوية، فإن عظمة القائد الروحية ولقواه البدنية والنفسية تأثيراً عظيماً على أتباعه وأنصاره، ولقد كانت شخصية عزيز قريش نبينا محمد ﷺ تميّز في شتى أبعادها بالبطولية والمثالية ومن هذا أمثلة كثيرة في شبابه - قبل البعثة - وبعد شبابه - قبل وبعد البعثة - نذكر منها:

١) ما روی عن مشاركته مع قريش في حرب الفجار - قبل البعثة - مع قبيلة هوازن، على الاختلاف الدائر في صحة ذلك وعدمه، ولكن إن كان صحيحاً فإنه

في مثل الرواية المروية عن الحادثة قد بَيْنَ أَنَّ الْحَرْبَ كَانَتْ نَوْعًا مِنْ إِنْصَافِ
الْمُظْلُومَ عَلَى الظَّالِمِ، وَمَحْلُ شَاهِدِنَا هُوَ: إِنَّ صَحََّتِ الرَّوْاْيَةِ عَلَى أَنَّهُ شَارَكَ وَلَمْ
يَتَجَازُ عَمْرَهُ الْعَشْرِينَ فَهَذَا دَلِيلٌ وَاضْعَفَ عَلَى شَجَاعَتِهِ وَقُوَّتِهِ وَجَرَأَتِهِ قَبْلَ الْبَعْثَةِ.

أَمَّا بَعْدَ الْبَعْثَةِ فَالْأَدْلَةُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ لَسْنَا بِصَدَدِهَا، وَلَكِنْ نَذْكُرُ رَوْاْيَةً
جَمِيلَةً عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَثَلِ وَاحِدٍ وَهُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كَمَا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسَ
اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ»^(١٦).

(٢) مَشَارِكُهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي حَلْفِ الْفَضُولِ، وَهُوَ حَلْفٌ شَرِيفٌ حَمِيدٌ كَانَ يَفْضِيُ إِلَى
نَصْرِ الْمُظْلُومِ وَنَهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَقَدْ عَقَدَ فِي دَارِ أَبِيهِ جَدِيعَانَ بِغَمْسِ أَيْدِي
الْمُجَتَمِعِينَ فِي مَاءِ زَمْزَمَ، وَقَدْ أَشْتَرَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ نِيَوَتِهِ وَأَمْضَاهُ بِقَوْلِهِ: «مَا أَحَبَّ أَنْ
لِي بِحَلْفٍ حَضُورَهُ فِي دَارِ أَبِيهِ جَدِيعَانَ حَمَرَ النَّعْمَ، وَلَوْ دُعِيْتُ بِهِ أَوْ لَمْ تُدْعِ
لِأَجْبَتِ»^(١٧).

(٣) عَمَلَهُ فِي التِّجَارَةِ: بَعْدَ أَنْ اسْتَهَرَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالصَّادِقِ الْأَمِينِ، بَلَغَ خَدِيجَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
ذَلِكَ وَكَانَتْ آنَذَاكَ صَاحِبَةُ رِصْدَى مَالِيٍّ كَبِيرٍ، وَكَانَتْ تَرْكَهُ فِي التِّجَارَةِ عَنْ طَرِيقِ
الْمُضَارِبةِ - وَهِيَ دُفْعَ أَحَدُ الْطَّرْفَيْنِ مَالًاً وَتَحْرِيكُ شَخْصٍ آخَرَ هَذَا الْمَالُ بِالْعَمَلِ
وَيُسَمَّى (عَامِلًاً) لِتَكُونَ الأَرْبَاحُ بَيْنَهُمَا بِالنَّسْبَةِ الْمُتَفَقَّةِ وَالخَسَارَةُ عَلَى صَاحِبِ الْمَالِ -
فَبَعْثَتْ إِلَيْهِ فُورًاً قَائِلَةً: «إِنِّي دَعَانِي إِلَى الْحَدِيثِ إِلَيْكَ مَا بَلَغْنِي مِنْ صَدْقَ حَدِيثِكَ
وَعَظِيمَ أَمَانَتِكَ وَكَرَمَ أَخْلَاقِكَ، وَأَنَا أَعْطَيْتُكَ ضَعْفَ مَا أَعْطَيْتُ رَجُلًاً مِنْ قَوْمِكَ،
وَأَبْعَثَ مَعَكَ غَلَامِينَ يَأْتِمَرَانِ بِأَمْرِكَ فِي هَذَا السَّفَرِ»^(١٨). وَكَانَتْ هَذِهِ عَبَارَةُ عَنِ
مُضَارِبةٍ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِأَمْوَالِ خَدِيجَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَيْسَ إِجَارَةُ النَّبِيِّ لِخَدِيجَةَ؛ لَأَنَّ
النَّبِيِّ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ أَجِيرًاً لِأَحَدٍ قَطُّ.

زواجه عليهما السلام من السيدة خديجة عليهما السلام:

بعد أن عزم رسول الله عليهما السلام على الزواج وأقدم على زواج خديجة بنت خويلد تلك المرأة الثرية المعروفة بكثرة مالها والتي رفضت كل طلبات الزواج ومن أكبر الشخصيات ثراءً آنذاك من أمثال: أبي جهل بن هشام وأبي سفيان، ولكن الغيب يخفي عنا ما السر في قبولها له وما الفارق الشاسع بين وضعهما المعيشي وبعض المؤرخين يصرّح بأنها هي التي عرضت نفسها للزواج منها، بل أكثر من ذلك وهبت كل ما تملك بعد ذلك فداءً للنبي عليهما السلام، ولا شك أن هذا النوع من الفداء والتfanي لا يتحقق إلا بوجود إيمان بفكر وعتقد له جذور قوية في نفس خديجة تجاه عزيز قريش الأمين محمد عليهما السلام، لا سيما وأن هذا ليس أمرًا مألوفاً - على الأقل - في تلك الفترة وفي ذلك المجتمع على وجه الخصوص.

ماذا كان دين النبي عليهما السلام قبل البعثة؟

مما يثبته المعتقد الإمامي أن النبوة ثابتة لشخصوص الأنبياء وعصمتهم كذلك من ولاتهم، وإنما الفعلية للبعث أو الرسالة تتفاوت بالنسبة لكلنبي، ونحن هنا لسنا بصد إثبات هذه الحقيقة بالدقة وإنما لإثبات أمر متعلق بها بشكلٍ وثيقٍ، وهو أن النبي كان يدين بهديٍ توحيدٍ، وعن طريق دليل نبوته قبل البعثة يمكننا إثبات مرادنا، ولكننا سوف نذكر أدلةً أخرى:

الدليل الأول: يحتاج لمقدمتين:

المقدمة الأولى: إن النبي عليهما السلام أotti الفضائل والكرامات التي هي لجملة الأنبياء السابقين عليهما السلام بدليل قول أحد الأنتمة عليهما السلام: «إن الله تعالى لم يعط نبياً فضيلة

ولا كرامةً ولا معجزةً إلا أعطاها نبينا محمدًا ﷺ (١٩).

المقدمة الثانية: فلقد ورد أن يحيى وعيسى عليهما السلام كانوا حجتين في المهد بدليل قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَاتَّنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ أَتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

النتيجة: أن الله وبشكل طبيعي ما دام أنه أعطى فضيلة وكرامة ومعجزة الحكم والكتاب والنبوة لنبيين من آنبيائه فهي للنبي محمد ﷺ لصدق الحديث الشريف في المقدمة الأولى.

الدليل الثاني: إن بعضه عليهما السلام للأصنام وتجنبه عن الأوثان واضح من الروايات الصحيحة المعترضة والمعتمدة ولذلك بعض أمثلتها:

- جاء في حديث طويل: «إِنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا تَمَّ لَهُ ثَلَاثَ سَنِينَ، قَالَ لِأَمَّهُ (مرضعته) حليمة السعدية: مالي لَا أَرَى أَخْوَيِّ بَالنَّهَارِ؟، قَالَتْ لَهُ: يَا ابْنِي إِنَّهُمَا يَرْعِيَانِ غُنَيمَاتِهِنَّ. قَالَ: فَمَا لِي لَا أَخْرُجُ مَعَهُمَا؟ قَالَتْ لَهُ: أَتَحْبُّ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا أَصْبَحَ مُحَمَّدًا دَهْنَتْهُ - وَالْكَلَامُ لِحَلِيمَةَ - وَكَحَّلَتْهُ وَعَلَقَتْ فِي عَنْقِهِ خِيطًا فِيهِ جُزْعٌ يَمَانِيٌّ - كَحْرَزٌ - ، فَنَزَعَهُ ثُمَّ قَالَ لِأَمَّهُ: مَهَلًا يَا أَمَّاهَا، إِنَّ مَعِيَ مَنْ يَحْفَظُنِي» (٢٠).

- روى أنه وقع بين النبي ﷺ وبين رجل تلاح في سفرته الثانية إلى الشام للتجارة بأموال خديجة مع غلامها (ميسرة) بعد أن باع عليهما سلعته، فقال له الرجل: احلف باللات والعزى، فقال رسول الله ﷺ: «ما حلفت بهما قط، وإنني لأمرُ فأعرض»، وفي رواية أخرى: «إِلَيْكَ عَنِّي ثَكَلْتَكَ أَمْكَ فَمَا تَكَلَّمَتِ الْعَرَبُ بِكَلْمَةٍ أَثْقَلَ عَلَيْهَا مِنْ هَذِهِ الْكَلْمَةِ»، فقال الرجل: القول قولك. ثم قال لميسرة: هذانبي» (٢١).

أَمَا مَا هُوَ الدِّينُ الَّذِي كَانَ يَدِينُ بِهِ، هَلْ كَانَتِ الْمَسِيحِيَّةُ الَّتِي سَبَقَتِ رسالَتَهُ مُبَاشِرَةً؟ وَهَذَا مَا لَمْ يَحْدُثَا التَّارِيخُ بِهِ، إِذْنَ فَلَمَاً لَمْ يَحْدُثَا بِهِ رَغْمَ أَنَّ الْمُفْرُوضَ أَنَّهُ اتَّبَعَ الدِّينَ الَّذِي سَبَقَهُ؟ بَلْ أَخْبَرَنَا التَّارِيخُ بِأَنَّهُ كَانَ مُلتَزِمًا بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ الْحَنِيفِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذَا قَدْ يُطْرَحُ كِإِشْكَالٍ فِي الْمَقَامِ وَلَكِنْ قَدْ يُجَابُ عَلَيْهِ: أَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمَرْسُلِينَ يَتَفَقَّوْنَ فِي الدُّعَوَةِ لِمُضَامِينَ وَاحِدَةٍ مِنْ وُجُودِ إِلَهٍ وَاحِدٍ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَالْحَثُّ عَلَى الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ وَمُحَارَبَةِ الْبُغْيِ وَالْعُدُوانِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مَا يَعُودُ عَلَى النَّاسِ جَمِيعًا بِالْخَيْرِ.

البعثة النبوية:

بحث تمهدى للبعثة المباركة:

أرى من الأفضل قبل الشروع في بيان الحوادث الأولى الواقعية عند البعثة أن نمهّد ببعض الإيضاحات حول مسألتين عقائديتين تاريخيتين مهمتين وهما:

١) ضرورة بعث الأنبياء علية السلام.

٢) فوائد بعث الأنبياء علية السلام.

أولاً: ضرورة بعث الأنبياء علية السلام:

وهذه المسألة من أهم المسائل في مبحث أصل النبوة ويمكن إثباتها ببرهان واحد مهم وهو (قاعدة اللطف) ومفادها:

إن الحكمة الإلهية تقتضي من أجل بلوغ الإنسان كماله وتحقيق غرض المولى منه في الحياة الدنيا تحرّم وضع طريق واضح وقويم بالإضافة للحجّة الباطنية - وهي

العقل - كحججة ظاهرية حتى يستطيع البشر الاستفادة منها الاستفادة التامة لأجل الوصول للهدف المنشود، ألا وهو السعادة الأبدية والكمال النهائي، وبعبارة أخرى: يمكننا أن نمثل لذلك بمثال لتوضيح الفكرة: لو أنّ شخصاً دعا شخصاً لوليمة في منزله الكائن في منطقة بعيدة وما عهد الذهاب إلى تلك المنطقة ولا منزله من قبل، فیتحتم - عقلاً - على الداعي أن يصف للمدعو مكان الدعوة لكي يتحقق غرضه وإلا - إذا لم يشرح له المنطقة والمنزل - فإنّ في ذلك نقض للغرض المرجو من الداعي.

ثانياً: فوائد بعث الأنبياء عليهما السلام :

بالإضافة للمهمة الرئيسية من بعثة الأنبياء عليهما السلام - وهي هداية البشر وتعريفهم الطريق الصحيح لتكاملهم الحقيقى - توجد فوائد وتأثيرات أخرى تصب في نفس مصبّ الغاية الكبرى، وهي كثيرة نذكر من أهمها ما يلى:

- حالة التذكير والتنبيه: فهناك الكثير من المعلومات يمكن للعقل البشري إدراكها، ولكنه في كثير من الأحيان يغفلها أو أنه يحتاج وقتاً طويلاً وتجارب متعددةً للوصول إليها، وأسباب ذلك كثيرة، فاما نتيجة الانهماك في المادة، أو غياب التربية الصحيحة، أو بسبب تضليل الإعلام السيء، وسيطرة الميول الحيوانية، فيأتي الأنبياء عليهما السلام لمحو هذه المفاهيم المغلوطة وتصحيح الانحرافات المنتشرة بالتزكير والإذار والتنبيه.

- القدوة العملية الحسنة: فمن أهم العوامل المؤثرة والفاعلة في مجال التربية والسلوك وجود القدوة في العمل، وهذا ما أثبتته بحوث علم النفس، وأرّخته لنا

صفحات تاريخ الأنبياء عليهم السلام.

- تولي قيادة الأمة: وهذه القيادة على جميع الأصعدة وال المجالات والتي أهمها على المستوى العملي الاجتماعية والسياسية القضائية، هذا إذا توفرت الظروف الملائمة لذلك.

البعثة النبوية الشريفة:

البعثة: لغةً: بَعَثَ بَعْثًا وَتَبَعًا: أرسله وحده^(٢٢)، أما اصطلاحاً: إرسال نبي الإسلام محمد بن عبد الله عليهما السلام أو فعلية نبوة ورسالة خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.
وهنا أسئلة يطلب المقام الإجابة عليها، ألا وهي: سنة كم كانت البعثة (تاريخ البعث)^(٢٣)? وما هي كيفية بدئها؟ وكيف عرف النبي أن ما نزل عليه وحيٌ وأنه عليه السلامنبيٌّ؟ وما هي تفاصيل وملابسات كل ذلك؟

متى بُعثَ النبي عليه السلام برسالة الإسلام؟

أما بالنسبة لليوم والشهر لبدء البعثة الشريفة فقد اختلف المؤرخون في تحديدهما، فقال اليعقوبي: كان بعثه عليه السلام في شهر ربيع الأول. وقيل: في رمضان، ومن شهور العجم: في شباط. قال: أتاه جبرائيل ليلة السبت وليلة الأحد، ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين^(٢٤). وقال غيره غير ما ذهب إليه، ولكن الصحيح عندنا - الشيعة الإمامية - هو ما ورد لنا في روايات أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام في تعين يوم المبعث الشريف، أنه في يوم السابع والعشرين من شهر رجب الأصب، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «في اليوم السابع والعشرين من رجب نزلت النبوة على رسول الله عليه السلام»، فأصبح هذا يوماً مباركاً وفضيلاً عند الشيعة، فيستحب فيه الصيام والقيام

بآداب وعبادات تخصه، وعنه أيضاً عليه السلام: «لا تدع صيام يوم سبع وعشرين من رجب فإنه اليوم الذي نزلت فيه النبوة على محمد عليهما السلام»؛ لأننا نعتقد بأن أبواب الرحمة والبركة تفتح لأهل الأرض عامّة؛ لأن النبي بعث رحمةً للعالمين أجمعين (٢٤).

وأمّا بالنسبة لسنة البعثة فقال بعضهم: إنها كانت بعد بناء الكعبة بخمسين عاماً وعلى رأس عشرين سنة مضيين من ملك كسرى أبوريز بن هرمز بن أنوشروان، وعلى رأس مائتي عام من يوم التحالف بالربذة، وكانت في سنة ٦٠٩ من تاريخ ميلاد المسيح عليه السلام، أي بعد ميلاده عليهما السلام بأربعين سنةً على روایة ميلاده في عام الفيل سنة ٥٧٠ بعد ميلاد المسيح عليه السلام.

كيف بدأت البعثة؟

أمّا حول كيفية بدء البعثة والنبوة لنبينا عليهما السلام فقد كانت عن طريق الوحي، والتي بها تحركت عجلة تاريخ الإسلام المحمدي، وكان ذلك في غار حراء، والذي يقع في شمال مكة، فقد كان عليهما السلام ولمدة طويلة يقضي كثيراً من وقته فيه بالعبادة ومناجاة ربه، وبالخلوة بنفسه بعيداً عن أنظار الناس.

وفي يوم معين بعد تلك الفترة الطويلة أتاهم ملكٌ عظيمٌ بلوح نصبه أمامه وقال له: اقرأ، وحيث إنه عليهما السلام كان أمياً لم يدرس أجاب الملك بقوله: ما أنا بقارئ، فاحتضنه ذلك الملك وعصره عصراً شديدةً، ثم طلب منه أن يقرأ فأجابه بالجواب الأول، فعصره الملك ثانيةً عصراً شديدةً، وتكرر هذا العمل ثلاث مرات أحس بعدها رسول الله عليهما السلام في نفسه أنه قادرٌ على قراءة ما في ذلك اللوح، فقرأ ساعتها تلك

الآيات التي تشكل - في الحقيقة - دليلاً على كتاب السعادة البشرية، وأسس رقيها^(٢٥).

كيف عرف النبي أنه نبي؟ وكيف عرف الوحي وحيّاً؟

كانت للرسول ﷺ قبل فعليه نبوته المباركة أماراتٌ وعلاماتٌ واضحةٌ على أنه نبيٌّ ومرسلٌ من الله تعالى، وليس أمراً مخيفاً جديداً على النبي بنزول جبرائيل بالوحي في غار حراء فيصطدم بذلك الحدث فيخاف فيلتراجأ إلى زوجه خديجة حتى تستعين هي بورقة بن نوفل وما إلى ذلك مما تقوله البعض في حقه ﷺ، فمن الأمارات والعلامات التي يذكرها لنا التاريخ ما نقله الشيخ الجليل الثقة علي بن إبراهيم القمي: «إنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَا أَتَى لِهِ سِعْ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، كَانَ يُرَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّهُ آتِيَّ يَأْتِيهِ فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَضَتْ بِرَهْةٍ مِّنَ الزَّمَانِ وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ يَكْتُمُهُ، وَإِذَا هُوَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ يَرْعِي غَنْمًا لِأَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي شَعْبِ الْجَبَالِ إِذْ رَأَى شَخْصًا يَقُولُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا جَبَرِيلٌ، أَرْسَلَنِي اللَّهُ إِلَيْكَ لِيَتَخَذَ رَسُولًا، فَجَعَلَ يَعْلَمُهُ الْوَضْوَءَ وَالصَّلَاةَ. ذَلِكَ عِنْدَمَا تَمَّ لَهُ أَرْبَاعُونَ سَنَةً»^(٢٦).

وفي تاريخ الطبراني: «كان الرسول ﷺ من قبل أن يظهر له جبرائيل عليه السلام بر رسالة الله إليه يرى ويعاين آثاراً وأسباباً من آثار من يريد الله إكرامه واحتياجه بفضله»^(٢٧).

وقال اليعقوبي: «كان جبرائيل يظهر له ويكلمه أو ربما ناداه من السماء ومن الشجر ومن الجبل، ثم قال له: إن ربك يأمرك أن تجتنب الرجس من الأوثان، فكان رسول الله يأتي خديجة بنت خويلد ويقول لها ما سمع وتكلّم به فتقول له: استر يا ابن عم ! فوالله إني لأرجو أن يصنع الله بك خيراً»^(٢٨).

نقطة نظام:

في هذا المحور المهم من هذا البحث المتواضع نقف وقفه نظام تجاه ما دوّن من تاريخ حياة الرسول ﷺ بشكل عام، وفترة بعثته الشريفة بشكل خاص، فمن خلال قراءتي لهذا الشطر المهم في حياته ﷺ وحياة الإسلام الحنيف استوقفتني – كما استوقفت أرباب التاريخ من علمائنا الإمامية - مجموعةً من الروايات والمؤرخات التي يخجل الإنسان المؤمن من قراءتها فضلاً عن قبولها في حق أشرف الأنبياء وأفضلهم ﷺ، ولا يقبلها لا العقل ولا النقل، ولا مقام النبوة والرسالة الشامخ، فمن هنا سنقف قليلاً مع بعضها محاولين الرد عليها مما يرتبط بحقبة البعثة المعظمة:

الرواية الأولى: والتي تُروى في أول نزول الوحي عليه ﷺ وملخصها:
«أنه ﷺ عندما كان مختلياً بنفسه في حراء سمع هاتفاً يدعوه فرفع رأسه فإذا به يرى صورةً رهيبةً، ففزع فزعاً شديداً وامتلأ قلبه رعباً وهلاعاً، حتى عاد إلى خديجة وأخبرها فآتته، وهدأت من روعه وثبتت قلبه وطمأنته بحديثها المرهب له، بعدها جاءه مثل من جاءه سابقاً فقامت بتهدئته مرةً أخرى، وطلبت منه أن يجلس على فخذها الأيسر ثم الأيمن فلم يذهب، ثم طلبت منه أن يجلس في حجرها فجلس وتحسّرت وألقت خمارها فذهب، فعرفت أنه ملكٌ وليس شيطاناً، فقالت: يا ابن عم، أبشر وأثبت، فوالله إنه لملكٌ وما هو بشيطان. كذلك وتوكيداً لتجربة خديجة انطلقت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وهو نصرايٍ قارئ للكتب، فقصّت عليه ما جرى على النبي ﷺ فقال ورقه: لئن كنت صدقتي يا خديجة، فقد جاءه الناموس الأكبر الذي جاء موسى، فقولي له: فليثبت، وإنه لنبي هذه الأمة. فعادت وأخبرت

الرسول ﷺ بما قال ورقة، فعند ذلك اطمأن باله، وذهبت روعته، وأيقن أنه نبي»^(٢٩). ويرد على هذه الرواية إيرادات عدة، منها:

١) أمّا من ناحية سند الرواية فهو عاميٌّ محضرٌ، فلم يروها لنا إماميٌّ أصلًا.

٢) وأمّا من ناحية متن دلالة الرواية فأخذ عليها مأخذ متعددة، فمنها:

التفاوت والتهافت في عبارتها خصوصاً فيما يتعلق بموضوع ورقة، ففي بعضها: انطلقت خديجة لوحدها له، وفي أخرى: انطلقت بي إلى ورقة، وفي ثالثة: لقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالبيت، وفي رابعة: أن نوفل هو الذي بدأ الحديث عمّا ينزل على الرسول ﷺ، وفي خامسة: أن أبو بكر دخل على خديجة فقالت: انطلق محمد إلى ورقة، وهذا مما هو واضح عدم الالئام مع بعضه البعض.

٣) ومنها: أنا نريا علماء ومحققين أن يفضلوا عقلية امرأة لا شأن لها وأسرار

النبوات على عقلية إنسان كامل قد بلغ القيمة التي أهلته لحمل رسالة الله، ثم تقوم بتجربتها التي يجهلها النبي وتطمئنه.

٤) ومنها: أن قوله رجل شأنه كان يقرأ كتاباً لا يُضمن عدم تحريفها، وما الذي

وتجده في قوله فكان منشأ اطمئنانه ولم يجده في الحق النازل عليه؟

٥) ومنها: أن في دس هذه الرواية يد إسرائيلية أخطأت في الوضع؛ لأنّ ورقة

كان مسيحيًّا وهذا مقطوعٌ، ولكنه حين أراد أن يزيل عن النبي الشك والاضطراب ذكر نبؤة موسى، فهذا ألا يدل على أن ثمة يد إسرائيلية وراء هذه الحبكة هي التي صاغت هذه القصة واختلقتها في غفلة كما يدين به ورقة بطل القصة؟

٦) ومنها: أنه لو صحت هذه الرواية فلماذا لم يؤمن ورقة بالنبي وهو يعلم ما

يعلم بحال نبوته وو...؟

٧) ومنها: أن الرواية فيها شيءٌ مما يُستصبح ذكره خارج إطار الزوجية، ولكنهم جعلوه دليلاً على نبوة أعظم الخلق وأشرفهم، وهذا ما يوضح لنا صحة دسّه وتزويره وافترائه وكذبه.

وأماماً من الناحية العقلائية: فإننا لتقديم هذه المزاعم يجب أن نلقي نظرةً فاحصةً لتاريخ الأنبياء الماضين وسيرهم، فإن القرآن الكريم قد قصّ علينا قضاياهم وسيرهم، بالإضافة إلى ما ورد من روايات وأخبار كثيرة في هذا المجال، وإننا لا نجد أيّ أثر لمثل هذه القصص المشينة في حياة واحد منهم.

إن القرآن الكريم يقص علينا قصة بدء نزول الوحي على موسى عليه السلام بشكل كامل ويبين جميع التفاصيل في قصته عليه السلام ولا يذكر فيها أي نوع من الخوف والارتعاش والوحشة والفزع، بحيث يتمنى الموت أو ما شابه ذلك، مع أن أرضية الخوف والفزع في قصة موسى كانت متوفرة أكثر؛ لأنّه سمع في ليلة ظلماء وهو في صحراء خالية نداءً من الشجرة يخبره بأنهنبيٌّ مرسلٌ.

ولكن موسى - كما يصرح القرآن الكريم - حافظ على هدوئه وسكونه، حتى أنّ خوفه عندما ألقى العصى من جهة أنها تبدلت لثعبان لا من جهة الإيحاء إليه، فهل يمكن - أو يجوز لنا - أن نقول: كان موسى لحظة الوحي مطمئناً هادئاً ساكناً، ولكن أفضل الأنبياء والمرسلين اضطرب عند سماع كلام الملك، وفزع إلى درجةٍ غريبة؟ ووصل إلى ما وصل إليه؟ فهل هذا كلامٌ معقولٌ؟

الرواية الثانية: رواية كسابقتها فيها استنفاصٌ واضحٌ لمقام النبوة والنبي عليه السلام، وبطلانها واضحٌ، وهي رواية «الغرانيق»، ومفادها: أن النبي عليه السلام كان

في حشد من مشركي قريش بفناء الكعبة أو في نادٍ من أنديتهم، وكانت تساوره نفسه لو يأتيه شيءٌ من القرآن يقارب بينه وبين قومه الألداء؛ إذ كان يتآلم من مباعدتهم وو...، فعند نزول سورة النجم أخذ يتلوها حتى إذا بلغ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الالَّاتِ وَالْعُزَّرَى، وَمَنَّاةَ الثَّالِثَةِ الْأُخْرَى﴾^(٣٠)، حتى ألقى عليه الشيطان وجعله يقول: (تلك الغرانيق العلي وإن شفاعتهن لترجى) فحسبها وحياً وقد قرأها في ملأٍ من قريش، ثم مضى وقرأ بقية السورة، حتى أكملها سجد وسجد المسلمون، وسجد المشركون، تقديرًا لما وافقهم محمد ﷺ في تعظيم آلهتهم ورجاء شفاعتهم^(٣١). ويلاحظ على هذه الرواية عدة ملاحظات ثبت زورها، وأنها مفتعلة صنعتها قرائح القصاصين، ومن هذه الملاحظات:

١) على صعيد السند: لم يتصل تسلسل سند هذه الرواية إلى صحابي إطلاقاً وعليه فهي مرسلة وغير موصولة السند إلى من شاهد القضية، وأماماً أنهم رواوها عن ابن عباس فهذا الأكثر حماقة؛ إذ أن ولادة ابن عباس كانت في السنة الثالثة قبل الهجرة، فلم يشهد القصة بتاتاً، هذا ما لا يقبله العقل كذلك.

٢) وأماماً على صعيد المدلول: ففضلاً عن سندها الموهون فإن مضمونها باطل

على كل التقادير:

أولاً: مناقضته الصريحة مع كثير من النصوص القرآنية المباركة والتي تمثل المقياس والميزان لصحة الروايات وعدمه، ومن الآيات الصريحة التي تبطل هذه الرواية قوله تعالى في بداية سورة النجم التي يفترون الإدخال فيها: ﴿وَالنَّجْمٌ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْدَى يُوحَى * عَلَمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾^(٣٢)، وكذلك فقد ضمن الباري عزو جل حفظ

سلامة القرآن الكريم من تلاعب أيدي المبطلين، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٣٣).

ثانياً: منافاته لمقام العصمة، فالعصمة مما اتفق المسلمين جمیعاً عليها - على الأقل - في حدود التبليغ، وعدهما فيه نقض لغرض المولى من بعثه، ولو لا العصمة الملحوظة في أداء رسالة الله، لزال الثقة فيما بينهما وعدمها في التبليغ مخالف لمقتضى بعثهم، ولأخذت الشكوك تتوارد في جميع الأحكام والتكاليف والتشريعات التي يبلغها النبي ﷺ عن الله سبحانه وتعالى، وفي هذا تجرا على ساحة الحق سبحانه وتعالى أن يبعث من يعجز عن إبلاغ ما يريد أو - والعياذ بالله - لا يحسن بعث من يناسب وبالمواصفات المناسبة وو...

(٣) وأما على الصعيد العقائدي: فإن ظاهر الكلام بعيد الالتمام، ومتناقض الأقسام، ممزوج المدح والذم، متخاذل التأليف، فهل يعقل أن النبي ﷺ ومن بحضرته في ذلك الموقف من مسلمين ومسركيـن - وهم قد اتسع باب بيانهم ومعرفتهم فصيح الكلام وغيره - أن يخفى عليهم ذلك والذـي لا يخفى على أدنى متأمل بسيط؟! أم كيف يقنـع المشركون - وهم كما قلنا أهل نقد وفصاحة - بتلك المجاملة المفضوحة التي اقتربـن فيها مدح مشكوكـ مع ذلك القدر الصارم ليأخذوه تقارباً مبدئياً بين شركـهم ودعـوتـه ﷺ والتي قامت على مـحق الشرك والإخلاص للـله والـدين الحـنيف الـقيـم؟! ولا سيما مع تعـقـيبـها بـقولـه تعالى: ﴿وَكُمْ مَنْ مَلَكَ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً﴾ (٤)، فـهل يـلـتـئـمـ هذا الـكلـامـ التـوـحـيدـيـ الخـالـصـ مع تلك الأـكـذـوبـةـ: (وـإـنـ شـفـاعـتـهـنـ لـتـرجـيـ)؟! وـيـأـخـذـ عـلـىـ هـذـهـ الرـوـاـيـةـ أـيـضاـ كـثـيرـ منـ المـآـخـذـ وـلـكـنـناـ نـرـيـدـ الاـخـتـصـارـ بـعـدـ عـدـمـهـ.

الخاتمة:

إن هذا البحث الصغير لا يمكنه أن يفي ويحتوي على أفضل وأعظم يوم أو فترة مررت على الإنسانية أجمع؛ لأننا سواء قيمنا الأيام بما تشتمل عليه من أحداث أو بما تتخض عنه من نتائج، فإن هذا اليوم - يوم البعثة المباركة - هو اليوم الأول في تاريخ الإنسانية، وهذا يرجع لأسباب عديدة يفترض أنها اتضحت في ثانيا البحث - أو لا أقل اتضاح شيء منها - أيضاً؛ لأنه اليوم الذي استطاع فيه الإنسان أن يبلغ الندوة التي رشحته لها عشرات الآلاف من الرسالات والنبوات فأصبح قاب قوسين أو أدنى، وهذا الإنسان أو أعظم البشرية على الإطلاق هو شخص النبي

محمد ﷺ.

كذلك إذا لاحظنا ما تمخض عنه هذا اليوم العظيم، يمكننا أن نتصور المقدار العظيم من الطاعات والعبادات والأعمال الصالحة النبيلة الراخمة بكل معاني النبل والأخلاق التي ظهرت بعد هذا اليوم، ويمكننا أن نتصور مما تمخض منه العروش التي حُطمت والجبارية الذين قضي عليهم، وعهود الظلم والطغيان التي قوِّضت بعد هذا اليوم.

فهذا يجعلنا نقف وتقف عقولنا وأقلامنا حائرةً ومعرفةً بعجزها، أمام الفائض الكمي والكيفي لهذا اليوم وما تمخض عنه وما جرى فيه وبعده، ولكن لا يسعنا في نهاية هذا البحث المتواضع إلا أن نحمد الله ونشي عليه أولاً وأخيراً أن وفقنا لترتيبه وجمعه، ونسأله سبحانه أن يوفقنا لما يحب ويرضى بحق محمد وآلـه صـلـواتـ الله وسلامـهـ عـلـيـهـمـ أـجـمـعـينـ.

المواهش:

- (١) تاريخ الطبرى: ج ٢، ص ١٧٠ .
- (٢) كنز العمال: ١٢ / ٤٤١ / ٣٥٥١٢ .
- (٣) الشیخ المالکی فی کتابه تاریخ ما قبل البعثة ص ١٠ .
- (٤) الشیخ یوسفی الغروی فی کتابه موسوعة التاریخ الإسلامی ص ٧٥ .
- (٥) سید المرسلین: ج ١ ص ٧٢ .
- (٦) نهج البلاغة، الخطبة: ٩١ .
- (٧) سورة التکویر، الآیات: ٨-٩ .
- (٨) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٥ .
- (٩) سورة النحل، الآیة: ٥٧ .
- (١٠) سورة الأنعام، الآیة: ١٥١ .
- (١١) سورة الحجرات، الآیة: ١٣ .
- (١٢) سورة آل عمران، الآیة: ١٩٥ .
- (١٣) سورة النساء، الآیة: ٢٥ .
- (١٤) سید المرسلین: ص ٧٤-٧٧ .
- (١٥) تاریخ ما قبل البعثة: فی درس (الحوادث التي رافقت مولد النبي ﷺ) .
- (١٦) نهج البلاغة: فصل غریب کلامه رقم (٩) .
- (١٧) تاریخ ما قبل البعثة: ص ٣١٩ .
- (١٨) المصدر السابق: ص ٣٣٤ .
- (١٩) تاریخ ما قبل البعثة: ص ٣٨٨ .
- (٢٠) سید المرسلین: ج ١ ص ٢٩٣ .
- (٢١) نفس المصدر السابق .
- (٢٢) قاموس المنجد: ص ٤٢
- (٢٣) تاریخ یعقوبی: ج ٢ ص ٢٢ .

- (٢٤) التمهيد في علوم القرآن: ج ١ ص ١٠٦ .
(٢٥) سيد المرسلين: ج ١ ص ٣٢١ .
(٢٦) التمهيد في علوم القرآن: ج ١ ص ١٠٢ .
(٢٧) المصدر السابق .
(٢٨) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٢
(٢٩) التمهيد في علوم القرآن: ج ١ ص ٧٨ .
(٣٠) سورة النجم، الآيات: ١٩-٢٠ .
(٣١) التمهيد في علوم القرآن: ج ١ ص ٨٦ .
(٣٢) سورة النجم، الآيات: ١-٥ .
(٣٣) سورة الحجر، الآية: ٩ .
(٣٤) سورة النجم، الآية: ٢٦ .

السيّدة خديجة وفلاسفة وعشرون عاماً من الوفاء

محمد علي عيسى قاسم

المقدمة:

عندما ي يريد الباحث التعرف على شخصية عظيمة - كان لها الدور البارز والمميز في حياتها، وكانت لها السمعة والشهرة الواسعة - فمن الطبيعي أن يذهب هذا الباحث ليفتش عن معالم تلك الشخصية في صفحات التاريخ وطيات الكتب ويجد ما يجد من الدراسة والتحقيق والتحليل عنها، فتضطجع له الصورة بحيث يعيش معها وكأنه يعاصرها.

لكتنا نجد أن هناك ثمة شخصيات عملاقة قد بخستها الأقلام فلم تعطها من الدراسة والتحليل والبحث ما تستحقه في الواقع، مع كون سيرها مليئة بالعطاء وزاخرة بالدروس وال عبر.

من بين هذه الشخصيات السيدة خديجة عليها السلام، هذه المرأة العظيمة التي بذلت وقدمت ووضحت في سبيل الرسالة والإسلام، والتي خصها الله تعالى بألطاف لم يُخص بها أحدٌ سواها من النساء، فقد كانت زوجةً لخير خلق الله عليه السلام وأمًا لأفضل النساء زهراء الرسول فاطمة بنت الرسول، وجدةً لسبط الرسول سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهم السلام، كما أنها جدةً لخير النساء أم المصائب زينب عليها السلام، ومن ألطافه عليها أيضًا أنها جدةً لحججه على خلقه الأئمة الطاهرين (سلام الله عليهم أجمعين).

وهذا ما دعاني ودفعني إلى أن أسعى لتسلیط الضوء على حياتها المعطاة عليهما،
لعلی أسد شيئاً يسيراً من الفجوة الكبيرة المترولة.

حيث بدأتُ البحث عن حياة هذه السيدة الجليلة مع النبي ﷺ بتعريفها وذكر
نسبها، ثم تطرقتُ بعد ذلك إلى تجارتها مع النبي ﷺ وسفر النبي ﷺ بأموالها إلى
الشام، وعن الصفة التي تاجر بها النبي ﷺ كونه مضارباً أو أجيراً، وبعدها بحثتُ
عن زواجها من النبي ﷺ وعن الرابط بينه وبين السفر الثاني إلى الشام، وتعرضتُ
في خلال هذا المبحث إلى السؤال عمن الذي خطبها إلى النبي ﷺ وإلى من الذي
تولى تزويجها؟ وكم كان مهرها وعمرها حين الزواج؟ وما هو السبب الحقيقي
وراء زواجها من النبي ﷺ؟ وهل كان زواج النبي ﷺ بها لسبب مادي؟ وهل
كانت خديجة متزوجة قبل زواجها بالنبي ﷺ؟ كل هذا كان في مبحث زواجها
من النبي ﷺ، ثم انتقلت إلى مبحث آخر يرتبط بأولاد خديجة من النبي ﷺ،
حيث تعرضت لذكر عدد الأولاد وعدد البنات، وعن فترة ولادتهم ووفاتهم هل
أنها كانت قبلبعثة أو بعدها؟ وكان من المناسب أيضاً ذكر زيد بن حارثة الذي
تبناه النبي ﷺ وكان له منزلة الولد حيث ترعرع في كفه وكان تحت ظله، ثم
عرجت بالبحث إلى ذكر بعض من مواقف السيدة خديجة ﷺ مع النبي ﷺ،
فكانت الوقفة الأولى حول غار حراء ونزول الوحي، والوقفة الثانية حول إسلامها
والصلة مع الرسول ﷺ، أما الوقفة الثالثة فكانت عن قيام الإسلام بأموالها، ثم
تسلط الحديث على وفاتها بعام الحزن، وبعدها عرضت بعض الأحاديث التي تبين
فضصلها ومكانتها عند النبي ﷺ وأهل البيت ﷺ.

المبحث الأول: من هي خديجة؟ وما هو نسبها؟

هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن الهرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معicus بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، وأمها هالة بنت مناف بن الحارث بن منقذ بن عمرو بن معicus بن عامر بن لؤي، وأمها العرقة هي قلابة بنت سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي، وأمها عاتكة بنت عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وأمها الخطيا وهي ربيطة بنت كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وأمها نائلة بنت حداقة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك^(١). حيث كانت أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأكثرن مالاً» كما قال ابن إسحاق^(٢). حتى قيل «إن لها أزيد من ثمانين ألف جمل متفرقة في كل مكان، وكان لها في كل ناحية تجارة، وفي كل بلد مال»^(٣).

وكانَتْ خديجة امرأة جميلة لطيفة لبيبة حتى سميت بسيدة قريش والطاهرة. واختلف في أصل ثروتها فقد قيل إنها ورثتها من زوجها عتيق بن عابد المخزومي وأبو هالة بن زراره بن نباش الذان تزوجها قبل رسول الله ﷺ، وقيل أيضاً إنها ورثتها من أبيها خويلد بن أسد.

المبحث الثاني: تجارتها مع النبي ﷺ :

عاش النبي ﷺ كما عاش قبله جماعةٌ من المرسلين على عمل أيديهم وكذا

عرق جيئنهم وأتقنوا بعضاً من الحرف والمهن لكي لا يكونوا عالةً وكَلَّا على أحدٍ من الناس، فقد عمل النبي لأهله - خلافاً لما ذكره بعضهم أنه عمل لأهل مكة - راعياً للأغنام، وكان عليهما الله عَزَّ وَجَلَّ يعزُّ بذلك حتى أنه قال: «ما من نبي إلا وقد رعى الغنم»^(٤)، «ما بَعَثَ نَبِيًّا قُطُّ حَتَّى يَسْتَرِعِيهِ الْغَنْمُ، يَعْلَمُهُ بِذَلِكَ رِعْيَةُ النَّاسِ»^(٥)، أو كما قال عليهما الله عَزَّ وَجَلَّ: «بعث موسى وهو راعي غنم، وبعث داود وهو راعي غنم، وبعثتُ أنا أرعى غنم أهلي».

ولكن بعد أن ضاق وضع الرسول المعيشي ذرعاً دفع هذا الحال عَمَّه أبا طالب ليفكر في البحث لابن أخيه عن عمل ليخفف عنه وطأة ذلك الوضع، وهذا ما دفعه ليقترح عليه أن يعمل ويتجه بأموال خديجة التي انتفع بها أكثر أهل مكة، حيث قال عنها ابن إسحاق: «كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال على مالها مضاربة»^(٦). لهذا قال له أبو طالب: «يا ابن أخي هذه خديجة قد انتفع بمالها أكثر الناس وها هم يتجررون بمالها، فهل لي أن أكلمها؟» لكن إباء الرسول وشرفه وعلو نفسه لم تسمح له بالإقبال على هكذا أمر، ولكن بعد أن سمعت خديجة بالحديث الذي دار بين أبي طالب ورسول الله عَزَّ وَجَلَّ أرسلت له - لما بلغها عن الرسول عليهما الله عَزَّ وَجَلَّ من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه - لتعرض عليه أن يخرج لها في مال تاجراً إلى الشام، وتعطيه أفضل ما تعطي لرجل غيره وترسل معه غلامان هما ميسرة وناصح ليأتمرا بأمره.

وبعد ذلك أخبر رسول الله عَزَّ وَجَلَّ عَمَّه أبا طالب فقال له أبو طالب: «إن هذا رزق

ساقه الله إليك»^(٧).

سفر النبي ﷺ إلى الشام للتجارة:

لما قبل الرسول ﷺ عرض خديجة واستعد للخروج للسفر أعدت له خديجة مالاً وافراً وشيئاً من البضاعة الثمينة وأرسلت معه الغلامين وأوصت ميسرة أن ينقل لها ما شاهده من أحداث ووقائع، فسارت القافلة متوجهةً نحو الشام وكانت هذه السفرة الثانية للنبي ﷺ بعد السفرة الأولى مع عمه أبي طالب لما كان عمره الشريف اشتيا عشرة سنة، وقيل تسع سنين، إلى أن حل بهم المسير إلى مقصد هم، فنزل الرسول ﷺ يستظل تحت ظل شجرة قريبة من صومعة راهب يسمى «نسطوراً»، فنظر إلى النبي ﷺ في ظلال تلك الشجرة فقال: «ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي»، فسأل عن اسمه فأخبره ميسرة باسمه فقال: «هو نبيٌّ وهو آخر الأنبياء، إنه هو هو ومنزل الإنجيل، وقد قرأت عنه بشائر كثيرة»^(٨)، ووعى ميسرة ذلك فبهر بالنبي ﷺ عظيماً، وبعدهما انتهوا من تجارتكم ربح النبي ﷺ ربحاً كبيراً، حتى قال ميسرة للنبي ﷺ: «يا محمد، لقد ربنا في هذه السفرة ما لم نربح في أربعين سنة..»^(٩).

وركب النبي ﷺ القافلة ليشدوا رحالهم للرجوع إلى مكة، وقد ملئت نفس ميسرة إعجاباً ودهشةً مما شاهد من معاجز وكرامات النبي ﷺ، فلما رجعوا سارع ميسرة إلى خديجة ليخبرها بما رأه من مواقف ومعاجز وكرامات حدثت للنبي ﷺ ويخبرها بالأرباح الكبيرة التي حصدوها من سفرتهم المباركة، إلى أن أقبل النبي ﷺ فاستقبلته بأحسن استقبال وأكمل ترحيب، فأخذ يكلمها بفصاحته وبهاء بلاغته عن الأرباح والمكاسب التي ظفروا بها، فزادها إعجاباً وتقديرًا حتى أيقنت بيقين لا يراوده شك بأن له شأنًا عظيماً ومكانةً كبيرةً لا يرقى لها إلا

المصطفون. حتى أنها أرادت أن تعطيه زيادةً على ما تعاقدا عليه تقديرًا له وإعجاباً به، ولكنها اكتفى بأخذ ما توافقا عليه في البداية ثم ذهب إلى بيت عمه أبي طالب ليقدم إلى عمه كل ما أخذه من خديجة، ففرح أبو طالب بما لامس من طيب معدن ابن أخيه وأصالحة كرمه فرحاً كبيراً.

هل كان النبي ﷺ أجيراً أو مضارباً لخديجة؟

كان سفر النبي ﷺ للشام لا ككونه أجيراً وإنما ذهب لكونه مضارباً، وهذا ما ذهب إليه أغلب المؤرخين، ومما يدعم هذا القول ما جاء في التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عن أبيه الهادى ؓ أنه يصرح بذلك فيقول: «إن رسول الله ﷺ كان يسافر إلى الشام مضارباً لخديجة بنت خويلد»^(١٠)، وكذلك قول ابن إسحاق: «كانت خديجة امرأة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياها»^(١١). وكذلك ما نقله العيقوبي في تاريخه عن عمار بن ياسر في رواية تزويج خديجة حيث قال: «قال عمرو ابن أسد - وهو ابن خديجة - : ... ما كان مما يقول الناس إنها استأجرته بشيء ولا كان أجيراً لأحد قط»^(١٢)، وهذا ينفي أيضاً ما ذكره بعضهم أنه عمل في رعي الغنم لأحد أهل مكة.

المبحث الثالث: زواجهها من النبي ﷺ:

السفر الثاني إلى الشام وزواج خديجة بالنبي ﷺ:

بعد رجوع النبي ﷺ من الشام وما صاحبه رجوعه من أخبار وحوادث جعل قلب خديجة يتعلق برسول الله ﷺ، وبات فكرها مشغولاً به لعظيم ما وجدت فيه من مزايا وسجايا لا توجد إلا في رجل رباني مرتبط بالسماء، فإباوه وصدقه وأمانته

وعظيم شرفه وقداسته لم تتمثل في هكذا رجل عبشاً، كل هذا جعلها تفكير في الزواج منه وبدأت بالفعل السعي وراء تحقيق هذا الهدف لما بعثت له أختها هالة - على قول - أو صديقتها «نفيسة بنت عليه» - على قول آخر، وهو ما يعتقد به أكثر المؤرخين - لتقول له: «يا محمد، ما يمنعك أن تتزوج... ولو دعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ فقال رسول الله ﷺ: فمن هي؟ فقالت: خديجة. فقال رسول الله ﷺ: وكيف لي بذلك؟ فقالت: عليٌّ^(٢). فأخبرت خديجة بما دار بينها وبين الرسول ﷺ فأوكلت خديجة عمّها «عمرو بن أسد» لتحديد وقت الخطبة.

فشاور النبي ﷺ أعمامه وفي مقدمتهم أبو طالب فعقدوا مجلساً للخطبة حضره رؤساء وكبار قريش وقد خطب فيهم أبو طالب خطبه المعروفة بقوله:

«الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل، وجعل لنا بيتاً محجوجاً، وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه، وإن ابن أخي محمد بن عبد الله لا يوزن ب الرجل من قريش إلا رجح عليه، ولا يقاس بأحد إلا كان أعظم منه، وإن كان في المال قل، فإن المال رزق حائل، وظل زائل، وله في خديجة رغبة، ولها فيه رغبة، وصدق ما سألتكموه عاجله من مالي، وله والله خطب عظيم ونبأ شائع^(٤).

وحيث إن أبا طالب تعرض في خطبته لقريش، وذكر عظمة النبي و منزلته لذلك تكلم ورقة بن نوفل ابن عم خديجة وقال: «لا تنكر العشيرة فضلكم، ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم، وقد رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم»^(٥).

فلما تم الزواج وانتهت المراسيم قام النبي ﷺ ليذهب مع أعمامه. قالت له

خدية: «إلى بيتك، فيتي بيتك وأنا جاريتك».

وليس بغرير على هذه المرأة العظيمة أن تختار لها محمد بن عبد الله عليهما السلام زوجاً بعد أن رفضت كبار قريش أمثال أبي سفيان وأبي جهل وعقبة بن أبي معيط؛ لما وجدت فيه من سمو في النفس وكمال في الخلق، كما رأت فيه النبل والصدق والوفاء والشرف الذي لم يحظ به أي أحد من قريش، وقد جمع إلى ذلك من صباحة الوجه وروعة الخلق ما لم يتتوفر في أحد غيره، كما جاء عن أمير المؤمنين لما سأله أحدهم عن نعت رسول الله عليهما السلام فقال له عليهما السلام: «كان رسول الله أبيض اللون مشرباً حمراً، أدعج، سبط الشعر، دقيق المسربة، سهل الخدين، كث اللحية، ذو وفرة كان عنقه إبريق فضة...شن الكف والقدم، إذا مشى كأنما ينحدر من صبب، وإذا مشى كأنما ينقلع من صخر، وإذا التفت التفت جميعاً، ليس بالقصير ولا بالطويل، ولا العاجز ولا اللئيم، كان العرق في وجهه اللؤلؤ، ولريح عرقه أطيب من المسك، لم أر قبله ولا بعده مثله عليهما السلام»^(١٦). نعم هكذا كان رسول الله عليهما السلام، وهكذا كانت خديجة عليهما السلام، هذه المرأة العفيفة حيث رفضت الدنيا وزيارتها لطلب الآخرة لقائها، فسعت بذلك نحو ذلك.

من خطبها للنبي عليهما السلام :

في حقيقة الأمر قد اختلف المؤرخون في من تقدم أعمام النبي عليهما السلام لخطبة خديجة عليهما السلام، فقد ذهب البعض منهم إلى أن من تقدمهم هو عممه أبوطالب، فقد ذكر اليعقوبي في تاريخه في رواية تزويج خديجة عن عمار بن ياسر حيث قال: «... ثم جاء رسول الله في نفر من أعمامه تقدمهم أبوطالب....»^(١٧)، وروى الكليني

في (فروع الكافي) بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «لما أراد رسول الله عليه وآله أن يتزوج خديجة بنت خويلد، أقبل أبو طالب في أهل بيته ومعه نفر من قريش...»^(١٨). بينما ذهب البعض الآخر إلى أن من تقدم أمام النبي عليه وآله هو الحمزة، فقد ورد هذا القول في سيرة ابن هشام في ذكر زواجه عليه وآله حيث قال: «فلمما قالت ذلك لرسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه حمزة بن عبد المطلب»^(١٩)، ولكن القول الأول هو المرجح لما مر آنفًا أن أبا طالب هو الذي خطب خطبة النكاح، ناهيك عن كونه أسنّ عمراً من الحمزة، ولما ذكر في السيرة أن أبا طالب هو الذي كفل النبي عليه وآله بعد وفاة جده عبد المطلب، كل هذا وكيف يتقدم حمزة الأعمام وهو لا يكبر النبي إلا بستين أو أربع وفيفي ظل وجود أبي طالب؟!

من الذي تولى تزويجها؟

كما اختلف في من خطبها للنبي عليه وآله اختلف أيضًا في من تولى تزويجها، فقد ذكر اليعقوبي في تاريخه بنقله رواية عمار بن ياسر عن ذكر تزويج خديجة أنه قال: «فلمَ رأى عمرو - أبا عمرو بن أسد - رسول الله قال: اشهدوا أني إن لم أكن زوجته بالأمس فقد زوجته اليوم»^(٢٠)، ونقل الطبراني في تاريخه عن قول الواقدي ما ثبت عنده من حديث ابن عبد الله بن مسلم بسنده عن ابن عباس «إن عمها عمرو بن أسد زوجها رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم)، وإن أباها مات قبل الفجر»(قال أبو جعفر)^(٢١) ، بينما ذكر الطبراني في تاريخه وابن هشام في سيرته أن من زوجها هو أبوها خويلد بنقلهما عن ابن إسحاق قوله: «فخرج معه عمها حمزة بن عبد المطلب

حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه فتروجهما»^(٢٢)، ولكن هذا القول فيه من الضعف ما لا يخفى لما نقل في التاريخ أن خويلد قد قُتل في واقعة الفجار أو أنه مات في العام نفسه وقيل قبلها، وقد قيل إن من خطبها هو أخوها عمرو بن خويلد بن أسد، والقول إن من خطبها هو ورقة بن نوفل كما مر ذكره، لما قال تعقيباً على خطبة أبي طالب: «لا تنكر العشيرة فضلكم، ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم، وقد رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم».

كم عمر خديجة عند زواجها بالنبي ﷺ؟ وكم كان مهرها؟

المشهور أن خديجة عليها السلام حين تزوجت النبي عليه السلام كانت تبلغ من العمر أربعين سنةً في حين كان النبي عليه السلام لم يتجاوز عمره الشريف خمسة وعشرين ربيعاً، وأما من نقل هذا القول فقد نقله الطبراني عن الكلبي بقوله: «وخدية يومئذ ابنة أربعين سنة»، والمسعودي في مروج الذهب: «وهي يومئذ بنت أربعين»، والكاذريوني: «فتروجهما وهو ابن خمس وعشرين سنةً، وخدية يومئذ بنت أربعين سنةً»^(٢٣)، وابن سعد في الطبقات^(٢٤)، ولكن البعض ذكر خلاف ذلك، فقد اختلف في عمرها فكان هذا الاختلاف يدور بين الـ(٢٥) سنة إلى الـ(٤٦) سنة على النحو التالي:

(٢٥) سنة، (٢٨) سنة، (٣٠) سنة، (٤٠) سنة، (٤٤) سنة، (٤٥) سنة، (٤٦) سنة.

.(٢٥).

أما مهرها عليها السلام - كما مر سابقاً - فقد ضمنه أبو طالب حينما صرّح في خطبته بذلك بقوله: «وصداق ما سألتمنه عاجله من مالي، وله والله خطب عظيم ونبأ شائع». ولكن ابن هشام ذكر أن رسول الله هو الذي أصدقها، وقد أصدقها عشرون بكرة

بقوله: «وأصدقها رسول الله (صلى الله عليه [والله] وسلم) عشرين بكرةً»^(٢٦)، وأما الصدوق فقد روى بسنده عن الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ قال: «ما تزوج رسول الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ شيئاً من نسائه ولا زوج شيئاً من بناته على أكثر من اثنتي عشرة أوقية ونش، والأوقيه: أربعون درهماً، والنث: عشرون درهماً»^(٢٧). أي خمسمائة درهم.

ما هو السبب الحقيقي الذي دفع خديجة للزواج من النبي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ؟

يتصور أغلب الماديين أن السبب وراء سعي خديجة للزواج من النبي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ هو حاجتها الملحة لرجل صادق أمين يدير ويشرف على ثروتها الطائلة التي باتت توسع وتنشر في جميع الأمصار، ولقد وجدت في النبي ضالتها لما سمعت عن أمانته وصدقه ما سمعت؛ ولذلك عرضت عليه نفسها للزواج منه، وقد قبل النبي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ ذلك العرض لعلمه بما تملك المرأة من مال وجاه.

لكن التاريخ يحذينا خلاف ذلك، فإن هناك أسباب وداعٍ أخرى أشارت لها الحوادث التاريخية تدل على أن الدافع الأساس وراء إقدام خديجة من طلب الزواج بالنبي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ هو الدافع المعنوي لا المادي، ولنا بعرض بعض تلك الحوادث وال Shawahid المذكورة في الكتب التاريخية:

- عندما سألت ميسرة عمّا رأه من النبي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ في سفرته معه إلى الشام، فلما أخبرها ميسرة بما رأه وسمعه أحست خديجة في نفسها بانجذاب شديد وشوق عظيم نابع من أعماقها نحو النبي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ، وكان ذلك بسبب أخلاقه وبنبله وعظيم سجيابه، فقالت من دون إرادتها: «حسبك يا ميسرة، لقد زدتني شوقاً إلى محمد عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ، اذهب فأنت حرّ لوجه الله ...»^(٢٨).

مرّ النبي ﷺ يوماً بمنزل خديجة بنت خويلد وهي جالسة في ملأ من نسائها وجواريها وخدمتها وكان عندها حبر من أخبار اليهود، فلما مرّ النبي ﷺ نظر إليه ذلك الحبر وقال: يا خديجة مري من يأتي بهذا الشاب. فلما أرسلت إليه من أتى به ودخل منزل خديجة قال له الحبر: اكشف عن ظهرك. فلما كشف له قال الحبر: هذا والله خاتم النبوة. فقالت له خديجة: لو رأك عمه وأنت تفتشه لحلت عليك منه نازلة البلاء، وإن أعمامه ليحدرون عليه من أخبار اليهود.

قال الحبر: ومن يقدر على محمد هذا بسوء؟ وهذا وحق الكليم رسول الملك العظيم في آخر الزمان، فطوبى لمن يكون له بعلاً، وتكون له زوجة وأهلاً، فقد حازت شرف الدنيا والآخرة. فتعجبت خديجة وانصرف محمد وقد اشتعل قلب خديجة بنت خويلد بحبه فقالت: أيها الحبر، بم عرفت محمداً أنهنبي؟

قال: وجدت صفاتة في التوراة أنه المبعوث آخر الزمان يموت أبوه وأمه، ويُكفله جده وعمه، وسوف يتزوج بأمرأة من قريش سيدة قومها وأميرة عشيرتها، وأشار بيده إلى خديجة، فلما سمعت خديجة ما نطق به الحبر تعلق قلبها بالنبي ﷺ فلما خرج من عندها قال: اجتهدي ألا يفوتك محمد فهو الشرف في الدنيا والآخرة^(٢٩).

- إن سبقها إلى الإيمان بالإسلام ورسالة رسول الله ﷺ بحيث كانت أول امرأة آمنت به لما يشهد في صفحات التاريخ بأن زواجها كان منبعثاً من إيمانها وبطهارة الصادق الأمين، وإن حياة خديجة وما ورد بشأنها من الروايات والأحاديث لما يوضح هذا الموضوع بما لا يدع فيه أي شبهة^(٣٠).

وهذه بعض من الشواهد التاريخية التي تطرق لها بعض من المحققين

والمؤرخين في الكتب التاريخية في هذا الصدد، وهي التي ترجعنا إلى حقيقة الأسباب الواقعية من زواج خديجة بالنبي ﷺ.

هل كان دافع النبي ﷺ من زواجه بخديجة مادياً؟

ادعى بعض من الماديين أن زواج النبي ﷺ من خديجة كان الدافع وراءه طمع النبي ﷺ في مالها وثروتها، ولكن هذا الادعاء فيه من السخافة والافتراء ما لا يخفى؛ فإن سيرة النبي ﷺ لخير دليل وشاهد على بطلان هذا الاتهام المزعوم، فمن تتبع سيرته ﷺ يرى أنه ما كان يوماً يقيم للمال وزناً، بل للدنيا وما فيها قيمة، والتاريخ يشهد أن خديجة ما كانت لتنفق مالها وثروتها إلا لدعم وتشييد قواعد الإسلام وركائزه، ناهيك أن خديجة هي نفسها التي تقدمت بطلب الزواج من النبي ﷺ وما كان هو البادي بالأمر لكي يقال إنه تزوجها رغبةً وطمعاً في مالها.

هل كانت خديجة متزوجة قبل النبي ﷺ؟

نقل كثير من المؤرخين أن خديجة قبل زواجها بالنبي ﷺ قد تزوجت من عتيق بن عابد المخزومي، وبعد وفاة عتيق تزوجت من أبي هالة بن زراره بن النباش، فقد ذكر الطبراني في تاريخه في هذا الصدد قوله: «وكان قبله عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ...، ثم توفي عنها. وخلف عليها أبو هالة بن زراره بن النباش ... ثم توفي عنها فخلف عليها رسول الله وعندها هند بنت أبي هالة»^(٣١)، ونص على ذلك أيضاً ابن هشام في سيرته: «وكان قبله عند أبي هالة بن مالك أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم، حليف بنى عبد الدار، ... وكانت قبل أبي هالة عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ...»^(٣٢)، وذكر غيرهم ذلك

أيضاً، لكن البعض أنكر زواجهها قبل النبي ﷺ وادعى كونها عذراء، والقول بذلك محتاجٌ للدليل، مع أَ كونها ثبِّاً لainقص من مكانتها ودرجتها شيئاً، وزواج النبي ﷺ بها وهي ثبِّ لا ينقص منه شيء، فلو كان في الزواج من ثبِّ نقص لما تزوج ﷺ بعدها بثبِّ، مع أَ النبي ﷺ كانت أغلب زوجاته ثبات.

المبحث الرابع: أولاد خديجة من النبي ﷺ:

عدد الأولاد والبنات:

ولد للنبي ﷺ من خديجة ستة أولاد، اثنان منهم من البنين وهما القاسم وعبد الله والأربعة البالقي من البنات وهم: أم كلثوم ورقية وزينب وفاطمة، فقد روى الصدوق بسنده عن الإمام الصادق ع عليهما السلام حيث قال: «ولد لرسول الله ﷺ من خديجة: القاسم والطاهر - وهو عبد الله - وأم كلثوم، ورقية، وزينب، وفاطمة»^(٣٣). ونقل يونس بن بكيه عن ابن عباس قوله: «ولدت خديجة لرسول الله ﷺ غلامين وأربع نسوة: القاسم، وعبد الله، وفاطمة، وأم كلثوم، وزينب، ورقية»^(٣٤). وذكر ابن هشام أن أكبر بنيه القاسم، ثم الطيب، ثم الطاهر، وأكبر بناته رقية، ثم زينب، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة^(٣٥). وقال (الطيب) لأنَّه يدعى أنَّ أولاد الرسول ﷺ ثلاثة، فلما ذكر قول ابن اسحاق في سيرته قال: «فولدت لرسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ولده كلهم إِلَّا إِبْرَاهِيمَ: الْقَاسِمُ، وَبَهْ كَانَ يَكْنِي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَالظَّاهِرُ، وَالطَّيْبُ، وَزَيْنَبُ، وَرَقِيَّةٌ عَلَيْهَا السَّلَامُ»^(٣٦). وعقب على ذلك بقوله: «يُشَعِّرُ سِيَاقُ الْحَدِيثِ هُنَّا - وَفِيمَا سِيَّأْتِي - أَنَّ الظَّاهِرَ وَالطَّيْبَ شَخْصَانِ...»^(٣٧). وخالف هذا القول ابن سعد - صاحب الطبقات - لما نقل عن ابن عباس قوله: «ثُمَّ

ولد له في الإسلام عبد الله فسمى الطيب والطاهر^(٣٨)، فالطيب والطاهر إذن اسمان لشخص واحد وهو عبد الله. وأشار اليعقوبي إلى ذلك أيضاً بقوله: «عبد الله وهو الطيب والطاهر لأنه ولد في الإسلام، وفاطمة»^(٣٩).

هل كانت ولادتهم قبل أو بعد البعثة؟

ولد للنبي ﷺ من خديجة ظلها قبل البعثة كلُّ من القاسم ورقية وزينب وأم كلثوم، وأما عبد الله وفاطمة ظلها فولدا له بعد البعثة، وقد نص على ذلك اليعقوبي بقوله: «وولدت له قبل أن يبعث القاسم ورقية وزينب وأم كلثوم، وبعد ما بعث عبد الله، وهو الطيب والطاهر لأنه ولد في الإسلام، وفاطمة»^(٤٠).

وفاتهم هل كانت قبل البعثة أو بعدها؟

اختلف في وفاة أولاد رسول الله ﷺ من البنين، فالبعض ذهب إلى أنهما ماتا قبل البعثة وذهب البعض الآخر لوفاتهم بعد البعثة، ولكن الطاهر أن القاسم توفي قبل البعثة وعبد الله توفي بعدها^(٤١)، وأما البنات فقد أجمع المؤرخون على وفاتهم بعد البعثة فهم أدركوا الإسلام واعتنقوه.

تبني النبي ﷺ زيداً:

أعلن رسول الله ﷺ تبنيه لزيد عند الحجر الأسود، وهو زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب^(٤٢)، وكان زيد من أتى بهم حكيم بن حزام بن خويلد - ابن أخي خديجة - من الشام ريقاً، فدخلت عليه خديجة وكانت عند رسول الله حينذاك، فقال لها اختاري لك منهم ما شئتي يا عمة، فاختارت زيداً، فلما رآه ﷺ

أحبه لذكائه وطهره، فاستوته منها، ولكن والده حارثة استوحشه وحن إليه فبحث عنه حتى علم أنه في مكة فقدمها.
ويقال إن زيداً لما سمع أباه يبحث عنه أنسد قائلًا:

أحن إلى أهلي وإن كنت نائياً
فكفوا عن الوجد الذي قد شجاكم
فإنني بحمد الله في خير أسرةٍ بعد كابرٍ^(٤٣)

فجاء لرسول الله ﷺ هو وأخوه كعب بن شراحيل ليطلب منه السماح لابنه أن يرحل معه، فدعى الرسول زيداً ليخرجه بين البقاء والرحيل، فأبى زيد الرحيل دون البقاء لما وجد من أخلاق النبي ﷺ وحنانه ولطفه حيث قال: «إني رأيت في هذا الرجل شيئاً، وما أنا بالذي أفارقه أبداً»^(٤٤)، فلما سمع الرسول ﷺ ذلك تبناه بعد أن اعتقه على مرأى من الناس قائلاً: «أشهدوا أن هذا ابني»^(٤٥)، وكان ذلك عند الحجر الأسود.

المبحث الخامس: وقوفات خديجة مع النبي ﷺ :

الوقفة الأولى:

غار حراء ونزول الوحي:

قضى رسول الله ﷺ ليالي وأيام طويلةً وهو يتبع في غار حراء بعيداً عن ضجيج الناس وانحرافاتهم؛ ليتأمل في خلق الله تعالى وآثاره، فينظر في أفق هذا الكون الواسع ليرى عظمة الله تعالى وقدرته وحكمته، ومما جاء في التفسير

المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام عن أبيه قال: «إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما ترك التجارة في الشام وتصدق بكل ما رزقه الله تعالى من تلك التجارات، كان يغدو كل يوم إلى حراء يصعده وينظر من قلله إلى آثار رحمة الله، وإلى أنواع عجائب رحمته وبدائع حكمته، وينظر إلى أقطار أκناف السماء وأقطار الأرض والبحار والمفاوز والفيافي، فيعتبر بتلك الآثار، ويذكر بتلك الآيات، ويعبد الله حق عبادته»^(٤٦) نعم هكذا كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقضي جل وقته متفرغاً للعبادة، يختلي بنفسه متأملاً في صنع الخالق وبديع خلقته، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دائم التفكير في مجتمعه وقومه مثقلًا بمسؤولية هدايتهم وصلاحهم مشفقاً عليهم لما هم فيه من حضيض الجهل والانحراف.

ولما بلغ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأربعين من العمر وكان ذلك سنة (٦١٠ م)^(٤٧) المصادف سنة ثلاثة عشرة قبل الهجرة، في يوم السابع والعشرين من رجب كما روى الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «يوم سبعة وعشرين من رجب نبئ فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»^(٤٨)، وقد نزل عليه جبرائيل بعد أن أمره الله تعالى وهو في غار حراء ليتلوا عليه شيئاً من آياته، وكان ذلك بعد أن رأى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رؤى عديدة قبل العasha مفادها أنهنبي مؤيد من الله تعالى، وكما ذكر المجلسي: «أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان قبل بعثته -منذ أكمل الله عقله في بدء سنه -نبياً مؤيداً بروح القدس، يكلمه الملك ويسمع الصوت، ويري في المنام...»^(٤٩)، وكما جاء أنه «أول ما بدئ به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»^(٥٠)، وكان ذلك له الأثر الكبير في تحمل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصبره على استقبال الوحي والرسالة بالإضافة إلى العناية الإلهية السديدة، فلما نزل جبرائيل قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أقرأ

يا محمد . فقال النبي: ما أقرأ؟ فقال له جبرائيل: ﴿أَفْرَا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * افْرَا وَرَبِّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمِ * عَلِمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم﴾^(٥١)، هذا كما روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام وهو يصفبعثة بقوله: «حتى استكمل سن الأربعين، ووجد الله قلبه الكريم أفضل القلوب وأجلها، وأطوعها وأخشعها، فأذن لأبواب السماء ففتحت، وأذن للملائكة فنزلوا، ومحمد عليه السلام ينظر إلى ذلك، فنزلت عليه الرحمة من لدن ساق العرش، ونظر إلى الروح الأمين جبرائيل المطوق بالنور طاووس الملائكة، هبط إليه وأخذ بضبعه وهزه وقال: يا محمد أقرأ. قال: ما أقرأ؟ قال: يا محمد، ﴿أَفْرَا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * افْرَا وَرَبِّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلِمَ بِالْقَلْمِ * عَلِمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم﴾^(٥٢)، وبعد أن أوحى له جبرائيل صعد إلى السماء، ثم نزل النبي عليه السلام من الجبل متوجهاً إلى أهله فكلما مر على حجر أو شجر سلم عليه وقال: «السلام عليك يارسول الله»^(٥٣)، إلى أن وصل إلى أهله مستبشرًا فرحاً بما آتاه الله وأكرمه به، فلما دخل على خديجة وأخبرها بما حصل بادلته السرور سروراً. وقد ورد نص يشير إلى ذلك: (فلما انصرف منقلباً إلى بيته جعل لا يمر على شجر ولا حجر إلا سلم عليه، فرجع إلى أهله مسروراً موقناً أنه قد رأى أمراً عظيماً، فلما دخل على خديجة قال: أرأيتك التي كنت حدثتك أني رأيته في المنام؟ فإنه جبرائيل استعلن إليّ، وقد أرسله إلى ربِّي عز وجل، وأخبرها بالذي جاءه من الله وما سمع منه فقالت: أبشر، فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً، واقبل ما الذي جاءك من أمر الله، فإنه حقٌّ، وأبشر فإنك رسول الله عليه السلام حقاً)^(٥٤).

الوقفة الثانية:

إسلام خديجة والصلوة مع الرسول ﷺ

إن من الأمور التاريخية المسلمة التي أجمع عليها المؤرخون هي أن خديجة بنت خويلد أول النساء إسلاماً، فهي أول من آمنت به ﷺ حين كفر به الناس، وأول من صدقت به.

فَكَمَا وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ قَوْلَهَا: «مَا غَرَّتْ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ إِلَّا عَلَى خَدِيجَةَ، وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَكَادُ يَخْرُجُ مِنَ الْبَيْتِ حَتَّى يَذْكُرْ خَدِيجَةَ فَيَحْسِنَ الشَّنَاءَ عَلَيْهَا، فَذَكَرَهَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ فَأَدْرَكَتْنِي الْغِيرَةُ، فَقَلَتْ: هَلْ كَانَتْ إِلَّا عَجُوزًا؟! فَقَدْ أَبْدَلَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا، فَغَضِبَتْ حَتَّى اهْتَزَّ مَقْدِمُ شَعْرِهِ مِنَ الغَضَبِ ثُمَّ قَالَ: لَا وَاللَّهِ مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا، آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ النَّاسُ، وَصَدَقَتْنِي إِذْ كَذَبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي فِي مَا لَهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ مِنْهَا أُولَادًا إِذْ حَرَمَنِي أُولَادَ النَّاسِ» (٥٥).

هذا بالإضافة إلى تصديقها للنبي من بادئ الأمر حين رجوعه من الغار وإخبارها بما جرى له في الغار، - مضافاً - لما سمعته من كهنة العرب عن مستقبل نبوته ورسالته، كل هذا يدلل على سبقها للإيمان به، والتسليم لأمره.

وأما عمما ورد عن الصلاة، فكانت خديجة من الأوائل البادئين بالصلوة خلف رسول الله ﷺ، حيث كانت خديجة بعد علي بن أبي طالب عليهما السلام أول المؤتمرين خلفه وكانت أول صلاة صلّيتْ هي صلاة الظهر، وكانت ركعتين. حيث روى الكليني بسنده عن سعيد بن المسيب قال: «سألت علي بن الحسين عليهما السلام: ابن كم كان

علي بن أبي طالب يوم أسلم؟ فقال: أَوْ كَانَ كَافِرًا قُطْ؟! إِنَّمَا كَانَ لِعَلِيٍّ حِثْ
بعث الله عزوجل رسول الله عليه وآله عشر سنين، ولم يكن يومئذ كافراً، ولقد آمن بالله
«تبارك وتعالى» ورسوله عليه وآله، وسبق الناس كلهم إلى الإيمان بالله ورسوله، وإلى
الصلاوة ثلاثة سنين، وكانت أول صلاة صلاتها مع رسول الله الظاهر ركعتين»^(٥٦)،
وفيما رواه الطبراني في مجمع الزوائد عن ابن مسعود قال: «أول شيء علمت من
أمر رسول الله (صلى الله عليه [وآلها] وسلم) قدمت مكة في عمومة لي، فارشدنا
على العباس بن عبد المطلب، فاتجهنا إليه وهو جالس في زمزم، فجلسنا إليه، فبينما
نحن عنده أقبل رجل من باب الصفا أبيض تعلوه حمرة له وفرة جعدة وإلى أطراف
أذيه، أشم، أفني الأنف، برأس الثنايا، أدعج العينين، كث اللحية، دقيق المسربة،
شن الكفين والقدمين، عليه ثوبان أبيضان، كأنه القمر ليلة البدر، يمشي عن يمينه
غلام أمرد، حسن الوجه، مراهق أو محتمل، تقفوهم امرأة قد سرت محسنة، حتى
قصد نحو الحجر فاستلمه، ثم استلمه الغلام واستلمت المرأة، ثم طاف بالبيت سبعاً
والغلام والمرأة يطوفان معه، ثم استلم الركن ورفع يديه وكبر، وقام الغلام عن
يمينه ورفع يديه وكبر، وقامت المرأة خلفهما ورفعت يديها وكبرت، وأطال
القنوت ثم ركع، فأطال الركوع ثم رفع رأسه من الركوع ففنت وهو قائم ثم سجد
وسجد الغلام والمرأة معه يصنعان مثل ما يصنع يتبعانه. قال: فرأينا شيئاً لم نكن
نعرفه بمكة فأنكرنا، فأقبلنا على العباس فقلنا: يا أبا الفضل، إن هذا الدين لم نكن
نعرفه فيكم، أشيء حدث؟ قال: أجل والله، أما تعرفون هذا؟ قلنا: لا. قال: هذا ابن
أخي محمد بن عبد الله، والغلام علي بن أبي طالب، والمرأة خديجة بنت خويلد،
أما والله ما على ظهر الأرض أحدٌ يعبد الله على هذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة»^(٥٧).

الوقفة الثالثة:

قيام الإسلام بأموال خديجة:

من المعروف أن السيدة خديجة كانت تمتلك من المال والجاه ما لا يمتلكه أحد إلا القليل من تجار مكة، فلما تزوجت النبي ﷺ وأحبته وعشقت شخصيته ومكارم أخلاقه بذلت له نفسها وكل ما تمتلك من مال وجاه، ومكنته من التصرف فيه خدمةً للإسلام وفي سبيل الله، وكان لأموال السيدة خديجة الأثر البالغ والركيزة الأولى، والمنعطف المهم في تثبيت دعائم الإسلام آنذاك، إذ كان الدين الإسلامي في خطوه الأولى وفي طور التأسيس؛ لذا كان النبي ﷺ بأمس الحاجة إلى المال لتبلیغ رسالة السماء وبلغ هدفه، فوجه الله «سبحانه وتعالى» خديجة وأموالها لخدمة الإسلام، وبفضل هذا المال تحقق الهدف الأول المنشود، حيث قال ﷺ: «ما نفعني مالٌ قطٌ مثل ما نفعني مال خديجة»^(٥٨)، نعم كان لأموال خديجة الدور البارز في تثبيت بذرة الإسلام، فحين حاصرت قريش النبي ﷺ وأهل بيته من بنى هاشم وبني عبد المطلب وقطعتهم اقتصادياً واجتماعياً في شعب أبي طالب ثلاث سنين، كانت خديجة في مقدم المضحين والبازلين في سبيل الله، فقد أنفقت كل ما تملك من رصيد من أجل تقوية الإسلام وثباته، كما قال العقاوبي في تاريخه: «فأقام - أى النبي - ومعه جميع بنى هاشم وبني المطلب في الشعب ثلاث سنين حتى أنفق رسول الله ماله، وأنفق أبو طالب ماله، وأنفقت خديجة بنت خويلد مالها»^(٥٩)، وكان لمال خديجة ذكر على لسان رسول ﷺ حتى بعد وفاتها، قالت أم سلمة: «فلما ذكرنا خديجة بكى رسول الله ﷺ ثم قال: خديجة، وأين مثل خديجة؟! صدقتنى

حين كذبني الناس، ووازرتني على دين الله وأعانتني عليه بمالها»^(١٠).

المبحث السادس: عام الحزن ووفاة خديجة:

وقفت السيدة خديجة مع النبي ﷺ طيلة عمرها لجنبه تشاشه أحزانه وآلامه، تخفف عنه كل ما يقاسيه من أنواع المحن والأذى من قريش وأتباعها، قال ابن إسحاق: «كان النبي ﷺ لا يسمع شيئاً يكرهه من ردّ عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله ذلك عن رسول الله ﷺ بها إذا رجع إليها ثبته، وتخفف عنه، وتهون عليه أمر الناس حتى ماتت عليه السلام»^(١١). وقد قدمت خديجة عليها السلام كل ما تملك لخدمة الإسلام، فلم تقصري يدها يوماً ببذل شيء لنشر الدعوة الإسلامية حتى نفذ جميع ما عندها من مال، وكان ذلك وقت الحصار في شعب أبي طالب، إلى أن أخذت الساعة تقترب وترجع الأمانة إلى ربها حتى سمت روحها وصعدت إلى السماء، لقد فجع النبي ﷺ بوفاة خديجة التي ملأت نفسه رضيًّا وطمأنينةً، فلم تغضبه قطُّ، فكانت نعمت الزوجة له وخير قرينة، وقد خيم الحزن والألم على قلب رسول الله ﷺ بفقدتها، «حتى دفنتها بالحجون ونزل (صلى الله عليه [وآله]) في حفرتها ولم تكن قد شرعت الصلاة على الجنائز»^(١٢)، وبعد ذلك «جعلت فاطمة عليها السلام تتعلق برسول الله ﷺ وهي تبكي وتقول: أين أمي؟ أين أمي؟ فنزل عليه جبريل فقال: قل لفاطمة إن الله تعالى بنى لأمك بيتاً في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب»^(١٣). وكان عمرها حين وفاتها عليها السلام قد ناهز الخمسة والستون سنة في شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين، وقد عاشت مع النبي ﷺ خمساً وعشرين سنة، وسمّيَ عام وفاتها بعام الحزن أو عام الحداد لكونه أُنْقل كاهل رسول الله بوفاته وزيرته وناصره

خدية وأبي طالب. حيث قال: «اجتمعت على هذه الأمة في هذه الأيام مصيّبات لا أدرى بأيهما أنا أشد جرعاً»^(٦٤).

المبحث السابع: مكانتها في أحاديث رسول الله ﷺ:

لقد احتلت السيدة خديجة ظلها - بفضل إيمانها بالرسالة ومواساتها للنبي في تحمل آماله وآلامه وتضحياتها الكبيرة في سبيل الله دعماً للرسالة الإلهية - مكانة كبيرة في الإسلام قلما وصلت إليها نساء غيرها، لقد اكتسبت بكل هذا وأكثر مكانة مرموقة في الإسلام، حتى أنها أخذت مساحة قيمة من أحاديث رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهما السلام يبيّن فيها فضلها وشرفها ومكانتها التي احتلتها بين نساء العالمين، ولنا هنا بسرد غيض من فيض مما ورد في ذكرها:

- ١) عن عائشة قالت: ما غرت على نساء النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم) إلا على خديجة، وإنني لم أدركها، قالت: وكان رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) إذا ذبح الشاة يقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة. قالت (أي عائشة): فأغضبته يوماً فقلت: خديجة!! فقال رسول الله ﷺ: «إنني رزقت حبها»^(٦٥).
- ٢) وروي عن أنس قال: كان النبي ﷺ إذا أتي بهدية قال: «اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة، إنها كانت تحب خديجة»^(٦٦).
- ٣) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن جبريل كان مع النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم) فجاءت خديجة فقال رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم): «يا جبريل هذه خديجة. فقال جبريل ﷺ: أقرئها من الله السلام ومني»^(٦٧).
- ٤) عن الزهري قال: لم يتزوج رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) على

خدیجة حتی ماتت (٧٨).

٤) عن أبي الحسن الأول (الکاظم) ع قال: قال رسول الله ع: «إن الله اختار من النساء أربعاً: مريم وآسية وخدیجة وفاطمة» (٧٩).

٥) عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ع: «لقد فضلت خدیجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين» (٧٠).

٦) عن عائشة قالت: أطعم رسول الله (صلى الله عليه [وآلها] وسلم) خدیجة من عنب الجنة (٧١).

٧) عن أبي عبد الله (الصادق) ع قال: «دخل رسول الله ع منزله فإذا عائشة مقبلة على فاطمة تصايرها وهي تقول: والله يا بنت خدیجة ما ترين إلا أن لأمك علينا فضلاً، وأي فضل كان لها علينا؟! ما هي إلا كبعضنا. فسمع ع مقالتها لفاطمة، فلما رأت فاطمة رسول الله ع بكت، فقال: ما يبكيك يا بنت محمد؟! قالت: ذكرت أمي فتنقصتها فيكيت. فغضب رسول الله ع ثم قال: «مه يا حميراء، فإن الله «تبارك وتعالى» بارك في الودود الولود، وإن خدیجة حملت ولدت مني طاهراً، وهو عبد الله وهو المطهر ولدت مني القاسم، وفاطمة، ورقية، وأم كلثوم، وزينب، وأنت من من أعمق الله رحمه فلم تلدي شيئاً» (٧٢).

٨) عن عبد الله بن جعفر قال: قال رسول الله ع: «أمرت أن أبشر خدیجة بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب» (٧٣).

٩) قال الرسول ع: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وخدیجة بنت خويلد، وفاطمة بنت

محمد» (٧٤).

١٠ قال الرسول ﷺ: «خدیجة سابقة نساء العالمین إلى الإیمان بالله وبمحمد» (٧٥).

وأما ما جاء عن أهل البيت ﷺ مما يدل على مكانتها وفضلها وشرفها، لما خطب معاوية بالکوفة حين دخلها والحسن والحسين ع عاليهما السلام تحت المنبر، فذكر عليهما السلام فnal منه ثم نال من الحسن فقام الحسين ع ليرد عليه فأخذته الحسن بيده وأجلسه ثم قام فقال: «أيّها الذاکر عاليّاً، أنا الحسن وأبی علیٰ، وأنت معاویة وأبوك صخر، وأمی فاطمة وأمك هند، وجدي رسول الله وجدك عتبة بن ربيعة، وجدي خدیجة وجدتك قتيلة، فلعن الله أخْمَلَنَا ذکرًا وألَّمنَا حَسَبًا وشَرَّنا قدیماً وحدیثاً». فقال طوائف من أهل المسجد: آمين» (٧٦).

نعم هذه هي خدیجة بنت خویلد التي آمنت بالرسول وصدقت به وآزرته في شدائده ومصائبها، فكان علیه السلام كلما سمع من المشرکین ما يؤذیه من تکذیب له أو افتراء عليه خفف الله عليه بخدیجة حيث كانت تلاقيه بعطفها وحنانها وصدقها وخالص عنایتها وحبها؛ لذا أکرمها الله وأجزاها بحبه لها وتقديره واحترامه في حياتها ومماتها، حيث إنه ما إن يذکرها أحد بسوء إلا وغضب لشدة حبه لها، وكيف لا وهي من آمنت به إذ کفر الناس؟! وصدقته إذ کذبه الناس، وواسته في مالها إذ حرمه الناس، ورزقه الله منها أولاداً إذ حرمه أولاد الناس.

الخاتمة:

وأخيراً لقد أحسنت خدیجة ع عاليهما السلام عشرتها مع النبي ﷺ، فقد أدت كامل

وظائفها الزوجية بصورتها المثلثي، كما أنها كانت من السابقين في خدمة الدين، حيث نهضت بمهمة الرسول والرسالة، وكان لها الدور الأبرز في أصعب المراحل من مراحل الإسلام، حيث كانت العالمة الفارقة في التضحية والبذل في سبيل الدين والرسالة، فعرفت بالتصديق والتسليم والتأييد والفاء لا تنافسها امرأة في ذلك، فهنئاً لها بما بذلت، وهنئاً لها بما اتصفت به من مكارم وفضائل، حيث شهد لها بالإخلاص والوفاء والعفة كما شهد لها بالشرف والهيبة والسخاء، فكانت حفاظاً خيراً النساء.

ومضت بعدها على عاقبة حسنة راضيةً مرضيةً، وخلفت ورائها تاريخاً حافلاً سطرت خلاله مثال المرأة المؤمنة الصالحة المجاهدة.

المواهش:

- (١) الطبقات الكبرى/الجزء الأول/الإنترنت.
- (٢) البداية والنهاية/ج ٢ ص ٣٦.
- (٣) موسوعة المصطفى والعترة/ص ٨١.
- (٤) سيد المرسلين/ج ١، ص ٢٥٢.
- (٥) موسوعة التاريخ الإسلامي/ج ١ ص ٣٦.
- (٦) البداية والنهاية/ج ٢، ص ٣٦.
- (٧) سيد المرسلين/ج ١، ص ٢٥٥.
- (٨) سيد المرسلين/ج ١، ص ٢٥٧.
- (٩) المصدر السابق.
- (١٠) موسوعة التاريخ الإسلامي/ج ١، ص ٣٢٨.
- (١١) السيرة النبوية/ج ١، ص ١٩٩.
- (١٢) تاريخ العقوبي/ج ٢، ص ٢١.

- (١٣) سيد المرسلين / ج ١، ص ٢٧٢.
- (١٤) سيرة المصطفى / ص ٥٩.
- (١٥) سيد المرسلين / ج ١، ص ٢٧٣.
- (١٦) تاريخ الطبرى / ج ٢، ص ٤٢٦.
- (١٧) تاريخ اليعقوبى / ج ٢، ص ٢٠.
- (١٨) موسوعة التاريخ الإسلامى / ج ١ ص ٣٢٢.
- (١٩) السيرة النبوية / ج ١ ص ٢٠١، تاريخ الطبرى / ج ٢ ص ٣٥.
- (٢٠) تاريخ اليعقوبى / ج ٢ ص ٢١.
- (٢١) تاريخ الطبرى / ج ٢ ص ٣٦.
- (٢٢) السيرة النبوية / ج ١ ص ٢٠١، تاريخ الطبرى / ج ٢ ص ٣٥.
- (٢٣) هذه الأقوال من موسوعة التاريخ الإسلامى / ج ١ ص ٣٣٦.
- (٢٤) الطبقات الكبرى / ج ٨، الإنترنٽ.
- (٢٥) هذه الأرقام من موسوعة الصحيح من سيرة النبي الأعظم عليهما السلام / ج ٢ ص ١١٦.
- (٢٦) السيرة النبوية / ج ١ ص ٢٠١.
- (٢٧) موسوعة التاريخ الإسلامى / ج ١ ص ٣٣٤.
- (٢٨) سيد المرسلين / ج ١ ص ٢٧٠، نقاً عن بحار الأنوار.
- (٢٩) سيد المرسلين / ج ١ ص ٢٧١، نقاً عن بحار الأنوار نقاً عن كتاب الأنوار للبكري.
- (٣٠) موسوعة التاريخ الإسلامى / ج ١ ص ٣٣٣.
- (٣١) تاريخ الطبرى / ج ٢ ص ٤١١.
- (٣٢) السيرة النبوية / ج ٤ ص ٢٩٣.
- (٣٣) موسوعة التاريخ الإسلامى / ج ١ ص ٣٤٠.
- (٣٤) البداية والنهاية / ج ٢ ص ٣١٧.
- (٣٥) السيرة النبوية / ج ١ ص ٢٠٢.
- (٣٦) السيرة النبوية / ج ١ ص ٢٠٢، ونقل هذا القول أيضاً الطبرى في تاريخه ج ٢ ص ٣٥.
- (٣٧) السيرة النبوية / ج ١ ص ٢٠٢، الحاشية .

- (٣٨) الطبقات الكبرى/ ج ١ - الإنترت.
- (٣٩) تاريخ العقوبي/ ج ٢ ص ٢٠.
- (٤٠) تاريخ العقوبي/ ج ٢ ص ٢٠.
- (٤١) راجع موسوعة التاريخ الإسلامي/ ج ١ ص ٣٤٤.
- (٤٢) راجع نسبه في سيرة ابن هشام/ ج ١ ص ٢٦٤.
- (٤٣) السيرة النبوية/ ج ١ ص ٢٦٦.
- (٤٤) السيرة النبوية/ ج ١ ص ٢٦٦.
- (٤٥) المصدر السابق.
- (٤٦) موسوعة التاريخ الإسلامي/ ج ١ ص ٣٦٣.
- (٤٧) ذكر هذا التاريخ الميلادي في «حياة محمد عليهما السلام» باقر شريف القرشي ج ١ ص ١٢٤، «وكان في أول فبراير سنة ٦١٠ م)، كما ضبطه محمود باشا الفلكي، «لكن هذا التاريخ بعد تحويله إلى التاريخ الهجري يصادف السابع عشر من شهر رمضان، وهذا ما يذهب إليه بعض علماء العامة، لكن علماء الشيعة أجمعوا على أن يوم المبعث هو يوم السابع والعشرين من شهر رجب لما أخذوه من روایات أهل البيت عليهما السلام».
- (٤٨) موسوعة التاريخ الإسلامي/ ج ١ ص ٣٨٠.
- (٤٩) موسوعة التاريخ الإسلامي/ ج ١ ص ٣٨٠.
- (٥٠) البداية والنهاية/ ج ٣ ص ٣.
- (٥١) سورة العلق، الآيات: من ١ إلى ٥.
- (٥٢) موسوعة التاريخ الإسلامي/ ج ١ ص ٣٨٢. والسورة سورة العلق من ١ إلى ٥.
- (٥٣) السيرة النبوية/ ج ١ ص ٢٥٠.
- (٥٤) البداية والنهاية/ ج ٣ ص ١٤.
- (٥٥) سيد المرسلين/ ج ١ ص ٣٥٤.
- (٥٦) موسوعة التاريخ الإسلامي/ ج ١ ص ٣٨٧.
- (٥٧) مجمع الزوائد ونبأ الفوائد/ ج ٩، الإنترت. وذكر الصلاة ورد في مصادر كثيرة منها: تاريخ الطبرى - ج ٢ ص ٥٥، السيرة النبوية - ج ١ ص ٢٥٩.

(٥٨) موسوعة المصطفى والعترة/ ج ١ ص ٨٢

(٥٩) تاريخ العقوبي/ ج ٢ ص ٣١.

(٦٠) سيد المرسلين/ ج ١ ص ٢٦٥.

(٦١) أسيد المرسلين/ ج ١ ص ٢٦٧.

(٦٢) الإصابة في تمييز الصحابة/ ج ٧ ص ١، الإنترت.

(٦٣) تاريخ العقوبي/ ج ٢ ص ٣٥.

(٦٤) المصدر السابق.

(٦٥) سيد المرسلين/ ج ١ ص ٢٦١.

(٦٦) المصدر السابق.

(٦٧) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ ج ٩، الإنترت.

(٦٨) المصدر السابق.

(٦٩) سيد المرسلين/ ج ١ ص ٢٦٣.

(٧٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ ج ٩، الإنترت.

(٧١) المصدر السابق.

(٧٢) سيد المرسلين/ ج ١ ص ٢٦٣.

(٧٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ ج ٩، الإنترت.

(٧٤) أعلام النساء المؤمنات.

(٧٥) أعلام النساء المؤمنات.

(٧٦) سيد المرسلين/ ج ١ ص ٢٦٩.

الهالِم الربانِي

الشیخ میثم البحارانی

(۱۲۹۰ هـ - ۱۲۱۳ م) (۱۲۹۰ م - ۶۸۹ هـ)

(القسم الثاني)

فاضل عبد الجليل الزاكى

لم يكن البناء على تقسيم المقال إلى قسمين؛ حيث إنه كُتب في ملف واحد، ولكن حجم المقال حَتَّم على رئاسة التحرير أن تقسمه إلى قسمين، وقد نُشر القسم الأول منه في العدد السابق، وها نحن نورد في هذا العدد القسم الثاني منه على أمل أن تؤدي بذلك بعض ما لعلمائنا من حقوق في أعناقنا.

فقهياته:

المعروف أن الشيخ ميثم البحريني بُرِز في علوم اللغة والكلام والفلسفة، فهل كان فقيهاً أيضاً؟ أم أنه لم يكن له باعٌ في الفقه؟
إذا أردنا أن نقِيمُ الشیخ میثم من خلال مؤلفاته التي وصلتنا ربما يمكننا القول بأن اهتمامات الشیخ میثم كانت مقصورةً على علوم اللغة والعلوم العقلية، ولم يكن له اهتمامٌ واضحٌ بالفقه، إلا أن هذه النظرة سرعان ما تتبدل إذا ما رأينا بعض المعطيات الأخرى التي تشير إلى تقدمه في الفقه أيضاً، ورغم شُحّة المصادر التي بآيدينا إلا أنها سعينا للملمة ما قد ينفع في البين، فمن ذلك:

- ما ذكروه من أن (نصر الدين الطوسي) تلمذ عليه في الفقه، أو استجاز منه في العلوم النقلية على ما تقدمت الإشارة إليه.

- وصفه ابن الفوطى - الذى كان معاصرًا له والتلى به - بـ(الأديب الفقيه)^(١).

- وصفه الشيخ أحمد بن أبي عبد الله بلکو بن أبي طالب الآوى كما تقدم في ذيل نسخة قواعد المرام بقوله: «...علامة الدهر، مفتى الطوائف...»، إذ لا يقال لغير الفقيه(مفتى).

كما أن المتبع في المصادر الفقهية يجد أن العلماء نقلوا عنه بعض الآراء الفقهية وناقشوها، مما يدل على اعتقادهم برأيه واهتمامهم به، فمن ضمن المسائل التي ذكرها في كتبه أو نسبت إليه:

١- رأيه في أفضلية الركوب أو المشي في طريق الحج: حيث نقل بعض الآراء ثم قال: «والحق التفصيل، فيقال: من سهل عليه المشي فهو أفضل فإن أضعف وأدى إلى سوء خلق وقصور عن العمل فالركوب أفضل؛ لأن المقصود توفر القوى على ذكر الله وعدم المشتغلات عنه»^(٢)، وقد أشار إليه جملةً ممَّنْ تأخر عنه كما في المسالك والمدارك والحدائق.

٢- رأيه في صلاة الجمعة: حيث ذكر صاحب الحدائق عن الشيخ أحمد بن محمد بن يوسف المقابي البحري أنه نقل عن الشيخ ميثم البحري ذهابه إلى القول بالوجوب العيني لصلاة الجمعة^(٣).

٣- رأيه في بيع أم الولد: نسب إليه السيد جواد العاملي صاحب مفتاح الكرامة القول بجواز بيع أم الولد مع وجود ولدها حتى مع إيفاء ثمنها أو القدرة عليه، وهو رأيٌ تفرد به الشيخ ميثم البحري^(٤).

٤- رأيه في اشتراط الجهاد الابتدائي بإذن الإمام: حيث قال في شرح نهج البلاغة: «وقوله: (ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم). نهي عن الجهاد من غير أحد من الأئمة من ولده بعده، وذلك عند عدم قيام من يقوم منهم لطلب الأمر، فإنه لا يجوز إجراء هذه الحركات إلا بإشارة من إمام الوقت»^(٥).

أشعاره:

رغم أن الشيخ ميثم البحرياني كان أدبياً كما وصفه معاصره ابن الفوطي^(٦)، كما أنه كان مطلعاً على أشعار العرب ولغاتهم كما يظهر ذلك بوضوح لكل من تتبع كتبه ومصنفاته، إلا أن ما وصلنا من شعره لا يكاد يذكر، ولا ندري هل كان قليل الشعر أم كثير؟ وهل جمعت أشعاره في ديوان كثير من الشعراء أم لا؟ وعلى أي حال فقد غيّبت المصادرُ شخصية الشيخ ميثم كشاعر على حساب إبراز الجوانب الأخرى من شخصيته، فكل الذي وصلنا من شعره لا يتجاوز الآيات القليلة التالية:

١- البيتين الذين ذكرنا في قصته المشهورة (كل يا كمّي)^(٧) وسيأتي التعرض

لهذه القصة لاحقاً:

«من البحر الطويل»

طلبتُ فنون العلم أبغى بها العلا	فقصرّ بي عما سموتُ به القلُ
تبين لي أن المحسن كلها	فروع وأن المال فيها هو الأصل

٢- البيتين الذين صدر بهما رسالته التي كتبها إلى الخواجة نصير الدين الطوسي^(٨)، ومن هذين البيتين يظهر أن هذه الرسالة جوابٌ على رسالة وصلته:

«من البحر الطويل»

أتاني كتاب لو تمرّ نسيمه
بقر لأحياناً شرُّه ساكنَ القبر
ولكنه تجديد ذكر على ذكر
فجدّد لي شوقاً وما كنت ناسياً

٣- الأبيات التي ختم بها رسالته إلى الخواجة نصير الدين الطوسي^(٩)، حيث
قال: «ومما سمحت به الطبيعة الفاقرة، وساحت به القرحة الفاترة بعد رفع هذه
القصة في المخيلات المحرّكات هو هذه الأبيات:

«من البحر السريع»

أقلقني الخطبُ فوجّهته
إلى كريم الطبع نجل الكرام
الباسط الجود وبحر الندى
والمنهل العذب وبدر التمام
والناصر الحق وأربابه
والناشر الأرواح من طيّها
والعلم النحرير والمرتضى
والعلم المنشور والمصطفى
خليفة الله على خلقه
أعني نصير الدين شمس العلي
أزمه الملك بتديبه
يا من يباريه على شاؤه
فعش حميداً يا غياث الورى
منظومة أحسنْ بذاك النظام
أقصر فلن تبلغ ذاك المقام
ما عسعس الليلُ وغنى الحمام

وحقّ الهمّة يا ذا الحجى^(١١)
 وانتهز الفرصة واشف السّقام
 صادقة تحيي رميم العظام
 أو غرّد القمرى ألفا سلام
 وبدر تمّ ما أجنّ الظلام
 لهم وفي قلبي لهيب الغرام
 أراهم قبل حلول الحمام
 وإن شربى من رحيق المرام
 قطّان أو طان بتلك الخيام
 قد ذاب وجداً في هواكم وهام
 فإنّ في الوصل تمام المرام
 وأنتمُ أقمارُ ساري الظلام
 من كلّ مكروه ونقص وذام^(١٢)
 يا عصمة الها رب والمستظام

واعمد على الله على نية
 عليك مني ما حدا سائق
 ومن حوى المجلس من فاضلٍ
 فإن شوقي أبداً دائم
 حبستُ عن حبي فيا ليني
 فإنّ عيشي بينهم ناظر
 حضّار قلبي لم يزالوا به
 أحّبة القلب ارحموا عاشقاً
 وواصلوا حبلي ولا تقطعوا
 أنتم شموس للورى طلّع
 حماكم الله وآواكم
 ولا أرى الدهر لكم عيه

بقي أن نُشير إلى أن الحر العامل^{عليه السلام} أورد في أمل الآمل^(١٣) قصيدةً من عشرة أبيات ونسبها إلى الشيخ شمس الدين محفوظ بن وشاح بن محمد الحلبي الأسدية، وذكر أنه قالها في رثاء أستاذه المحقق الحلبي المتوفى سنة ٦٧٦هـ، ونقلتها المصادر المتأخرة عنه، وأبياتها العشرة تشبه إلى حد كبير أبيات هذه القصيدة التي ذكرناها، بل تكاد تتطابق معها في بعض أبياتها، ولا نعرف على وجه الدقة ما هو المصدر

الذي اعتمدته الحر العاملية في نقله لتلك الأبيات، ولكن المفروض أن الشيخ ميثم كتب هذه القصيدة في سنة ٦٧٢هـ أو قبل ذلك؛ لأنه أرسلها إلى نصير الدين الطوسي المتوفى في ١٨ ذي الحجة سنة ٦٧٢هـ، وعليه فالأقرب أن يكون الشيخ محفوظ بن وشاح قد اقتبس أبيات الشيخ ميثم، إذ أن وفاة المحقق الحلبي كانت سنة ٦٧٦هـ.

وهناك أبيات أخرى ورد بعضها في القصة المشهورة (كل يا كمي)، وبعضها الآخر في رسالة الشيخ ميثم التي بعثها إلى الخواجة نصير الدين الطوسي، وربما يتوهם البعض أنها للشيخ البحرياني، ولكن جميع تلك الأبيات قد تحققت من نسبتها إلى غيره من الشعراء الذين سبقوه، فهو إنما ذكرها من باب الاستثناء، ولم نعثر من شعره الثابت له سوى على هذه الأبيات التي ذكرناها هنا.

ورغم قلة ما وصلنا من أشعار الشيخ ميثم البحرياني إلا أن هذا المقدار يكشف عن شاعر متميز، في شعره جزالة وحسن معنى وبعد عن التكلف، وقد انطبع على أبياته نظرات الحكماء، وأنفاس الأديب.

علاقاته بشخصيات المجتمع:

أشرنا فيما سبق إلى أسماء أساتذة الشيخ ميثم البحرياني وتلامذته، وبقي أن نشير إلى باقي الأشخاص الذين اتصل بهم الشيخ ميثم؛ وذلك من أجل رسم صورة أوضح عن البيئة التي عاش فيها، ويمكن الإشارة هنا إلى عدد من الشخصيات:

١- الشيخ نجم الدين جعفر بن الحسن بن يحيى بن الحسن بن سعيد الحلبي: وهو المعروف بـ(المحقق الحلبي)، ولد حدود سنة ٦٠٢هـ ودرس عند

والده، وعند الشيخ نجيب الدين محمد بن نما الحلبي، والسيد فخار بن معد الموسوي وغيرهم، وتخرج على يده جمعٌ غفيرٌ من الأعلام، أبرزهم ابن أخيه العلامة الحلبي، والحسن بن داود الحلبي، والسيد عبد الكري姆 بن طاووس، وصفه العلامة الحلبي بقوله: «وهذا الشيخ كان أفضل أهل عصره في الفقه»، وألف الكثير من المصنفات القيمة كـ(شرائع الإسلام) وـ(المعتبر) وـ(معارج الأصول) وغيرها، توفي في ١٣٢٦هـ ودفن بالحلة، وقد نص الشيخ فخر الدين الطريحي على أنه كان للشيخ ميشم البحرياني مجلس عند المحقق الحلبي، قال: «وله مجلس عند المحقق الشيخ نجم الدين عليه السلام ومحاجة له، وأقر له بالفضل»^(١٤)، وهذا الأمر قد يبدو مستغرباً لو افترضنا أن الشيخ ميشم ولد سنة ٦٣٦هـ، وأما بناءً على ما رجحناه من أن ولادته في حدود سنة ٦١٠هـ، فليس فيه أي غرابة.

٢- عز الدين عبد العزيز بن جعفر النيسابوري: كان عالماً وأديباً شاعراً، ولد سنة ٦٢٦هـ، وكان كثير السفر حتى عد من الرجال، وبعد سقوط الدولة العباسية ولد على البصرة وماجاورها، وكان حسن السيرة، كثير الإحسان إلى العلوين، مقرباً للعلماء وأرباب القلم، ويظهر من مسائله التي كتبها إلى المحقق الحلبي أنه كان فاضلاً؛ حيث سأله عن أدلة بعض الأحكام فألف المحقق في جوابه (الرسالة العزيّة)، مات في منتصف شهر ذي القعدة سنة ٦٧٢هـ، ودفن عند أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف، وقد اتصل به الشيخ ميشم فطلب منه تأليف بعض الكتب، فألف له عدداً من كتبه التي أثني عليه في مقدمتها، منها: (قواعد المرام) وـ(النجاة يوم القيمة) وـ(العزية في شرح المقالة النصيرية).

٣- علاء الدين عطا ملك بن محمد بن محمد بن علي

الجويني: ولد في ١٠ ربيع الأول سنة ٦٢٣هـ، وولي العراق سنة ٦٥٧هـ، قال عنه ابن الفوطي «كان عالماً عادلاً ضابطاً حافظاً عارفاً بقوانين الملك والدولة»^(١٥)، وله مصنفات منها: (سلسلة الإخوان) و(جهان گشای)، وهو الذي أجرى ماء الفرات إلى النجف الأشرف، واستمر في ولايته إلى أن نكبه المغول في حوالي سنة ٦٨٠هـ، وبعد أن تولى الحكم أحمد بن هولاكو المغولي، في سنة ٦٨١هـ انصلح حال عطا ملك ووعده أحمد بن هولاكو بإعادته إلى عمله ببغداد، ولكنه مات قبل أن يعود إليه، وقد اختلف في تاريخ وفاته فقيل إنه توفي في ٤ ذي الحجة ٦٨١هـ^(١٦)، وقيل بل إنه عاش إلى سنة ٦٨٣هـ^(١٧)، وقد اتصل به الشيخ ميثم فطلب منه تأليف شرح نهج البلاغة، فألف له (مصابح السالكين) وأثنى عليه في مقدمته، وقد فرغ من شرحه في ٦٧٧هـ، كما ألف له (اختيار مصابح السالكين) الذي فرغ منه في شوال ٦٨١هـ، فيبدو أنه ابتدأ بهذا الكتاب قبل نكبة عطا ملك الجويني على يد المغول، وفرغ منه حين انصلح حاله معهم، والظاهر أن عطا ملك الجويني لم يتمكن من مشاهدة هذا الكتاب، حيث توفي بعد ذلك بشهرين خارج العراق.

٤- الأمير نظام الدين منصور^(١٨) بن عطا ملك بن محمد الجويني: يكنى أبا المظفر، كانت أمه - قبل أن تتزوج بأبيه - زوجة لأحمد ابن الخليفة المستعصم العباسى (آخر خلفائهم)، ولد في حدود سنة ٦٥٩هـ، عاش في كنف والده الذي كان حاكماً ببغداد، وتلمنذ على خيرة المدرسين، كان مهتماً بالأدب فقرأ مقامات الحريري، وذكر الشيخ ميثم بأن والده (عطاط ملك) ألزمته هو وأخاه بمطالعة كتاب نهج البلاغة والتمسك به^(١٩)، قُتل شاباً في رجب سنة ٦٨٨هـ كما نص على ذلك الذهبي^(٢٠)، وقد توأنت علاقة الشيخ ميثم بوالده فألف له (مصابح السالكين)

وتوثقت علاقته بالابن أيضاً فألف له كتاب (تجريد البلاغة) وقد وصفه فيه بـ«الأمير المعظم والصدر المكرم، العالم العادل، الفاضل الكامل، نظام الدنيا والدين أبو المظفر منصور ابن الصاحب الأعظم عطا ملك محمد الجويني».

٥- أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد ابن الفوطي: ولد ببغداد سنة ٦٤٢ هـ، وأسره المغول في واقعة بغداد، ثم لازم نصير الدين الطوسي، وانتقل معه إلى مراغة حيث عمل خازناً لمكتبتها الكبرى، وبقي هناك مدةً مد IDEA ثم أعاده عطا ملك الجويني إلى بغداد بعد سنة ٦٧٧ هـ، وولاه على خزانة كتب المستنصرية، وألف في التاريخ والأدب، ومن أهم مؤلفاته (مجمع الآداب) و(الحوادث الجامعية)، عاش إلى سنة ٧٢٣ هـ حيث توفي ببغداد، وقد صرّح ابن الفوطي أنه التقى بالشيخ ميشم في بغداد، وأنه سأله عن مشايخه، وأنه استنسخ للشيخ ميشم بعض الرسائل^(٢١)، وسنتقل لاحقاً نص كلامه كاماً.

٦- صفي الدين علي بن الحسن بن محمد ابن الأعسر الحسيني: لم تترجم له أكثر المصادر، إلا أن الذي نعرفه من حاله أنه كان ببغداد، وذكر في كتاب الأنساب هو وأخوه رضي الدين محمد^(٢٢)، وصفه أحد معاصريه بقوله: «وعلي هذا هو السيد الفاضل العلامة الأولد الكريم الخلق، لا يزال مالفاً بجماعة من أهل العلم، يسكن مدينة السلام، مشغلاً بالعلوم والفضائل، وله أخ اسمه محمد، رجل حسن حير ذوأمانة من خيار التجار»^(٢٣)، وقد صرّح ابن الفوطي بأن الشيخ ميشم أقام في دار هذا السيد، قال: «وأقام في دار السيد المنعم الفاضل صفي الدين بن الأعسر الحسيني»^(٢٤).

أسفاره:

لم تشر المصادر إلى البلدان التي زارها الشيخ ميثم، ولكن يمكن لنا الاستفادة من بعض الإشارات لتكوين نظرة إجمالية، فالذى يظهر أن الشيخ ميثم بدأ دراسته في البحرين حيث تلمنذ فيها على الشيخ علي بن سليمان البحرياني، كما استقر في مدینيتي الحلة وبغداد فترة من الزمن ما بين سنة ٦٢٨هـ إلى سنة ٦٤٠هـ تقريباً، حيث تلمنذ على السيد فخار بن معن الموسوي، وعلى الشيخ نجيب الدين محمد بن نما الحلي، وعلى الشيخ أسعد بن عبد القاهر الأصفهاني، وفي هذه الفترة بدأت علاقته بالخواجة نصیر الدین الطوسي ترنسخ من خلال دراستهما لدى الشيخ أسعد بن عبد القاهر.

ومن المرجح أنه رجع إلى البحرين واستقر فيها مدةً من الزمن، ربما في أواسط القرن السابع الهجري، وربما في هذه الفترة حصلت معه قصة (كل يا كمي)، فعاد إلى العراق والتقي بعلمائها واستقر فيها فترةً من الزمن، زار خلالها مدينة البصرة حيث التقى بحاكمها (عز الدين عبد العزيز بن جعفر النيسابوري) وألف له بعضاً من كتبه مثل (قواعد المرام) و(النجاة في القيامة)، وزار بغداد في العقد الثامن ما بين سنة ٦٧٧هـ وسنة ٦٨١هـ، وخلالها التقى بأسرة الجويني وألف لهم مجموعة من كتبه كشرح نهج البلاغة، وكتاب (تجريد البلاغة) وغيرها، كما التقى خلالها بابن الفوطي حيث ذكره في كتابه (مجمع الآداب)، وأشار إلى أن الشيخ ميثم كان نازلاً في دار السيد صفي الدين ابن الأعرس.

ولعله خلال بقائه في بغداد هذه الفترة أيضاً تلمنذ عليه فيها السيد عبد الكريم بن طاووس والعلامة الحلي، وإن كان الأرجح أنهما تلمنذا عليه قبل ذلك في الحلة.

ولا نعرف بالضبط متى رجع الشيخ ميثم من العراق إلى البحرين، ولعل ذلك حصل بعد سنة ٦٨١هـ، وربما كان بعد ذلك يتتردد بين العراق والبحرين، إذ نجد أنه يكتب إجازته لתלמידه ابن حمّاد في سنة ٦٨٧هـ، والأرجح أن ذلك كان في العراق؛ إذ لم يُنقل لنا أن ابن حمّاد سافر إلى البحرين، إلا أن الشيخ ميثم عاد في آخر عمره إلى البحرين حيث مات ودفن فيها على ما سيأتي.

قصة (كُلْ يَا كُمِّي):

هناك من يشير إلى أن الشيخ ميثم كان متزوجاً عن الناس، فلم يكن له أي نشاط في المجتمع، ويستشهد على ذلك بالقصة المعروفة وهي قصة (كل ياكمي)، وهذه القصة أوردها السيد نور الله التستري في مجالس المؤمنين، كما أوردها بعده الشيخ سليمان الماحوزي في كتاب (السلافة البهية) وبينهما بعض الاختلافات اليسيرة، ونحن هنا ننقل نص ما أورده الماحوزي في كتابه المذكور:

«ومن آثر طبعه اللطيف وخلقه الشريف على ما حكاه في مجالس المؤمنين أنه (عطر الله مرقده) في أوائل الحال كان معتكفاً في زاوية العزلة والخمول، مشغلاً بتحقيق حقائق الفروع والأصول، فكتب إليه فضلاء الحلة والعراق صحفة تحتوي على عذله وملامته على هذه الأخلاق وقالوا: العجب منك! إنك على شدة مهارتك في جميع العلوم والمعارف وحدائقك في تحقيق الحقائق وإبداع اللطائف قاطن في طلول الاعتزال ومخيم في زاوية الخمول الموجب لخmod نار الكمال. فكتب في جوابهم هذه الأبيات:

طلبت فنون العلم أبغى بها العلا
قصر بي عما سموت به القل

فروع وأن المال فيها هو الأصل
تبين لي أن المحاسن كلها

فَلَمَا وَصَلَتْ هَذِهِ الْأَيَّاتِ إِلَيْهِمْ كَتَبُوا إِلَيْهِ: إِنَّكَ أَخْطَأْتَ فِي ذَلِكَ خَطَأً ظَاهِرًا
وَحَكَمْتَ بِأَصَالَةِ الْمَالِ عَجِيبٌ، بَلْ أَقْلَبَ تُصْبِّ، فَكَتَبَ فِي جَوَابِهِمْ هَذِهِ الْأَيَّاتِ
وَهِيَ لِبَعْضِ الشُّعُّرِ الْمُتَقْدِمِينَ^(٢٥):

مَا الْمَرْءُ إِلَّا بِأَصْغِرِيهِ ^(٢٦)	قَدْ قَالَ قَوْمٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ
مَا الْمَرْءُ إِلَّا بِدْرَهْمِيهِ	فَقَلَتْ قَوْلُ امْرَءٍ حَكِيمٍ
لَمْ تَلْفَتْ عَرْسَهُ إِلَيْهِ	مِنْ لَمْ يَكُنْ دَرْهَمٌ لَدِيهِ

ثُمَّ إِنَّهُ (عَطَرُ اللَّهِ مُرْقَدُهُ) لَمَّا عَلِمَ أَنَّ مَجْرِدَ الْمَرَاسِلَاتِ وَالْمَكَاتِبَ لَا تَنْقَعُ
الْغَلِيلَ وَلَا تَشْفِي الْعَلِيلَ تَوْجِهَ إِلَى الْعَرَاقِ لِزِيَارَةِ الْأَئِمَّةِ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَإِقَامَةِ
الْحَجَّةِ عَلَى الطَّاعُونَيْنِ، ثُمَّ إِنَّهُ بَعْدَ وَصْولِهِ إِلَى تِلْكَ الْمَشَاهِدِ الْعُلِيَّةِ لِبَسِ ثِيَابًا خَشْنَةً
عَتِيقَةً، وَتَرْيَانًا بِهِيَةِ رَثَّةِ الْإِطْرَاحِ وَالْاحْتِقَارِ خَلِيقَةً، وَدَخَلَ بَعْضَ مَدَارِسِ الْعَرَاقِ
الْمَشْحُونَةِ بِالْعُلَمَاءِ وَالْحَذاقِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ فَرِدٌ بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْاسْتِقْبَالِ
وَالْامْتِنَاعِ التَّامِ، فَجَلَسَ (عَطَرُ اللَّهِ مُرْقَدُهُ) فِي صَفِ النَّعَالِ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ
وَلَمْ يَقْضُوا وَاجِبَ حَقِّهِ، وَفِي أَثْنَاءِ الْمَبَاحَثَةِ وَقَعَتْ بَيْنَهُمْ مَسْأَلَةً مُشَكِّلَةً دُقِيقَةً كَلَّتْ
عَنْهَا أَفْهَامُهُمْ وَزَلَّتْ فِيهَا أَقْدَامُهُمْ، فَأَجَابَ (رُوحُ اللَّهِ تَعَالَى رُوحُهُ وَتَابِعُ فَتْوَحِهِ)
بِتَسْعَةِ جَوَابَاتِهِ فِي غَايَةِ الْجُودَةِ وَالدِّقَّةِ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ بِطَرِيقِ السُّخْرِيَّةِ وَالْتَّهْكِمِ: يَا
حَلِيلَكَ طَالِبُ عِلْمٍ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَحْضَرَ الطَّعَامَ فَلَمْ يَؤْكِلُوهُ قَبْلَ أَفْرَدُوهُ بَشِيءٍ
قَلِيلٍ فِي طَرْفِ عَلَى حَدَّهُ وَاجْتَمَعُوا هُمْ عَلَى الْمَائِدَةِ، فَلَمَّا انْقَضَى ذَلِكَ الْمَجْلِسِ
قَامَ قَبْلَهُ.

ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي إِلَيْهِمْ، وَقَدْ لَبِسَ مَلَابِسَ فَاخِرَةً وَهِيَةَ الْأَكْمَامِ وَاسِعَةً

و عمامة كبيرة رائقة فلما قرب وسلم عليهم قاموا إليه تعظيمًا واستقبلوه تكريماً وبالغوا في ملاطفته ومطاييته فاجتهدوا في تكريمه و توقيره، وأجلسوه في صدر ذلك المجلس المشحون بالأفضل المحققين والأكابر المدققين. ولما شرعوا في المباحثة والمذاكرة تكلم معهم بكلمات عليلة لا وجه لها عقلًا ولا شرعاً، فقابلوا كلماته العليلة بالتحسین والتسلیم والإذعان على وجه التعظیم، فلما حضرت مائدة الطعام بادروا معه بأنواع الأدب، فألقى الشيخ قَدْرُهُ في ذلك الطعام مستعثراً على أولئك الأعلام وقال: كل يا كمي، فلما شهدوا ذلك الحال العجيبة أخذدوا في التعجب والاستغراب، واستفسروه قَدْرُهُ عن معنى هذا الخطاب، فأجاب (عطر الله مرقه): إنكم إنما أتيتم بهذه الأطعمة النفيسة لأجل أكمامي الواسعة لا للنفس القدسية اللامعة وإلا فأنا صاحبكم بالأمس، وما رأيت تعظيمًا ولا تكريماً ولا منه عيناً ولا أثراً، إني جئتكم أمس بهيئة الفقراء وسجية العلماء، واليوم جئتكم بلباس الجبارين وتكلمت بكلام الجاهلين، فقد رجحتم الجهالة على العلم والغنى على الفقر، وأنا صاحب الآيات التي في أصالة المال وفرعية صفات الكمال التي أرسلتها إليكم وعرضتها عليكم، وقابلتموها بالتحطئة وزعمتم انعکاس القضية، فاعترف الجماعة بالخطأ في تحطتهم، واعتذرلوا مما صدر منهم من التقصير في شأنه قَدْرُهُ ^(٢٧).

ونحن لا نعرف مصدراً أورد هذه القصة قبل السيد نور الله التستري (توفي سنة ١٠١٩هـ) الذي أوردها في كتابه (مجالس المؤمنين) المكتوب باللغة الفارسية، وهو متاخر عن الشيخ ميثم بعده قرون، نعم الشيخ البهائي (المعاصر للتستري) أورد الآيات الأولى في كشكوله ناسباً إليها إلى الشيخ ميثم البحرياني ^(٢٨)، ونکاد نطمئن

بأن مثل هذه القصص إذا ما تناقلتها الألسن وتطاول بها الزمان فإنها قد لا تخلي من بعض المبالغات، وهناك عدة نقاط يمكن التأمل فيها في هذه القصة، ولسنا هنا بصدور مناقشتها، ولكن نريد التنبيه على ثلاث نقاط:

١- إن تقييم الإنسان من خلال ماله ووجاهته الاجتماعية مخالفٌ للخلق الإسلامي الذي حث عليه الشريعة الغراء، إلا أنه - ومع الأسف الشديد - لا يكاد يخلو منه مجتمعٌ من المجتمعات، ورغم أن الحوزات العلمية ليست استثناءً من هذه القاعدة، ولكن من الواضح أن القصة لم تخلُ من مبالغاتٍ ظاهرةٍ لكل من يتأمل في أسلوب سردها.

٢- إن المفهوم من كلام الشيخ ميشم أن عامة الناس بطبعهم يقيّمون الشخص بقدر ما يملك من أموال وجاه، فكأنه يتشكى من هذه الحالة التي يتعامل بها الناس حيث لا يقدرون الإنسان لكونه إنساناً، ولا يُفهم من كلامه أنه يُقرّهم على هذا السلوك؛ ولهذا أبدى ازعاجه من هذا التعامل وقال: «كل يا كمي».

٣- لم يظهر من القصة بأن الشيخ ميشم كان منزويًّا عن المجتمع، بل على العكس؛ إذ أن العلماء إنما كتبوا إليه يلومونه على انتزاعاته خارج الحواضر العلمية التي كانت في العراق، حيث بقى في البحرين التي لم تكن شهرتها آنذاك تقارن بحوظات العراق، ويبدو أن الشيخ ميشم أراد أن يبين لهم بأنه لم يكن مهتماً للمكان الذي يستقر فيه؛ إذ المهم لديه أن يؤدي وظيفته الشرعية المتمثلة بإرشاد الناس وتوجيههم، ونبههم على أنهم أخطأوا في مقارنتهم بين البحرين وال伊拉克، فهو نظير من يقيس الإنسان من خلال ما يملكه.

الوضع السياسي في عصره:

لمزيد من تسلیط الضوء على الظروف التي عاشها الشيخ میثم البحراني كان لا بد لنا من التعرض للأوضاع السياسية التي عاصرها الشيخ میثم سواء في البحرين، أم في العراق التي قضى فيها فترات متباينة في بدايات شبابه وفي أواخر عمره، وسنقتصر على المقدار اللازم لكي لا نخرج عن موضوعنا الأصلي:

الأوضاع في العراق: لقد شهد الشيخ میثم مرحلتين مهمتين في تاريخ العراق، فالمرحلة الأولى حينما كان شاباً مغترباً لطلب العلم، حيث كانت الدولة العباسية تحضر في أيامه، وكان المغول آنذاك يهددون عاصمة العباسين، بينما الخليفة منغمس في ملذاته التي لم يَصُحُّ منها إلا على وقع الفاجعة حيث سقطت بغداد في أيدي المغول، وقد جرت على إثر ذلك الويلات التي لا حصر ولا عد لها، فكانت بحق مصيبةً آلّمتْ بال المسلمين.

ولكن ما لبثت الأمور أن عادت إلى نصابها بعد أن تولى على العراق (عطًا ملك الجوني) الذي سعى لإحيائها من جديد، فقرب العلماء وبنى المساجد والمدارس، وشق الأنهر وبنى الجسور، كما قام الشيخ نصير الدين الطوسي بجمع الكتب التي نهبت من بغداد وأنشأ مرصد مرااغة، وبنى فيها خزانة الكتب، واستجلب العلماء وقربهم، وأجرى عليهم الأرزاق، فاستعاد العراق عافيته.

ومن الطبيعي والحال هذه أن تكون للشيخ میثم - وبصفته عالماً متميزاً - علاقاته المتينة بآل الجوني، الذين عُرِفوا بحبهم للعلم وأهله، وبيذلهم المال الوفير للحفاظ على مكتبات ومدارس العراق، ومن الطبيعي أيضاً أن تتوثق علاقته القديمة بنصير الدين الطوسي، فهذه العلاقة كانت موجودةً منذ أوائل شبابهما ولابد أن تستوثق

بعد أن تبوأ الطوسي مناصب هامة كمسؤولية إنشاء مرصد مراغة، وتولى شؤون الأوقاف وغيرها، كما كانت للشيخ ميثم علاقته المتميزة بوالى البصرة عبد العزيز بن جعفر النيسابوري، والذي كان من أجلة العلماء.

الأوضاع في البحرين: رغم الغموض الملفت الذي يحيط بتاريخ البحرين خلال الحقب المختلفة، إلا أن هذه الفترة تميزت بمزيد من الغموض، فلا تكاد تجد عن تاريخ هذه الفترة إلا بعض الإشارات هنا وهناك، الأمر الذي يجعل من العسير أحياناً تحديد السنوات وأسماء الحكام بشكل جازم، إلا أن مما لا شك فيه أن الشيخ ميثم وخلال سني شبابه شهد سقوط إحدى الدول التي حكمت البحرين الكبرى بمناطقها الثلاث (الإحساء والقطيف والبحرين) خلال فترة تقارب القرنين من الزمان، ألا وهي الدولة العيونية التي عرفت بولائها لأهل البيت عليهم السلام، ففي هذه الفترة كانت الدولة العيونية تتربع نتيجة الحروب الداخلية بين أجنحة الأسرة العيونية، وما لبثت أن سقطت لتقوم على أنقاضها دولة أخرى هي دولة بني عصفور بن راشد بن عميرة، الذين ابتدأ حكمهم في حوالي سنة ٦٥٠هـ أو قبل ذلك بقليل، ويبدو أن هذه الدولة استمرت إلى ما بعد وفاة الشيخ ميثم، ولم يتضح لنا وجود أي علاقة للشيخ ميثم بحكام أي من الدولتين العيونية أو العصفورية، ولعلهم لم يكونوا من المهتمين بالعلم والعلماء.

ما قيل في حقه:

لقد كان للشيخ ميثم البحرياني مكانته المتميزة في نفوس من عاصره أو تأخر عنه، وقد انعكس ذلك من خلال ما كتبوه عنه، ونحن لن نطيل كثيراً باستعراض

جميع ما قيل فيه، بل سنكتفي بإيراد ما ذكره ابن الفوطي - لاحتوائه على بعض النكات - ومقتضيات مما ذكره الآخرون:

١- **ابن الفوطي**: «كمال الدين أبو الفضل ميثم بن علي بن ميثم البحرياني، الأديب الفقيه، قدم مدينة السلام، وجالسته وسألته عن مشايخه فذكر أنهقرأ على جمال الدين علي بن سليمان البحرياني، وطلب مني رسالته التي كتبها إلى حضرة مولانا نصير الدين فكتبتها له، وصنف وكتب شرح نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، كتبت عنه، وكان ظاهر البشر حسن الأخلاق، وأقام في دار السيد المنعم الفاضل صفي الدين بن الأعسر الحسيني»^(٢٩).

٢- وصفه الشيخ أحمد بن بلکو بن أبي طالب الأوي بقوله: «ملك العلماء، عالمة الدهر، مفتی الطوائف، کاشف الحقائق واللطائف، کمال الملة والدين ميثم بن علي بن ميثم البحرياني تغمده الله برحمته، وأسكنه بحبوحة جنته...»^(٣٠).

٣- وصفه ابن أبي جمهور بقوله: «الشيخ العالم الكامل، محقق علوم المتقدمين والمتاخرین، ومکمل علوم الحكماء والمتكلمين، الشيخ کمال الدين ميثم...»^(٣١).

٤- وصفه المحقق الكركي في إحدى إجازاته بقوله: «الإمام الأجل الأوحد، المحقق العالمة کمال الملة والحق والدين ميثم البحرياني»^(٣٢).

٥- وصفه صاحب المدارك بـ «الإمام الرباني»^(٣٣).

٦- وصفه الشيخ محمد طاهر القمي الشيرازي بقوله: «الشيخ الفاضل الكامل، ثقة الإسلام والمسلمين ميثم بن علي البحرياني»^(٣٤).

٧- وقال عنه الشيخ الحر العاملي: «كان من العلماء الفضلاء المدققين، متكلماً ماهراً، له كتب منها: ...»^(٣٥).

٨- وقال عنه المحقق النراقي: «العلامة الفيلسوف العالم الرباني كمال الدين ميثم...»^(٣٦).

٩- وقال عنه السيد حسن الصدر: «كان له التبرز في جميع العلوم الإسلامية، والحكمة والكلام والأسرار العرفانية، حتى اتفق الكل على إمامته في الكل»^(٣٧).

هذه مقتطفات مما قيل في حق الشيخ ميثم البحرياني، وما دام الكلام عمّا قيل في حقه فقد بقي أن نشير إلى أمرين مهمين نرى ضرورة التنبيه عليهما:

الأمر الأول: أن السيد إعجاز حسين اليسابوري صاحب (كشف الحجب) قال عند حديثه عن كتاب (منهاج العارفين) بأن للشيخ ميثم ميل إلى الصوفية، واستدل على كلامه بأن الشيخ ميثم قال في كتاب (منهاج العارفين) في شرح المائة كلمة: «إن الحق الذي لا ريب فيه هو طريق الموحدين من أهل الله المسمين بالصوفية»^(٣٨).

وهذا الادعاء مما ينبغي التوقف عنده، إذ يلاحظ عليه: أولاً: بأن مراجعتنا للكتاب عدة مرات في النسخة المطبوعة ومن خلال النسخة الكمبيوترية أيضاً أكدت لنا خلو الكتاب من هذه العبارة أو حتى مما يشبهها في المعنى، بل لم نجد فيه أي مدح للصوفية ولو بعبائر أخرى، وهذه النسخة المطبوعة قد حفظت على أربع نسخ خطية، ومن البعيد أن تكون هذه العبارة قد سقطت من جميعها، وعليه فالظاهر أن هذه العبارة أقحمت في النسخة التي اعتمد عليها صاحب (كشف الحجب)، أو أنه حصل لديه التباس مع كتاب آخر لمؤلف آخر.

ثانياً: لو صحت هذه الدعوى لظهرت وبانت في المصنفات الكثيرة التي كتبها الشيخ ميشم وقد وصلنا الكثير منها، ولما اقتصرت على هذا الكتاب، والحال أننا لا نجد لها عيناً ولا أثراً فيما بأيدينا من كتب الشيخ ميشم.

ثالثاً: إن هذه الدعوى لو صحت لانتشرت وذاعت، ولطعن عن عليه فيها كما طعن على غيره من نسب إلى هذا المسلك من علمائنا «رضوان الله عليهم»، في حين أننا لم نجد من أشار إلى هذه الدعوى قبل صاحب كتاب (كشف الحجب) المتوفى سنة ١٢٨٦هـ.

الأمر الثاني: أن المحقق المرحوم الشيخ محمد تقى التستري (المتوفى سنة ١٤١٥هـ) قال: «ولابن ميشم في شرح نهجه خبطات تاريخية، الأصل فيها الرواندي، وهو إمامي إلى العامة أقرب عكس المعتزلي، كما لا يخفى على من راجع شرحهما»^(٣٩).

فهنا دعويان للشيخ التستري رحمه الله:

الأولى: أن ابن ميشم إمامي أقرب إلى العامة بعكس ابن أبي الحديد المعتزلي.

والثانية: أن له خبطات تاريخية الأصل فيها الرواندي.

ونحن سننسى للرد على هاتين الدعويين بحسب ما يسمح به المقام من

الاختصار:

أما الدعوى الأولى فنجد أن الشيخ التستري رحمه الله يأتي بشاهد عليها، فيقول: «ثم الغريب إن ابن أبي الحديد العامي يقول في شرح الشقشيقية: إن ابن الخشابشيخ شيخه مصدق، قال: إن عليا عليه السلام لم يبق في هذه الخطبة أحداً لم يذكره بسوء. ومعناه: أن صديقهم وفاروقهم وذا نوريهم وأم مؤمنيهم وحواريهم وأهل سوراهم

كلهم هالكون. وقال: كون هذه الخطبة كلامه عليه السلام معلوم ككون تلميذه «مصدق» مصدقاً.

ويقول ابن ميثم الإمامي: إن كان قصد من أنكر كون الخطبة كلامه عليه السلام توطئة العوام، وتسكين خواطرهم عن إثارة الفتن والتعصبات الفاسدة، ليستقيم أمر الدين ويكون الكل على نهج واحد، فيظهرروا لهم أنهم لم يكن بين الصحابة الذين هم أشراف المسلمين وساداتهم خلاف ولا نزاع ليقتدي بحالهم من سمع ذلك، كان مقصداً حسناً ونظرأً لطيفاً ... الخ.

إلا أن الرجل لم يكن له لب، ويكتفي لجاجه في تصحيح باطل قاله الرواندي واتّباعه الكيدري في أوهامه، كما يأتي فيه^(٤٠).

وهذا الكلام فيه تحامل واضح وتهجّم صريح على الشيخ ميثم رحمه الله، حيث قال عنه: «لم يكن له لب»، وهو تعبير فجّ يحمل من الجرأة والإساءة إلى مقام العلماء ما لا يخفى، ويمكن الجواب عن دعوه بعده وجوه نذكر بعضها بشيء من الإيجاز الذي يقتضيه المقام:

١- إن الادعاء بأن للشيخ ميثم قرب لمذهب التسنن لم نجده من أحد ممن سبق الشيخ التستري، فهل كانوا - خصوصاً معاصريه - غافلين عن ذلك؟

٢- إن للشيخ ميثم مؤلفات عديدة في الإمامة وإثباتها وتعيين أسماء الأئمة، وقد طبع بعضها، ومثل هذه المصنفات لا تصدر من له ميل أو قرب من مذهب التسنن.

٣- إن الدليل الذي ساقه المحقق التستري لإثبات هذه الدعوى قاصر؛ إذ أن التأمل في عبارة الشيخ ميثم فيما يتعلق بالخطبة الشقشيقية، وقراءتها ضمن سياقها

يدفع هذا الوهم عن كلامه، وللتدليل على ذلك نأتي بعبارته كاملةً رغم طولها لإثبات ما ندعوه، قال: «أما المنكرون لوقوع هذا الكلام منه عليه فيحتمل إنكارهم وجهين:

أحدهما: أن يقصدوا بذلك توطية العوام، وتسكين خواطركم عن إثارة الفتنة والتعصبات الفاسدة ليستقيم أمر الدين ويكون الكل على نهج واحد، فيُظهروا لهم أنه لم يكن بين الصحابة الذين هم أشرف المسلمين وساداتهم خلاف ولا نزاع ليقتدي بهالهم من سمع ذلك، وهذا مقصود حسن ونظر لطيف لو قصد.

والثاني: أن ينكروا ذلك عن اعتقاد أنه لم يكن هناك خلافٌ من الصحابة ولا منافسة في أمر الخلافة، والإنكار على هذا الوجه ظاهر البطلان لا يعتقد إلا جاهل بسماع الأخبار لم يعاشر أحداً من العلماء، فإن أمر السقيفة وما جرى بين الصحابة من الاختلاف وتخلف علي عليه عن البيعة أمرٌ ظاهرٌ لا يُدفع، ومكشوفٌ لا يتقنع، حتى قال أكثر الشيعة إنه لم يبايع أصلاً، ومنهم من قال أنه بايَع بعد ستة أشهر كُرهاً، وقال مخالفهم إنه بايَع بعد أن تخلف في بيته مدةً ودافع طويلاً، وكل ذلك مما تقضي الضرورة معه بوقوع الخلاف والمنافسة بينهم.

والحق أن المنافسة كانت ثابتةً بين علي عليه وبين من تولى أمر الخلافة في زمانه، والشكایة والتظلم الصادر عنه في ذلك أمرٌ معلوم بالتواتر المعنوي؛ فإنّا نعلم بالضرورة أن الألفاظ المنقوله عنه المتضمنة للتظلم والشكایة في أمر الخلافة قد بلغت في الكثرة والشهرة بحيث لا يكون بأسرها كذباً، بل لابد وأن يصدق واحد منها، وأيها صدق ثبتت فيه الشکایة»^(٤١).

ولا يكتفي الشيخ ميثم عليه بذلك بل يضيف إليه ما يؤكّد صدور هذه الخطبة

بعينها (أي الخطبة الشقشيقية) عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَفَافُ، فـيأتي بكلام أبي محمد بن الحشاب الذي ذكره ابن أبي الحديد أيضاً، ثم يرفلنا الشيخ ميثم ببعض الفوائد التي أطّلعت عليها بنفسه، والتي تؤكّد على استحالة نسبة هذه الخطبة إلى الشريف الرضي لأنّها كانت موجودة في بعض المصادر قبل ولادته بزمن طويـل، فنراه يقول: «وأقول: وقد وجدتـها في موضعـين قبل مولدـ الرضـي بمـدة: أحـدـهـما: أنها مـضمـنةـ في كتابـ الإنـصـافـ لأـبيـ جـعـفرـ بنـ قـبـةـ تـلمـيـذـ أـبيـ القـاسـمـ الـكـعـبـيـ، أحـدـ شـيوـخـ المـعـتـلـةـ، وـكـانـ وـفـاتـهـ قـبـلـ مـولـدـ الرـضـيـ. الثـانـيـ: أـنيـ وـجـدتـهـ بـنـسـخـةـ عـلـيـهـاـ خـطـ الـوزـيرـ أـبـيـ الـحـسـنـ عـلـيـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ الـفـرـاتـ، وـكـانـ وزـيرـ الـمـقـتـدـرـ بـالـلـهـ، وـذـلـكـ قـبـلـ مـولـدـ الرـضـيـ بـنـيفـ وـسـتـيـنـ سـنـةـ، وـالـذـيـ يـغـلـبـ عـلـيـ ظـنـيـ أـنـ تـلـكـ النـسـخـةـ كـانـتـ كـتـبـتـ قـبـلـ مـولـدـ أـبـيـ الـفـرـاتـ بـمـدـدـةـ»^(٤٢).

هذا كلامـهـ وقدـ نـقـلـنـاهـ رـغـمـ طـولـهـ لـكـيـ لاـ يـقـىـ مـجاـلـ لـلـتـشـكـيـكـ فـيـ مـقـصـودـهـ، إـذـ يـتـضـحـ أـنـ لـمـ يـأـتـ بـالـوـجـهـ الـأـوـلـ لـيـتـبـنـاهـ، وـإـنـمـاـ ذـكـرـهـ مـنـ بـابـ اـسـتـدـرـاجـ الـخـصـمـ كـيـ لـاـ يـنـفـرـ مـنـ قـرـاءـةـ هـذـاـ الـمـوـضـوعـ، وـلـهـذـاـ نـرـاهـ يـؤـكـدـ بـعـدـ ذـلـكـ عـلـيـ أـنـ هـذـاـ الـكـلـامـ مـتـواـتـرـ عـنـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ عـلـيـهـ الـكـافـافـ تـوـاتـرـاـ مـعـنـوـيـاـ، وـيـذـكـرـ قـصـةـ أـبـنـ الـخـشـابـ وـيـضـيـفـ مـاـ يـؤـكـدـ أـنـ هـذـهـ الـخـطـبـةـ كـانـتـ فـيـ الـمـصـادـرـ الـقـدـيمـةـ، الـتـيـ سـبـقـتـ وـلـادـةـ الـشـرـيفـ الرـضـيـ بـفـترـاتـ طـوـيـلـةـ.

إنـ الشـيخـ مـيـثـمـ الـأـلـفـ كـتـابـهـ شـرـحـ نـهـجـ الـبـلـاغـةـ فـيـ مـدـيـنـةـ بـغـدـادـ، وـفـيـ وـقـتـ كـانـتـ الـأـمـةـ فـيـ بـحـاجـةـ إـلـىـ لـمـلـمـةـ جـراـحـهـاـ وـتـوحـيدـ صـفـوفـهـاـ بـعـدـ اـحـتـلـالـ الـمـغـولـ لـبـغـدـادـ سـنـةـ ٦٥٦ـهــ، وـلـمـ يـكـنـ يـرـىـ مـنـ الـصـلـاحـ إـثـارـةـ النـعـرـاتـ وـالـاخـلـافـ الـمـذـهـيـةـ بـيـنـ الـمـسـلـمـيـنـ، وـفـيـ نـفـسـ الـوقـتـ لـمـ يـكـنـ يـعـتـقـدـ بـأـنـ هـذـاـ الـهـدـفـ يـسـوـغـ لـهـ أـوـ لـغـيـرـهـ أـنـ

يُضيّع الحقائق التاريخية الثابتة، أو يُمْعِن الأفكار والعقائد الحقة، ولهذا نراه يتخد خطأً وسطاً في المقام، فيؤكّد على هذه الحقائق ويبرهن عليها بأسلوب قوي مقنع لا يستفز الآخر.

وكان الأجدر بالشيخ التستري رحمه الله أن يتأمل في عبارة الشيخ ميشم قبل أن يتسرع ويعلّق بمثل هذا التعليق المجانب للإنصاف.

وأما الدعوى الثانية: فنرى أن التستري يأتي أيضاً بشاهد على ما يسميه بالخطبات التاريخية التي وقع فيها الشيخ ميشم البحرياني لمتابعته للراوندي، فنراه يقول: «ومما لجّ فيه على تصحيح باطل الراوندي في قوله عليه السلام: «الذى قد شرب فيكم الحرام وجُلد حداً في الإسلام». فقال: «شرب المغيرة الخمر في عهد عمر لما كان والي الكوفة فصلى بالناس سكران وزاد في الركعات وقاء الخمر فشهادوا وجُلد الحد» قال ذلك، مع أنه رأى أن ابن أبي الحديد استهزأ بالراوندي في قوله بذلك، فعلمه كان مخططاً»^(٤٣).

وهذا الكلام كسابقه، يحمل في طياته تحاماً واضحاً وتهجماً صريحاً، ويمكن أن نلاحظ عليه:

١- إنّا وإن سلمنا بكون شارب الخمر هو الوليد بن عقبة وليس المغيرة بن شعبة، كما ونؤكّد على ضرورة تصحيح هذه الأخطاء التاريخية بغض النظر عن من صدرت منه، ولكن ينبغي الالتفات إلى أن مثل هذه الأخطاء قد يقع فيها أي كاتب، مهما كان وزنه، وهذا الأمر لا يحتاج إلى استدلال أو ذكر شواهد عليه، فالأخطاء في الكتب والمصادر كثيرة - سيمانا التاريخية منها - إذ لا يكاد يخلو منها أحدٌ إلا من عصم ربي.

٢- إن تعبير التستري بـ«ومما لجّ فيه على تصحيح باطل الرواندي...»، فيه اتهامٌ واضحٌ بأن الأمر لا يقتصر على خطأ تاريخي وقع فيه الشيخ ميشم البحرياني، بل يتعداه إلى الادعاء بأنه كان متعمداً في ذلك لمناصرة ابن الرواندي الذي كان معروفاً بفساد العقيدة^(٤٤)، وهذه الدعوى تفتقد الدليل، وتخالف ما أمرنا به أهل البيت عليهما السلام من حمل المؤمن على الخير.

٣- لم يذكر الشيخ التستري عليهما السلام ما يدل على أن الشيخ ميشم قد اطلع على ما كتبه ابن أبي الحميد في الرد على ابن الرواندي، ومجرد أسبقية ابن أبي الحميد في كتابة شرحه ببعض سنوات لا تعني بالضرورة أن الشيخ ميشم قد اطلع عليه، بل وحتى لو سلمنا اطلاعه على شرح ابن أبي الحميد، فلا يعني بالضرورة أنه كان ملتفتاً إلى ما كتبه ابن أبي الحميد في هذا الموضوع، ولا يوجد ما يثبت أن الشيخ ميشم أخذ هذه المعلومة الخاطئة من ابن الرواندي، فلعلهما معاً اعتمدَا على مصدر مشترك.

٤- رغم تسليمنا التام بأن الذي شرب الخمر هو الوليد بن عقبة وليس المغيرة، ولكن لنا هنا أن نسأل الشيخ التستري عليهما السلام: ما هي المصلحة المتصورة للشيخ ميشم البحرياني في هذا الموضوع ليتعمد في الملاجحة فيه، فسواءً كان شارب الخمر هو الوليد بن عقبة أم هو المغيرة بن شعبة فالامر سيان بالنسبة للشيخ ميشم، فلا نرى موجباً لحمل خطئه على العمد.

وبهذا لا نرى موجباً لهذا التحامل والتطاول على شخصية علمية خدمت الإسلام وروجت مذهب أهل البيت عليهما السلام، نعم هذا لا يمنع من تصحيح الأخطاء التي قد يقع فيها أي مصنف، إلا أن ذلك لا يكون باللفاظ مثل «فلعله كان مخططاً»، إذ تحتوي مثل هذه الألفاظ على ما لا يخفى على ذوي البصيرة.

كتاب السلافة البهية:

يعتبر كتاب (السلافة البهية في الترجمة المياثمة) أول كتاب يُصنف بشكل مستقل في ترجمة الشيخ ميثم البحرياني، وقد كتبه واحد من أبرز علماء البحرين في عصره، ألا وهو الشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزي المتوفى سنة ١١٢١هـ، وهو عبارة عن كتيب صغير (حوالي ١٢ صفحة) ذكر فيه بعض المعلومات عن الشيخ ميثم مثل كتبه وأسماء بعض أساتذته وسنة وفاته ومكان دفنه، كما أسهب كثيراً في نقل كلمات الإطراط التي قيلت في الشيخ ميثم، وأشار إلى من استفاد من كتبه، ونقل حكاية (كل ياكمي).

وهذا الكتاب في الأصل - وكما يذكر مصنفه - ترجمة عربية لما أورده السيد نور الله التستري في كتاب مجالس المؤمنين الذي كتبه بالفارسية، وقد أضاف إليها الماحوزي بعض الزيادات التي وصفها بالأنيقة، وقد كتبه بناءً على طلب أحد الأصدقاء المخلصين.

ولعل أهم ما قد يلاحظ على الكتاب أنه لم يستقص أسماء كتب الشيخ ميثم، أو أسماء أساتذته، أو تلامذته ومن عاصرهم، إلا أن ذلك - رغم أهميته - لا يفقد الكتاب قيمة ومصدريته بالنسبة للباحثين حول هذه الشخصية العملاقة.

بقي أن نشير إلى أن الشيخ الماحوزي ذكر في آخر كتابه هذا بأنه أنه «في الليلة السابعة والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة (١١٠٤) الرابعة والمائة وألف من الهجرة النبوية بعد ربع الليل تقريباً»^(٤٥).

وفاته:

المعروف من تاريخ وفاته أنها كانت سنة ٦٧٩هـ (حوالي سنة ١٢٨٠م) ، كما ذكر ذلك الشيخ البهائي في كشكوله^(٤٦) ، ونقله عنه الشيخ الماحوزي^(٤٧) والمحدث البحرياني^(٤٨) ، ثم اشتهر هذا التاريخ عند من تأخر عنهم ، ولكن ينبغي التوقف في صحة هذا التاريخ لأحد وجوه ثلاثة :

- ١- أن الشيخ ميشم أنهى كتابه (اختيار مصباح السالكين) في آخر شوال سنة ٦٨١هـ ، كما ذكر هو في آخره^(٤٩) ، مما يعني أنه كان حياً في ذلك الوقت ، وعليه فتكون وفاته بعد سنة ٦٨١هـ .
- ٢- أن الشيخ ميشم البحرياني أجاز تلميذه علي بن الحسين بن حمّاد الواسطي في سنة ٦٨٧هـ كما نص على ذلك الميرزا عبد الله الأفندي في الرياض^(٥٠) ، وعليه فيثبت أنه كان حياً في تلك السنة أي سنة ٦٨٧هـ .
- ٣- أن السيد إعجاز حسين النيسابوري نقل في (كشف الحجب) عن كشكول البهائي بأن وفاة الشيخ ميشم كانت سنة ٦٩٩هـ^(٥١) ، وعليه فربما يكون قد وجد نسخة أخرى من الكشكول أصح من النسخة المتداولة ، فتكون التسعين حرفت إلى السبعين ، فيكون الصحيح أن وفاته في سنة ٦٩٩هـ ، خصوصاً بـ ملاحظة الوجهين السابقين .

هذا ولكن هذا الوجه الثالث غير تام؛ فإن صاحب كتاب (كشف الحجب) ذكر الشيخ ميشم البحرياني مرات عديدة في ضمن كتابه المذكور ، وقد صرحت في عشرة موارد بتاريخ الوفاة ، فذكر في ثمانية موارد بأن وفاته كانت سنة ٦٧٩هـ ولم يشر

إلى مصدر هذا التاريخ^(٥٢)، وفي مورد واحد ذكر أن الوفاة كانت سنة ٦٧٩هـ ناقلاً ذلك عن كشکول الشیخ البهائی^(٥٣)، وفي مورد واحد أيضاً ذكر بأن الوفاة كانت سنة ٦٩٩هـ ناقلاً ذلك عن كشکول البهائی أيضاً^(٥٤)، وعليه فالأقرب أنه قد أخطأ في هذا النقل حين ذكر سنة ٦٩٩هـ، خصوصاً وأن الموجود من كشکول الشیخ البهائی فيه ٦٧٩هـ وليس ٦٩٩هـ مضافاً إلى ما تقدم من أن الشیخ المحوزي والمحدث البحرياني نقلاب عن كشکول البهائی أن الوفاة كانت سنة ٦٧٩هـ، وأما احتمال التصحیف وقلب التسعین إلى السبعین التي تمسلک بها بعض المحققین فھی واضحة الرد، حيث إن البهائی أورد في کشکوله سنوات وفاة عدّ كبير من العلماء من ضمنهم الشیخ میثم البحرياني وقد كُتبت هذه السنوات كلها بالأرقام^(٥٥)، فلا أدري ما الذي يعین أن التصحیف بين السبعین والتسعین، نعم لو كُتبت السنوات بالحرروف لكان لهذا الكلام وجه^(٥٦).

والنتیجة: عدم تمامیة ما ذُکر من الوجه الثالث، نعم الوجه الأول والوجه الثاني تامان، وفيهما کفاية، وبناءً على ذلك فالاصلح أن وفاة الشیخ میثم كانت بعد سنة ٦٨٧هـ، ولعلها كانت في سنة ٦٨٩هـ أو ما يقاربها (حوالی سنة ١٢٩٠م)، فمن المحتمل أن يكون التاریخ الذي أورده الشیخ البهائی مُصحّفاً قُلبتْ فيه الثمانیة إلى سبعة، فقلبت من ٦٨٩هـ إلى ٦٧٩هـ، ومما يؤید هذا الاحتمال أنّا لم نر الشیخ میثم يؤلف أیّاً من كتبه أو يجیز أیّاً من تلامذته بعد سنة ٦٨٧هـ، فالظاهر أنه لم يعش بعدها كثيراً، وتكون وفاته قد تأخرت عن وفاة أكثر من عرفناهم من زملائه في الدرس، ولكن مع ذلك فإن عمره يعد طبيعياً، فإنه وبناء على ما رجحناه سابقاً من أن ولادته كانت في حدود سنة ٦١٠هـ، يكون عمره حين وفاته قد شارف على

الثمانين.

مدفنه:

أشرنا في ما سبق إلى أن الشيخ ميثم وأسرته من منطقة (الماحوز) في البحرين، وقد أشار علماء البحرين المتقدمين^(٥٧) إلى أن منطقة (الماحوز) تحتوي على ثلاث قرى:

١- الدُّونَج: ضبطها الشيخ المبارك: «دُونَج بضم الدال وسكون الواو وفتح النون»^(٥٨)، وهذه القرية لازالت عامرةً لحد الآن وهي التي تعرف حالياً باسم قرية (الماحوز)، قال عنها الشيخ عبد الله السماهيجي المتوفى سنة ١١٣٥هـ: «وقد جده ميثم في الدونج وهي أكبر قراها وأشهرها، ومن ثم أطلق عليها اسم الماحوز، وبقي قراها لا تعرف إلا بأسمائها المختصة بها كالغرفة وهرتى»^(٥٩)، وهذه القرية فيها مقبرة تحتوي على قبور بعض العلماء الأجلاء مثل والد الشيخ ميثم (الشيخ علي بن ميثم) وجده (الشيخ ميثم بن المعلى)^(٦٠)، كما تحتوي على قبر العلامة المحقق الشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزي المتوفى سنة ١١٢١هـ.

٢- الغُرِيفَة: وهي قرية معروفةٌ ومحبولةٌ لحد الآن، ولا زالت تحمل نفس الاسم، وهناك من يربط بينها وبين قرية الغريفة القديمة التي اندثرت والتي تقع إلى الجنوب من قرية الشاخورة في البحرين، والغريفة القديمة هي التي يُنسب لها العلامة السيد حسين الغريفي المتوفى سنة ١٠٠١هـ وهو جد الأسرة الغريفية، ويُقال بأن أهل الغريفة القديمة انتقلوا عنها إلى الغريفة الحالية التي تقع بالقرب من الماحوز.

٣- هلتا: أو (هرتى) كما في بعض المصادر وهي القرية الثالثة من قرى المحوز وهي التي تحوي قبر الشيخ ميثم البحري، واسمها كان متداولاً إلى بدايات القرن الرابع عشر الهجري، حيث كانت هناك عين ماء تسمى (عين هرتة)^(٦١)، إلا أنه حالياً صارت مقبرة الشيخ ميثم جزءاً من منطقة (أم الحصم) المجاورة لها، وقد اندرت التسمية القديمة.

ولم أجد في المصادر القديمة من تعرض إلى تعين محل قبره، وأول من أشار إلى موضعه هو الشيخ سليمان المحوزي حيث قال: «وقبره متعدد بين بقعتين كلتاهما مشهورة بأنها مشهدته، إحداهما في جبانة (الدونج)، والأخرى في (هلتا) من المحوز، وأنا أزوره فيما احتياطاً، وإن كان الغالب على الظن أنه في هلتا لوفور القرائن على ذلك؛ لظهور آثار الدعوات وتواتر المنamas»^(٦٢)، كما نص المحدث البحري في المؤلفة على أن موضع قبره في هلتا^(٦٣)، نعم اشتبه الشيخ السماهيجي حين قال: «وغير الشيخ ميثم معروف الآن، مزاراً للخاص والعام بقرية الغريفة من قرى المحوز»^(٦٤)، وكأن قلمه سبقه فأبدل (هلتا) بـ(الغريفة)، وإلا فليس هناك من يدعى مثل هذه الدعوى.

بقي أن نشير إلى أن الشيخ سليمان المحوزي قال: «ورأيت في رسالة للشيخ الجليل الكفعumi (رسالة وفيات العلماء) أنه مات في دار السلام ببغداد، والله أعلم بحقيقة الحال»^(٦٥)، وقد علق على ذلك الشيخ السماهيجي بأن هذا القول غير مشهور^(٦٦)، ومع الأسف الشديد فإن الرسالة التي ألفها الشيخ الكفعumi في وفيات العلماء مفقودة، وعلى أي حال فالمعروف بين أهل البحرين قديماً وحديثاً أن قبر الشيخ ميثم في قرية (هلتا) التي تعرف حالياً بـ(أم الحصم)، وأما القبر الآخر الذي

ذكره الشيخ الماحوزي وقال بأنه موجود في جبنة (الدُونج) فالمعروف أنه للشيخ ميثم بن المعلى جد الشيخ ميثم المعروف، كما نص على ذلك في المؤلفة^(٦٧).

المواهش:

- (١) مجمع الآداب في معجم الألقاب ٤: ٢٦٦.
- (٢) مصباح السالكين ١: ٢٢٥.
- (٣) الحدائق الناضرة ٩: ٣٩٦.
- (٤) مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة ٤: ٢٦٢ ، في الطبعة القديمة.
- (٥) مصباح السالكين ٤: ٢١٠.
- (٦) مجمع الآداب في معجم الألقاب ٤: ٢٦٦.
- (٧) انظر الأبيات والقصة في كتاب (السلافة البهية) المطبوع في ضمن كشكول البحرياني ١: ٤٣.
- (٨) توجد صورة خطية من الرسالة عندنا، وانظر: مراسلات علماء البحرين : ٤: ٤٤.
- (٩) توجد صورة خطية من الرسالة عندنا، وانظر: مراسلات علماء البحرين : ٤: ٥٢، علمًا بأن بيتهن قد سقط من هذه القصيدة التي نقلها في (مراسلات علماء البحرين)، والقصيدة التي نقلناها هنا تامة اعتمدنا فيها على النسخة الخطية المصورة .
- (١٠) يُكَنِّي بالزحام عن الحرب حيث يتراحم فيها مقاتلون وتصطك فيها الأسنة، فأراد بوصفه نصير الدين بـ(ليث الزحام) أن يصفه بالبطولة، وقد ورد هذا التعبير في بعض الأشعار مثل قول راشد بن خميس الحبسى العماني المتوفى سنة ١١٥٠هـ:

والسيد الزاكى فتى مرشدٍ	سلطان مقدم الخميس اللهم
أعنىه سلطان فتى مرشدٍ	شبل عدى فهو ليثُ الزحام

وكقول محمد بن صالح مجدي المصري المتوفى سنة ١٢٩٨: يا سعيد الداهر يا عياث الأنام

يا سعيد الداهر يا عياث الأنام	يا مليك العصر يا ليث الزحام
-------------------------------	-----------------------------

- (١١) الحجى أي العقل.
- (١٢) الذام: العيب، وفي المثل: (لا تُعدمُ الحسنةُ ذاماً) أي عيماً تذم به.
- (١٣) أمل الآمل ٢: ٥١.

- (١٤) مجمع البحرين ٤: ١٧١ .
- (١٥) مجمع الآداب في مجمع الألقاب ٢: ٣١٥ .
- (١٦) تاريخ الإسلام للذهبي ٥١: ٨٣ - ٨٠ .
- (١٧) ذكر ذلك اليوناني في ذيل مرآة الزمان.
- (١٨) لا شك في وجود ولدين لعطا ملك الجويني، ولكن اختلفت المصادر في ضبط اسميهما ولقبهما، فقد عبر الشيخ ميثم البحرياني في كتابه (اختيار مصباح السالكين: ٤٧) عنهم بقوله: «...نظام الدنيا والدين أبو منصور محمد، ومظفر الدين الدنيا أبو العباس علياً...»، كما أن ابن الفوطى في كتابه (مجمع الآداب ٥: ٢٨٣) ترجم لأحدهما باسم «مظفر الدين أبو العباس علي بن علاء الدين عطا ملك...»، فتوافق تسمية ابن الفوطى مع تسمية الشيخ ميثم، في حين أن الشيخ ميثم في كتاب تجريد البلاغة ذكر بأنه ألفه إلى «نظام الدنيا والدين أبو المظفر منصور ابن الصاحب الأعظم عطا ملك الجويني»، وذكره الذهبي بنفس هذا الاسم واللقب في (تاريخ الإسلام ٥١: ٣٥٢)، ولا أدرى هل هذا الاختلاف يرجع إلى خطأ في النسخ، أم إلى وجود أكثر من ولدين لعطا ملك الجويني.
- (١٩) اختيار مصباح السالكين: ٤٧ .
- (٢٠) تاريخ الإسلام ٥١: ٣٥٢ .
- (٢١) مجمع الآداب ومعجم الألقاب ٤: ٢٦٦ .
- (٢٢) عمدة الطالب: ٣٥٠ .
- (٢٣) الأصيلي في أنساب الطالبين: ٣١٧ .
- (٢٤) مجمع الآداب ومعجم الألقاب ٤: ٢٦٦ .
- (٢٥) تنسب هذه الأبيات إلى الشاعر أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء الرازي المتوفى سنة ٣٩٠ هـ أو ٩٣٥ هـ، ولكن بشيء من الاختلاف اليisser، فقد أوردها ياقوت الحموي في (معجم الأدباء ٤: ٩٣) هكذا:

ما المراء إلا بأصغريه	قد قال فيما مضى حكيم
ما المراء إلا بدرهميه	فقلت قول امرئ لييب
لم تلتفت عرسه إليه	من لم يكن معه درهماه
تبول سنورهم عليه	وكان من ذله حقيراً

- (٢٦) وردت في السلافة البهية (بأكابرية)، وال الصحيح (بصغريه) كما أثبتناه هنا نقلاً عن ياقوت الحموي في (معجم الأدباء ٤: ٩٣)، وفيه إشارة إلى المقوله المعروفة والتي تنسب إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْمُصَلَّى (المرء بصغريه، قلبه ولسانه)، وأما (أكابرية) لو صحت فيراد بها العقل والهمة كما في بعض الروايات.
- (٢٧) انظر كتاب: (السلافة البهية في الترجمة الميشمية)، المطبوع في ضمن كشكول البحرياني ١: ٤٣-٤٥.
- (٢٨) كشكول الشيخ البهائي ٢: ٢٣٣.
- (٢٩) مجمع الآداب في معجم الألقاب ٤: ٢٦٦.
- (٣٠) قواعد المرام في علم الكلام ١٥.
- (٣١) عوالى الالاى العزيزية ١: ١١.
- (٣٢) بحار الأنوار ١٠٥: ٧٢.
- (٣٣) مدارك الأحكام ٧: ٨٢.
- (٣٤) كتاب الأربعين: ١٧١.
- (٣٥) أمل الآمل ٢: ٣٣٢.
- (٣٦) عوائد الأيام ٧٨.
- (٣٧) الشيعة وفنون الإسلام ٧٦.
- (٣٨) كشف الحجب والأستار عن وجوه الكتب والأسفار : ٥٦٦.
- (٣٩) قاموس الرجال ١٠: ٣٠٩.
- (٤٠) قاموس الرجال ١١: ٦٤٣.
- وانظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، وشرح نهج البلاغة للشيخ ميثم ١: ٢٥١.
- (٤١) شرح نهج البلاغة للشيخ ميثم البحرياني ١: ٢٥١.
- (٤٢) شرح نهج البلاغة للشيخ ميثم البحرياني ١: ٢٥٢.
- (٤٣) قاموس الرجال ١١: ٦٤٤.
- (٤٤) هو أحمد بن يحيى بن إسحاق الرواندي البغدادي، المتوفى سنة ٢٤٥ هـ كان متكلماً، وله مقالات فاسدة ردها العلماء، انظر تفاصيل ترجمته في كتاب (الكتني والألقاب ١: ٣٣٩).
- (٤٥) انظر كتاب: (السلافة البهية في الترجمة الميشمية)، المطبوع في ضمن كشكول البحرياني ١: ٥٣.
- (٤٦) كشكول الشيخ البهائي ٢: ٢٣٤.

- (٤٧) انظر كتاب: (السلافة البهية في الترجمة الميثمية)، المطبوع في ضمن كشكول البحرياني ١: ٤٥.
- (٤٨) لؤلؤة البحرين في الإجازة لقرتي العين: ٢٥٩.
- (٤٩) اختيار مصباح السالكين: ٦٨٥.
- (٥٠) رياض العلماء ٤: ٧٣.
- (٥١) كشف الحجب والأستار عن وجوه الكتب والأسفار: ٣٥٧.
- (٥٢) كشف الحجب والأستار عن وجوه الكتب والأسفار: ٤٣، ٤٩، ٨٣، ٨١، ٢٩١، ٤١٦، ٥٣٥، ٥٧٧.
- (٥٣) كشف الحجب والأستار عن وجوه الكتب والأسفار: ٣٢٢.
- (٥٤) كشف الحجب والأستار عن وجوه الكتب والأسفار: ٣٥٧.
- (٥٥) انظر : كشكول الشيخ البهائي ٢: ٢٣٤.
- (٥٦) ومن المحتمل أن تكون نسخة الكشكول الخطية قد كتبت فيها السنوات بالحروف ويكون الناشر حولها من الحروف إلى الأرقام بينما أراد طبع الكتاب، وهذا الاحتمال حتى لو صَحَّ فإنه لا يغير منحقيقة أن الشيخ ميشم قد توفي بعد سنة ٦٧٩ هـ وذلك للوجهين الذين أشرنا لهما.
- (٥٧) انظر: لؤلؤة البحرين ٦، والإجازة الكبيرة للسماهيжи: ١٩٤.
- (٥٨) حاضر البحرين: ٣٧.
- (٥٩) الإجازة الكبيرة للسماهيжи: ١٩٤.
- (٦٠) انظر: أنوار البدرين: ١٣٢، وحاضر البحرين: ٣٧.
- (٦١) التحفة النبهانية: ٣٢، والكلام من الهوامش التي كتبها المصنف في أسفل الصفحة.
- (٦٢) نقل عنه ذلك الشيخ علي البلادي في كتاب (أنوار البدرين: ٦٣).
- (٦٣) لؤلؤة البحرين: ٦.
- (٦٤) الإجازة الكبيرة للسماهيжи: ١٩٤.
- (٦٥) نقل عنه ذلك الشيخ علي البلادي في كتاب (أنوار البدرين: ٦٥).
- (٦٦) قال الشيخ السماهيжи: (ويذكر عن بعض المشايخ أن قبر الشيخ المذكور المشهور في نواحي العراق، وهو غير مشهور)، انظر: الإجازة الكبيرة للسماهيжи: ١٩٤.
- (٦٧) لؤلؤة البحرين: ٢٦١.

تأملات في شخصية الشيخ ميثم البحرياني

السيد مجید المشعل

مقدمة حول شخصية الشيخ ميثم:

العلامة الشيخ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحرياني (٦٣٦هـ - ٦٩٩هـ) هو أحد أشهر العلماء المحققين، والفلسفه الإلهيين، الذي شاع صيته في المحاضر العلمية في البحرين وال العراق (بغداد - الحلة)، وتميز بمهاراته في مختلف العلوم، كما كانت أبحاثه الكلامية والفلسفية مطعمةً بالبعد الاجتماعي السياسي، وكانت له علاقاته الاجتماعية ذات الطابع السياسي في بعض الأحيان، في الوقت الذي كان معروفاً بالزهد والتوجه العرفاني.

والمتأمل والمتابع لشخصية الشيخ ميثم يجدها تلك الشخصية العلمية الموسوعية، والاجتماعية والسياسية المرموقة، والعرفانية الوعائية.

مصنفاته:

وللشيخ ابن ميثم مصنفاته وآثاره العلمية المتميزة في الكلام والفلسفة والعرفان والمعارف الإسلامية العامة، وعلوم البلاغة والبيان، كـ«قواعد المرام في علم الكلام»، وـ«البحر الخضم في المعارف الإلهية»، «ومصباح السالكين في شرح نهج البلاغة لأمير المؤمنين عليه السلام»، وـ«تجريد البلاغة أو (أصول البلاغة)»، وغيرها من الكتب والمؤلفات.

والمتأمل في مؤلفات الشيخ ميثم يجد فيها الكثير من الإبداع، ولكنّه يجد أنّ شرح النهج الكبير «مصالح السالكين» هو الأهم من مؤلفاته لما يحتويه من براعة علمية نادرة، وسعة في اطلاع، ودقة في منهجية الاستدلال، وروعة الجدل العلمي، وحقاً إنّه لأثر علمي قيم خصوصاً بالنظر للمرحلة والحقبة التي ألف فيها، حتّى قال فيه الشيخ فخر الدين الطريحي، في مجمع البحرين: «لم يُعمل مثله».

شهادة العلماء بحقه:

من أفضل الطرق للتعرف على أحوال العلماء ومقاماتهم العلمية الرجوع لشهادات العلماء والمؤرخين في أحوالهم ومقاماتهم.

قال العلامة الشيخ سليمان بن عبد الله البحرياني في رسالته المسمّاة بالسلافة البهية في الترجمة الميّزانية: «هو الفيلسوف المحقق، الحكيم المدقق، قدوة المتكلمين، وزبدة الفقهاء والمحدثين، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحرياني، غواص بحر المعارف، ومقتنص شوارد الحقائق واللطائف، ضمّ إلى الإحاطة بالعلوم الشرعية، وإحراز قصبات السبق في العلوم الحكمية والفنون العقلية ذوقاً جيداً في العلوم الحقيقة والأسرار العرفانية، كان ذا كرامات باهرة وآثار زاهرة، ويكتفي دليلاً على جلالة شأنه وسطوع برهانه اتفاق كلمة أئمة الأعصار وأساطين الفضلاء في جميع الأعصار على تسميته بالعالم الرباني، وشهادتهم له بأنّه لم يوجد مثله في تحقيق الحقائق وتنقيح المباني، والحكيم الفيلسوف سلطان المحققين، وأستاذ الحكماء والمتكلمين، نصير الملة والدين محمد الطوسي، شهد له بالتبصر في الحكمة والكلام... وسيد المحققين الشرييف الجرجاني على جلالة قدره، في أوائل

فنَّ البيان من شرح المفتاح، قد نقل بعض تحقیقاته الأئمَّة وتعليقاته الرشیقة، وعَبَر عنه بعض مشايخنا ناظماً نفسه في سلک تلامذته، ومفتخرًا بالانخراط في سلک المستفیدین من حضرته. والسيد السند الفیلسوف الأوحد، میر صدر الدین محمد الشیرازی، أكثر النقل عنه في حاشية شرح التجريد سیّما في مباحث الجوادر والأعراض، والتقط فرائد التحقیقات التي أبدعها..». نقاً عن مقدمة شرح المائة کلمة، نشر دار الامیر.

وقال الحر العاملی في «أمل الآمل»: «كان من العلماء الفضلاء المدققين، متكلماً باهراً».

وقال فيه السيد حسن الصدر في «تأسیس الشیعة، ص ٣٩٣»: «المعروف بالعالم الرباني، له التبرّز في جميع الفنون الإسلامية والأدبية والحكمة والكلام والأسرار العرفانية، اتفقت كلمة الكل على إمامته في الكل».

وبالتأمل في ما جاء في الشيخ میثم من أوصاف وألقاب: «شيخ صدوق ثقة»، «علامة وفیلسوف مشهور»، «قدوة المتکلمین وزبدة الفقهاء والمحدثین»، «عالم فاضل مدقق ومتکلم لامع»، «فقیہ وأدیب إمامی وعالی بالآدبوالکلام»، «أدیب حکیم ومتکلم من فقهاء الإمامیة»، «اتفقت كلمة الكل على إمامته في الكل». تتضح وتتکشف له بعض جهات التمیز في شخصیته الكبیرة.

مشايخه:

من مشايخ الشيخ میثم:

- العلامة نصیر الدین الطوسي، حيث كان أستاذه في الحکمة والفلسفة.

- الشيخ علي بن سليمان البحرياني، وللشيخ ميثم شرح على كتاب أستاذه «الإشارات».

- نجم الدين أبو القاسم جعفر بن حسين الحلبي المعروف بالمحقق الحلبي.

- أبو السعادات أسعد بن عبد القاهر بن أسعد الهلالي.

تلاميذه:

من تلاميذ الشيخ ميثم:

- العلامة نصير الدين الطوسي، فقد تلمذ على يده في الفقه، وقد كان أستاذه في الفلسفة كما عرفت.

- جمال الدين أبو منصور حسن بن يوسف مطهر الحلبي المعروف بالعلامة الحلبي.

- سيد غياث الدين أبو المظفر أحمد بن طاووس.

- كمال الدين أبو الحسن علي بن شيخ شرف الدين حسين بن حماد بن خير ليثي الواسطي.

- الشيخ مفید الدين محمد بن جهم أسدی الحلبي، ويسمى شیخ فقهاء الحلۃ.

- الشيخ عبد الله بن صالح البحرياني.

والمتأمل في تلاميذ الشيخ ميثم خصوصاً مثل العلامة الحلبي، والخواجة نصير الدين الطوسي - على تقدير صحة ذلك - يتبيّن له عظمة هذا العالم، وشمول شخصيته العلمية، إذ لا شكّ أنّ من يكون أستاداً لمثل هؤلاء العظماء لا بدّ أن يكون عظيماً.

محطّات في حياته:

مراسلاتة ومحاوراته مع علماء الحلة:

بعث علماء الحلة رسالةً للشيخ ميثم يلومونه على سلوكه منهج الاعتكاف والعزلة، جاء فيها: «العجب منك أنك مع شدة مهارتكم في جميع العلوم والمعارف، وحذاقتك في تحقيق الحقائق وإبداع اللطائف، قاطنٌ في طلول الاعتزال، ومخيّمٌ في زاوية الخمول الموجب لخmod نار الكمال».

وكان الشيخ ميثم يعيش وضعماً مادياً متداخلاً، ما دعاه للإجابة على رسالة علماء الحلة بالبيتين التاليين:

طلبت فنون العلم أبغى بها العلا
قصّر بي عما سموتُ به القلُّ
تبين لي أن المحسنَ كلها
فروعُ وأن المال فيها هو الأصلُ

واستمرت بينه وبينهم المراسلات والحوارات حول المال والجاه وأثره في حياة الناس، حتى شدّ الرحال إلى ديار العتبات المقدسة لزيارة الأئمة الأطهار عليهم السلام، والتدارس والباحث مع العلماء، وقد التقى مع علماء الحلة هناك وأثبت لهم بأسلوب عملي عبر صحة ما ذهب له في شأن المال والجاه، وهي الحكاية المعروفة بحكاية «كل يا كمي»^(١). نقاً عن مقدمة شرح المائة كلام، نشر دار الأمير، بتصرف ما.

أقول: لا يمكن أن يكون ما في البيت الثاني هو رأيه وعقيدته في المال، وإنما أراد بيان ما عليه حال الناس، ومما يدلّ على ذلك المحاجة والممارسة المنقوله

عنه بهذا الصدد.

وكان لرحلته للعراق، وتنقله بين بغداد والحلة والنجف الأثر الكبير في تنمية ملكته ومؤهلاته العلمية، حيث اطلع على كنوز الكتب، وتابعته مع كبار العلماء، وتغيرت في ضوء ذلك بعض قناعاته وممارسته، فتخلص من هاجس العزلة، وتغير كذلك وضعه المعيشي إلى الأحسن، خصوصاً بعد ما نشأت بينه وبين «الجويني» والتي بغداد آنذاك علاقة ودية، وأهداه كتابه شرح النهج، وأثنى عليه في مقدمته. والمتأمل في ما تقدم يكتشف شيئاً من عرفانه العملي، ووعيه الاجتماعي.

الاعتدال والانفتاح في منهج الشيخ ميثم:

وكان الشيخ ميثم يعيش منهج الاعتدال، والقبول بالآخر في أبحاثه العلمية، وسلوكه العملي، مما أهله لتكوين علاقات حسنة مع مختلف التوجهات الفكرية والمذهبية في الواقع الإسلامي، حتى كان يستشهد في بعض الأحيان بكلام الشيخ الغزالى بغض النظر عن انتمائه المذهبى، وأسلوبه في التعامل مع المسائل الخلافية. والمتأمل في مؤلفاته يجد أنَّ هذا المنهج الوحدوي التقريري، ومنهج الاعتدال والمراعاة للآخر، يمثل طابعاً عاماً في جميع مؤلفاته، حتى كان ذلك كافياً لبعض المحققين لنفي أحد المؤلفات المنسوبة له لخروجه عن هذا الإطار. ولكن هذا لا يعني سكوت الشيخ عن بيان الحقيقة والدفاع عنها، ولكن بالطبع بالأسلوب المناسب والمعتدل.

المراسلة والتواصل مع العلامة الخواجة نصير الدين الطوسي:

العلامة خواجة نصير الدين الطوسي من المعاصرين للشيخ ميثم البحرياني، وقد

أخذ كلّ منهما عن الآخر في موضوعات علمية مختلفة، فهو تلميذه في الفقه، وأستاذه في الفلسفة كما قيل.

وكان للشيخ نصير الدين محمد بن الحسن الطوسي رسالة في العلم، هي أجوبة على تساؤلات الشيخ ميثم البحرياني، كما له مراسلة أخرى إخوانية علمائية، تضمنت الكثير من الإطراء والثناء من قبل الشيخ ميثم على الخواجہ نصیر الدين الطوسي، والتماس تحقيق بعض الأمور الضرورية التي تصب في خدمة العلماء وعامة الناس؛ لما كان يتمتع به الخواجہ نصیر الدين الطوسي من وجاهة ومقام رفيع عند الحاكم آنذاك.

وهذه المراسلات والعلاقات بين العلماء تعتبر مثالاً للتواصل العلمي الذي يتحلى بالحدود الجغرافية والقيود المكانية.

مظاهر الازدهار العلمي في البحرين .. الشيخ ميثم نموذجاً:

عاشت البحرين نهضةً علميةً كبرى في تاريخها، وشهدت حقباً مزدهرةً بالعطاء العلمي، كالحركة العلمية في القرن السابع، والقرن الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر، ثمّ بدأت تتجه للانحسار.

والشيخ ميثم تمثل ظاهرةً علميةً متميزةً في القرن السابع الهجري. نكتفي بهذا القدر، والحمد لله أولاً وآخراً.

المواهش:

(١) وحاصل الحكاية: «إنه عليه السلام لما وصل تلك الديار ليس ثياباً خشنّةً عتيقةً، وتزيّى ببهيّة رثّة ودخل إحدى المدارس المشحونة بالعلماء والمحذاق فسلم عليهم، فرداً عليه بعضهم السلام باستشهاد، فجلس عليه السلام

في جنب النعال، ولم يلتفت إليه أحدٌ منهم، وجرت بينهم مباحثة في مسألة دقيقة كُلّت عنها أفهمهم، فأجاب «روح الله روحه» بتسعة أجوبة بغاية الجودة والدقة، فقال له بعضهم بطريق السخرية والتهكم: «أخالك طالب علم»، ثمَّ بعد ذلك أحضر الطعام فلم يواكلوه، بل أفردوه بشيء قليل من الطعام على حده.

ثمَّ إنَّه عاد إليهم في اليوم الثاني، وقد لبس ملابس فاخرة ذات أكمامٍ واسعةٍ، وعمامةً كبيرةً، هيئة رائعة، فلما قرب وسلم عليهم قاموا تعظيمًا له، واستقبلوه تكريماً، وأجلسوه في صدر المجلس المشحون بالأفضل المحققين، والأكابر المدققين، ولما شرعوا بالمباحثة والمذاكرة تكلَّم معهم بكلماتٍ عليلة لا وجه لها لا عقلاً ولا شرعاً، فقابلوا كلماته العليلة بالتحسين والتسليم والإذعان على وجه التعظيم، فلما حضرت مائدة الطعام بادروه وقدموه بكلِّ أدب، فألقى الشيخ تبَّثِّ كمه في ذلك الطعام وقال: «كل ياكمي»، فلما شهدوا تلك الحال العجيبة تعجبوا واستغربوا وسائلوه عليه السلام عن معنى ذلك، فأجابهم تبَّثِّ: بأنَّكم إنما قدَّمتم هذه الأطعمة النفيسة لأكمامي الواسعة، لا للنفس القدسية اللامعة، وإنَّا صاحبكم بالأمس، وما رأيت تكريماً ولا تعظيماً، مع أنني جئتكم بالأمس بهيئة القراء وسجيحة العلماء، واليوم جئتكم بلياس الجارين، وتكلمت بكلام الجاهلين، وقد رجحتم الجهالة على العلم، والغنى على الفقر، وإنَّا صاحب الأبيات في أصالة المال، وفرعية صفات الكمال فاعتبروا بخطأهم». أعلام الثقافة الإسلامية في البحرين، ج ١، ص ٣٢٧ - ٣٢٨. بتصرُّف ما.

التأمل للسلوك الطريق إلى الله

عبد الله علي الدقاد

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبينا محمد وآلـه الطيبين الطاهرين.

وبعد:

لا شك أن كل إنسان يريد أن يزداد قرباً من صاحب الفضائل والمنن والنعـم العظيمة، وهو الله جل وعلا، وهذا لا يتأتى إلا بالتدبر والتفكير في نعمه وآلاءه التي أنعم بها على عباده من بنـي البشر.

إن الطريق إلى الله طريقٌ شائكٌ بكثير من الأشواك، ولا بد لسالكه من أن يطأ بقدمه عليها، كما أنه يجب عليه أن يصبر على آلام تلك الأشواك.

إن طريق العلم هو من أفضل الطرق المؤدية إلى الله، ولزوم القرب من الحضرة المقدسة، وهذا لا يحصل إلا بالتفكير في النعم التي من الله بها علينا وذلك بأن تُرجع جميع أعمالنا إلى لطفه ورحمته على عباده الفقراء المحتاجين، وهذه الأمور لا يمكن أن يتحلى بها الإنسان إلا إذا أصبح على درجة من اليقين أنها فعلاً مساكين تائهون، إننا فعلاً مساكين تائهون، إننا ندرس ونضيـع قسطاً من عمرنا، ثم نعمل لكسب لقمة العيش في هذه الدنيا الـدنيـة، ونـظـلـ نتمـسـكـ بهاـ وبـمـغـرـياتـهاـ حتىـ يـصـبـحـ لديناـ تـفـكـيرـ الخـالـدـينـ فـيـهاـ معـ أـنـهاـ دـنـيـاـ لـأـنـهاـ أـدنـىـ مـنـ كـلـ شـيـءـ.

إننا حـقاً غـافـلـونـ عـنـ تـكـوـيـنـ مـصـيرـنـاـ الـأـخـرـوـيـ الـمـسـتـقـبـلـيـ،ـ إنـاـ غالـباًـ نـخـطـطـ

لليعيش برغد ويسر في عالم الدنيا، ولكننا نغفل عن ارتقاء الدرجات العالية والمقامات الرفيعة في جنة الخلد مع الأولياء والصالحين، ومهما كانت الدنيا وما فيها فهي فانية لا محالة، ولا بدّ لنا في الصبر على مشاكلها وهمومها في سبيل الله؛ لأنها لا تخلو من المشاكل والصعاب التي تشيب الشباب وتملاه ناراً، ولكن هذه الهموم تزول عند تبين القرب الإلهي، فالله جلّ وعلا هو الذي خلق خلقه وتကفل برزقهم وضمان معيشتهم، وهياً لهم كامل السبيل للوصول إليه والدنو منه، ولكننا مع الأسف - مقصرون تجاه هذا رب الرحيم الذي تفيض السماوات والأرض من نور رحمته وكرمه، ولو أننا أدركنا مصلحة صبرنا على المصاعب وكامل هموم الحياة مع لزوم الإخلاص لله والتقرب إليه وطلب الاتجاه والدنو منه لتمينا أن نفرض بالمقارض.

ولنا في أمتنا عليهما السلام المثل الأعلى، فنجد مثلاً الإمام الكاظم عليهما السلام أربعة عشر عاماً يرزح في ظلمة تلك الزنزانة التي لا يعلم ولا يفرق فيها بين الليل والنهار، ولكنه يزداد قرباً وشوقاً إلى الله فيزداد في عبادته وصومه وقيامه، فلنسأل لماذا وكيف لم يتأثر الإمام عليهما السلام؟ وإنه بلا شك كان يفكر في بناء الحياة الأبدية والجنة السرمدية مع الأنبياء والصديقين؛ فلذلك لم نره يتزحزح أبداً، بل كان على يقينٍ بلطاف ربه وكان يرجوه أن يهيء له الحياة الأخرى على أكمل وجه.

وهكذا نرى أمثلة أخرى، ولعل أكثرها وضوهاً وقوتها هو موقف العليلة زينب عليهما السلام حينما رأت أخاها مقطع الأوصال وقطع الرأس، نجدها أنها لم تبك ولم تتأثر، بل رفعت ذلك الجسد الطاهر قائلةً «ربنا تقبل منا هذا القربان».

إن هذا الكلام لم ينطلق من شفتيها إلا لأنها على يقينٍ من بلوغ أبي عبد الله

الحسين عليه الدرجات الرفيعة بعد استشهاده، كما أنها واصلت المسيرة والجهاد من بعده على يقين وثقة كاملة، ولم تهتم بمباهج الدين، ولم تُدرِّب بالأشماتة الأعداء، وإهانتها مع الأطفال والنساء، على الرغم مما كانت تتمتع به من عزٌّ وكراهة أيام أبيها، ولكنها في كلام الوضعين بقيت ثابتةً كالجبل الراسخ لا يزحزحه شيءٌ أبداً متصلةً برب الأرباب، وجبار الجبارة، وعظيم العظماء، ذي القوة المتين.

وكذلك نلاحظ ذلك مع الإمام الرضا عليه السلام وقد أقبلت عليه الدنيا بزخارفها، وصبر على ولایة العهد، ولكنه ظل مشتغلاً بالقرب الإلهي والدُّنْو إلى الحضرة المقدسة.

هؤلاء هم قادتنا، علمونا أن نفكِّر في بناء آخرتنا بدنيانا، لا أن ننشغل بها حتى تنسينا آخرتنا.

ولابد لنا أن نجعلهم قدوةً لنا، تتبع أحكامهم وتنقصى آثارهم، ونمشي على خطاهم وسيرتهم، فطريق العلم هو طريق الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فلا بد أن يكون ذلك مصاعب وشدائد، ولا بد من تحمل هذه المصاعب والشدائد والتماس القرب والحماية واللطف من الله جل وعلا، فإن هذا الطريق هو طريق الفلاح والنجاة، ولكن بشرط أن تتحمل جميع مصاعبه وشدائده مع كامل الثقة بالله وبلطفه بعباده ورأفته بهم، فإنه أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين ويتكفل بأمور الأولين والآخرين.

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآلـهـ الطـاهـرـينـ.

تعريف بمؤسسة الإمام الخميني

بداية التأسيس:

يرجع تاريخ تأسيس «مؤسسة الإمام الخميني» إلى عام (١٣٥٣ هـ.ش) حيث تم تأسيس قسم تعليمي في «مؤسسة: في طريق الحق» والذي بدأ نشاطه بتقديم خدمات ثقافية وتعليمية للشباب والناشئة وتدريب وتأهيل فضلاء الحوزة من الشباب وإعداد باحثين ومحققين في فروع العلوم الإنسانية المختلفة ليتمكنوا من التصدي للإعلام المعادي.

لقد حققت هذه البرامج نتائج باهرة حظيت باهتمام الإمام الراحل رض، حيث أوصى بالاستمرار في هذا المشروع وتطويره، وتبني تثبيت مسألة تأمين التكاليف والنفقات. وبعد رحيل الإمام الخميني رثى تواصل الدعم السخي من قبل خلفه الصالح قائد الثورة الإسلامية آية الله السيد الخامنئي دام ظله. وفي عام (١٣٧٤ هـ.ش) وبفضل الدعم المادي والمعنوي لسماته تم تشييد مؤسسة الإمام الخميني للتعليم والبحث.

مؤسسة الإمام الخميني (بطاقة تعريف):

طبقاً للقانون الداخلي الذي صادق عليه المجلس الأعلى للثورة الثقافية، تعد هذه المؤسسة إحدى المؤسسات الحوزوية ويشرف عليها الولي الفقيه، وأهدافها ما يلي:

- ١) تبيين ونشر المعارف الإسلامية في شتى مجالات العلوم الإنسانية ووضعها في حيز التطبيق.
- ٢) إعداد وتأهيل الطلبة في مختلف مجالات العلوم الإسلامية والإنسانية، والعمل على رفع كفاءاتهم العلمية بهدف التصدي للأفكار والتيارات المنحرفة والالتقاطية.
- ٣) تربية محققين وخبراء وتأهيلهم للتحقيق والبحث في مختلف مجالات العلوم الإنسانية.

الطابع الحوزوي للمؤسسة:

- إن هدف هذه المؤسسة تقوية الحوزات العلمية، وفيما يلي نبذة عن المؤسسة:
- ١) بعد مصادقة مديرية الحوزة العلمية على المناهج الدراسية وبرامج المؤسسة، ترسل إلى كل من مديرية التخطيط ومديرية البحث العلمي والتكنولوجيا للمصادقة عليها أيضاً.
 - ٢) يشترط في قبول الطلبة المتقدمين للدراسة في هذه المؤسسة أن يكونوا قد أتموا السطح الأول من دروس الحوزة ومن بين الطلبة الرسميين في الحوزة.
 - ٣) تعتبر دروس الحوزة العلمية الأساسية جزءاً من المنهج الدراسي المقرر في المؤسسة، وعلى الطالب أن يستمرروا في دراستهم الحوزوية جنباً إلى جنب مع دروس المؤسسة.
 - ٤) يخضع طلبة المؤسسة لتعليمات وقوانين الحوزة العلمية بالكامل ويتمتعون بكافة الامتيازات المقررة من قبل الحوزة من قبيل المخصصات المالية وإعفائهم

من الخدمة العسكرية.

٥) يلتزم الطلبة طول مدة الدورة الدراسية بأداء واجبات طلبة الحوزة بما في ذلك التبليغ.

رئاسة المؤسسة:

بأمر من قائد الثورة الإسلامية أو كُلّتْ مهمة رئاسة و إدارة هذه المؤسسة إلى سماحة العالمة الفيلسوف آية الله محمد تقى مصباح اليزدي «دام عزه»، و يجدر بنا أن نشير إلى منزلته العلمية والمعنوية الرفيعة من خلال كلمات ولی أمر المسلمين، حيث قال: «أعرف جناب الشيخ مصباح منذ قربة أربعين عاماً، وأكن له كامل الحب والاحترام كفقيه وفليسوف وصاحب رأي في قضايا الإسلام الأساسية، وحيث لم يمتنع الله سبحانه وتعالى الجيل المعاصر بوجود شخصيات من أمثال العالمة الطباطبائي والشهيد المطهرى، فإنه - وبلطف منه عز وجل - قادر لهذه الشخصية العزيزة والجليلة (آية الله المصباح) أن تسد الفراغ الذى أحدهه رحيل هؤلاء الأعزاء».

معاونية التعليم:

في الوقت الحاضر هناك أكثر من ٨٠٠ طالب يدرسون في مقاطع البكالوريوس ، والماجستير والدكتوراه، ويتوزع هؤلاء الطلبة على فروع العلوم الإنسانية المختلفة:

- | | | | | |
|-------------------|--------------|---------------------|-----------------|-------------|
| ١) الأديان. | ٢) الاقتصاد. | ٣) التاريخ. | ٤) الكلام. | ٥) القانون. |
| ٦) علم النفس. | ٧) الإدراة. | ٨) العلوم السياسية. | ٩) علوم القرآن. | |
| ١٠) علم الاجتماع. | ١١) الفلسفة. | ١٢) التربية. | | |

وهناك أكثر من ٢٠٠ رسالة جامعية تم الفراغ من تدوينها في مقطع الماجستير.

التعليم بالمراسلة (التعليم خارج المؤسسة):

تلبيةً للطلبات الكثيرة التي تقدم بها جمع كثير من الطلبة من جميع أنحاء البلاد والذين يرثون الاستفادة من المناهج والبرامج التعليمية للمؤسسة تم وضع برامج وخطط شاملة لتوفير فرص لطلبة العلوم الدينية فيسائر المدن والأقضية لتحقيق هذا الهدف. وفي الوقت الحاضر توجد دورة دراسية في فرع الإلهيات والمعارف الإسلامية يشترك فيها قرابة ٢٠٠ شخص من طلبة العلوم الدينية من كلا الجنسين ومن سائر مدن إيران، وقد اتخذت التدابير اللازمة لافتتاح فروع علمية أخرى في المستقبل القريب، وذلك بالتنسيق مع مسؤولي الحوزة العلمية ووزارة التعليم العالي.

الزمالات والبعثات وتبادل الطلبة:

بدعم وتأيد قائد الثورة الإسلامية وبإشراف سماحة آية الله مصباح اليزدي تم لحد الآن إرسال خمسة عشر طالباً من خريجي المؤسسة من حملة الماجستير إلى الخارج لإكمال دراساتهم لنيل شهادة الدكتوراه. وبالطبع يؤخذ بنظر الاعتبار نوع الفرع الذي يمكن أن يدع فيه الطالب من خلال دراسته في الخارج. وأما الدول التي قصدها طلاب البعثات الجامعية فهي: إنجلترا، كندا، أمريكا والنمسا. وقد أكمل البعض دراستهم وعادوا إلى إيران فيما يواصل الآخرون دراستهم. وتقوم بعض فروع المؤسسة بإرسال طلابها في سفرات علمية قصيرة داخل البلاد وخارجها متى ما استدعت الضرورة لذلك.

مشروع الولاية:

بدعم واستحسان قائد الثورة الإسلامية وبإشراف سماحة آية الله مصباح الزيدي وبالتعاون مع مقررات قوات التعبئة «البسig»، أقيمت دورة صيفية في عام (١٣٧٥هـ.ش) للتعريفيين من أساتذة وطلبة جامعات إيران، والدورة ذات طابع تعليمي، الهدف منها إرساء قواعد وأسس الفكر الإسلامي، وقد أقيمت خمس دورات من هذا النوع لحد الآن. ومن مواضيع هذه الدورات ما يلي: معرفة العالم، معرفة الإنسان، أسس المعرفة الدينية، دراسات حول الغرب، المنطق والفكر النبوي، النظام السياسي في الإسلام. وتقوم الأقسام التخصصية في المؤسسة بإعداد الكتب الازمة، كما يقوم عدد من المحققين والباحثين في هذه الأقسام بتدريسها في الدورات المذكورة.

معاونية البحث والتحقيق:

تمشياً مع أهداف المؤسسة بدأت هذه المعاونية فعالياتها بتشكيل عدة فرق تحقيقية تقوم بإنجاز مشاريع علمية قسم منها أكاديمي نظري والآخر عملي تطبيقي. وقد استطاعت هذه المعاونية بالتعاون مع خريجي المؤسسة أن تنجز عدداً كبيراً من الدراسات والبحوث. ومن بين المهام التي تضطلع بها معاونية البحث والتحقيق إعداد وتدوين المتون الدراسية.

وقد عقدت مؤسسة الإمام الخميني العديد من المؤتمرات والندوات للتعرف على أفكار وآراء المفكرين والمختصين في مجال العلوم الإنسانية والتعريف بخبرات المؤسسة وإنجازاتها.

المكتبة ومركز الوثائق:

ويشتملان على (٣٥٠٠٠) كتاب فارسي وعربي وقرابة (١٠٠٠٠) كتاب باللغة الإنجليزية، إضافةً إلى مائة صحيفة ومجلة. والنظام المتبّع في المكتبة هو النظام المفتوح والذي يسهل على الباحث التنقل بين مخازن الكتب.

أما النظام المتبّع في تصنيف وتنظيم الكتب فهو نظام «LC»، أي على أساس الموضوع، ومن الخدمات التي تقدّمها المكتبة ومركز الوثائق إعارة الكتب للباحثين والمحقّقين ووفق التعليمات المقررة.

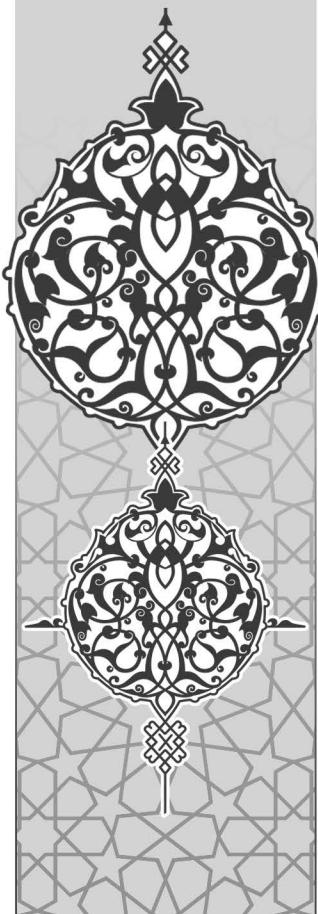
قسم إعداد الكتب:

إن مهمّة هذا القسم إعداد وتنظيم آثار ومؤلفات سماحة آية الله الأستاذ مصباح اليزيدي «دام عزه».

وقد تم لحد الآن إعداد أكثر من ستين مؤلفاً من آثار سماحته تشمل مواضيع مختلفة، وهناك مجموعة أخرى من آثاره لا تزال قيد الإعداد.

معاونية الشؤون الثقافية:

تتألّف هذه المعاونية من عدة أقسام، وهي: التربية والتهذيب، الرياضة، المناسبات والسفرات، وتسعى هذه المعاونية إلى دعم وتنمية البنية الثقافية والتربوية للطلبة والمنتسبين وعوائلهم الكريمة.

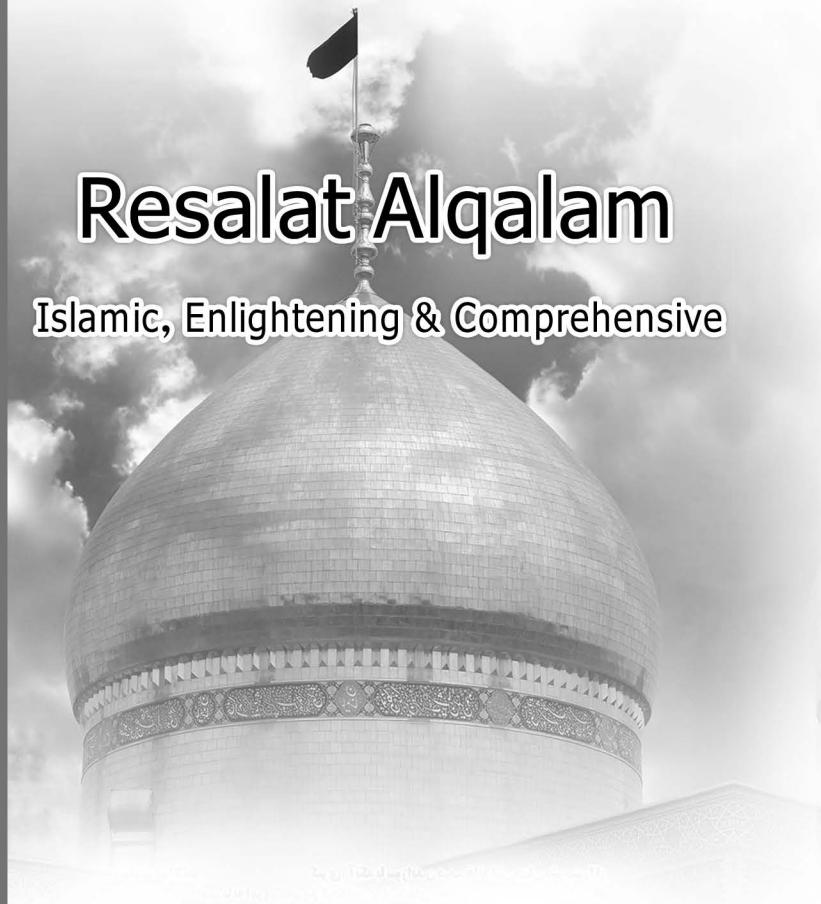


- General Supervisor & Executive Manager:
Abdulla Ali Al daqaq
- Editor in Chief:
Ali Ahmad Alkarbabadi
- Managing Editor:
Ali Ahmad Aljofairi
- Publishing Committee:
Fadhel Abduljaleel Al Zaki
Ghazi Abdulhassan
Jaffer Abdulmahdi Shehab
Saeed Hassan Al Madeh



Resalat Alqalam

Islamic, Enlightening & Comprehensive



A Periodical Magazine Issued by the
Bahraini Students
of the Educational Hawza the
Holy City of Qom